

جامعة أم درمان الإسلامية

كلية اللغة العربية

الدراسات العليا

قسم الدراسات النحوية واللغوية

الأمثلة النثرية في كتاب سيويه

دراسة نحوية تحليلية

بمقدّم للمعول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية تخصص النحو والصرف

إعداد الطائب:

جعفر كمال الدين أحمد

بإشراف

الدكتور / مصطفى محمد الفكي أبوبكر

١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَا أَوْتِينَا

مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا

قَلِيلًا﴾

مصطفاة الله العظيمة

الإسراء آية (٨٥)

شكر

الشكر لله سبحانه وتعالى الذي هيا الأسباب ، وأعان عبده الضعيف على مشقة الطلب والتحصيل.

والشكر من عبده عز وجل إلى إدارة التدريب بوزارة التعليم العالي. وجامعة أم درمان الإسلامية التي قبلت أن ترعى هذا البحث. والشكر لأسرة كلية اللغة العربية ممثلة في شيخها وعميدها الدكتور بابكر البدوي دشين. والشكر موصول أيضاً إلى الأساتذة الأجلاء الذين اقتطعوا جزءاً من وقتهم الثمين لقراءة هذا البحث تمهيداً لمناقشته وتقويمه.

والشكر والتقدير إلى الأستاذ الفاضل الدكتور مصطفى محمد الفكي أبوبكر الذي أشرف على هذا البحث منذ أن كان فكرة وصبر على متابعته ومراجعته ، ولم يبخل بنصحه وإرشاده وعلمه.

والشكر أيضاً للعلماء الأجلاء الذين قدّموا النصح والإرشاد وأمدوني بمراجع عزيزة من مكتباتهم الخاصة ، وأنكر منهم الدكتور عميد الكلية ، والدكتور المشرف على البحث ، والأستاذ الدكتور صالح آدم بيلو، والدكتور عثمان الفكي بابكر والأستاذ السركمال الدين أحمد.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى الأخوة في مكتبة جامعة أم درمان الإسلامية ، والمكتبة الفرعية بكلية اللغة العربية ومكتبة جامعة الخرطوم.

والشكر لأخي وصديقي الأستاذ الحسن المثنى الذي تولى طباعة هذا البحث في الوقت الذي كان يعد فيه رسالته للدكتوراه ، فقدّم بهذا مثلاً يحتذى في الإخلاص والوفاء.

والشكر لكل من قدّم لي عوناً في سبيل إنجاز هذا العمل ، وأسأل الله تعالى أن يجزي الجميع عني خير الجزاء.

مقدمة البحث:

الحمد لله الذي أنعم بأفضاله ، والصلاة والسلام على النبي وآله وأصحابه الذين اقتدوا بأقواله وأعماله ، ثم من دعا بدعوته وعمل بسنته إلى يوم الدين .
هذا بحث في النحو العربي أقدمه للتجربة في هذا المجال عسى أن يكون حافزاً للسير في هذا الطريق . وإنني لأعلم أنه طريق وعر المسالك ، صعب المرتقى ، لا تكاد تثبت فيه الخطى إلا بعد جهد وصبر .

١. الدافع إلى اختيار الموضوع:

كنت في أول أيام الطلب بمعهد أم درمان العلمي أسمع بكتاب سيويه ، وأقرأ بعض العبارات التي ترفع من قدر هذا الكتاب وقدر صاحبه ، كقولهم: هل ركبت البحر! وكنت أعجب لهذه العبارة ، ومع ذلك لم أفكر في ركوب هذا البحر أو الاقتراب من ساحله ، لأنني لم أكن قادراً على مجابهة أهواله ومخاطره .
ثم لما تقدمت في الدراسة قليلاً في المرحلة الجامعية حاولت أن أختبر قدرتي في استيعاب عبارة الكتاب وأسلوبه . ولم أكد أمضي في قراءة الأوراق الأولى من كتاب سيويه حتى خيل إلي أن الكتاب ميسر لأمثالي من طلاب العلم . ولكن بعد أن تجاوزت هذا المقدار بقليل ظهر عجزى وقلة حيلتي . فكنت أقف أمام العبارة أياماً وليالي ، حتى إذا أصابني اليأس تجاوزتها إلى غيرها مكرهاً .

وبدا لي أن أتمس ما غمض علي من عبارات الكتاب وأمثله في الشروح والحواشي والمتون ، لأن المتأخرين من النحويين إنما صدروا عن سيويه ونهلوا من معينه . فكنت أجد بُغيتي في شروحهم وحواشيهم ومتونهم أو لا أجد .

وخلال هذه المتابعة لاحظت أن أسلوب سيويه ومنهجه يختلف عن أساليب ومناهج من جاعوا بعده . فهؤلاء اهتموا في المقام الأول بحركة الإعراب . أما سيويه فقد عُني بهذه الحركة، ولكنه إلى جانب ذلك عُني بالتراكيب والأساليب من

حيث القوة والضعف ، والجودة والرداءة ، محدداً الأوجه الإعرابية تبعاً لاستقامة المعنى وصحتها.

ولاحظت أيضاً أنني ربما مضيت في قراءة شواهد سيبويه من القرآن الكريم أو الشعر دون عقبات كبيرة مثل تلك التي أجدتها في أمثلة الكتاب المروي منها أو غير المروي.

ويرجع هذا - في تقديري - إلى أن الشواهد من القرآن الكريم تصدى لها العلماء بالفسير والإعراب وبيات أوجه القراءة. كما أن طائفة من العلماء شرحوا آيات الكتاب وقسروا غيرها ، وعرفوا بشعرائها وبيّنوا موضع الاستشهاد بها^(١).

وكثير من النحويين المتأخرين احتفلوا بالشواهد الشعرية - بما في ذلك شواهد سيبويه - حتى ليخيل إلى القارئ أن الشاهد بيت من الشعر أو الرجز.

أما أمثلة سيبويه - المروي منها وغير المروي - فلم تحظ بما حظي به الشعر والرجز المستشهد بهما. وربما اقتصر النحويون عموماً على حكاية سيبويه أو روايته دون أن يفصلوا القول في المثال.

ويبدو لي أن عناية العلماء بالشعر واهتمامهم به صرف أنظارهم بعض الشيء عن الأمثلة النثرية في كتاب سيبويه ، مع أن بعض هذه الأمثلة شواهد كان ينبغي أن يحتفل بها كما احتفل بالشعر والرجز.

ومن هنا بدا لي أن أتناول نماذج من أمثلة سيبويه بالدراسة والتحليل على أمل أن تسهم هذه المحاولة المتواضعة في الكشف عن أثر هذه الأمثلة في مسار الدرس النحوي.

وينبغي أن أنبه هنا إلى أن أمثلة سيبويه متصلة بالشواهد التي احتج بها. وليس من أهداف هذه الدراسة الفصل بين الاستشهاد والتمثيل من حيث إنهما عنصران يؤثران معاً في بناء القاعدة الكلية.

ولا أزعّم السابق إلى فكرة هذه الدراسة ، لأن بعض الباحثين المعاصرين قاموا بدراسات جيدة تناولوا من خلالها الأمثلة والجمل في كتاب سيبويه. ومن ذلك كتاب:

(١) انظر مقدمة الأستاذ عبد السلام محمد هارون لكتاب سيبويه جـ/ ١ ط/ ٣ مكتبة الخانجي القاهرة ١٤٠٨ هـ

شرح جمل سيبويه للدكتور محمود سليمان ياقوت^(١). وقد حاول في هذا الكتاب التعرف على ما يعنيه سيبويه من إيراده للجملة. والحق أنه بذل جهداً مقدراً يُحمد عليه ، غير أنه لم يُعن كثيراً بتحليل الأمثلة والتراكيب والموازنة بينها. وألّف الدكتور فخر الدين قباوة كتاباً بعنوان: تحليل النّصّ النحويّ^(٢). حلّ فيه نماذج من أمثلة سيبويه بما ورد في مستهلّ الكتاب. غير أنّ كتابه لا يختصّ بسيبويه وحده ، وإنما تناول نصوصاً أخرى لنحويين آخرين. وربما تكون هناك بحوث أخرى حول أمثلة سيبويه لم يُتاح لي الاطلاع عليها.

٢. إطار البحث وحدوده

عنوان هذا البحث: الأمثلة النثرية في كتاب سيبويه - دراسة نحوية تحليلية. والأمثلة جمع مثال للقلة ، وقد يُشكل على هذا أنّ الأمثلة في كتاب سيبويه كثيرة ، والقياس أن يُقال: مثل في الكثرة ، ولكنني آثرتُ أمثلة على مثل لسببين: الأول: أنّ جموع الكثرة والقلة قد تتداخل في الاستعمال، ومن ذلك أن يأتي جمع الكثرة في موضع القلة نحو: ثلاثة جُدُرٍ وثلاثة كُتُبٍ ولم يقولوا أجدره ولا آكتبه. وقد يقتصر على بناء أدنى العدد نحو أزمنة وأمكنة ولم يقولوا في الكثرة زمن ولا مكن^(٣). الثاني: أنّ سيبويه مثل لأفعلة بقوله: حمار وأحمرة ، وحصار وأهمرة ، وإزار وأزره ، ومثال وأمثلة ، وفراش وأفرشة. ومثل للكثرة بقوله: حمار وحمر ، وخمار وخمر ، وإزار وأزر ، وفراش وفرش ، ولم يذكر مثال ومثل^(٤). وربما سكّت عن مثل ، لأنه قد يُعني عنه أمثلة كما قالوا بناء وأبنية في القلة والكثرة.

وجاء في معجم تاج العروس: المثال بالكسر المقدار ، وهو من الشبه والمثل ما جعل مثلاً أي مقداراً لغيره يُحذى عليه. والجمع أمثلة ومثل ، ومنه أمثلة الأفعال

(١) صدر عن دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٢م.

(٢) صدر عن دار الفكر المعاصر ط/١ بيروت ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

(٣) انظر كتاب سيبويه ج/٣ بتحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي القاهرة ص ٦٠١ - ٦٠٢.

(٤) انظر السابق نفسه ص ٦٠١.

والأسماء في باب التصريف. والمثال القصاص ، وهو اسم من أمثلة إمثالاً. والمثال صفة الشئ ، والفراش^(١).

وتفسيرُ المثال بمعنى المقدار الذي يُجذَى عليه هو المعنى اللغوي الذي تُعنى به هذه الدراسة. ويُلاحظ أنَّ صاحب تاج العروس قال: ومنه أمثلة الأسماء في باب التصريف ، ولم يقل مُثل الأسماء مع أنَّها كثيرة في باب التصريف. وينبغي أن أُنبه هنا أيضاً إلى أنَّ الأمثلة قد تَرَدُّ في كتاب سيبويه ويُراد بها الأفعال ، أو الأبنية الصرفية^(٢).

أما الشاهدُ فقد بيَّن الجوهري (إسماعيل بن حماد ت ٣٩٨ هـ) أنَّ الشهادة خبر قاطع. ومن ذلك شَهِدَ الرجل على كذا ، وقولهم: أشهد بكذا أي أحلف. والمشاهدة المعاينة. وقوم شُهود وشُهد أي حضور.

وشهد له بكذا شهادة أي أدى ما عنده من الشهادة فهو شاهد والجمع شُهد مثل صاحب وصَحْبٌ وبعضهم ينكره. وجمع الشُّهد: شهود وأشهاد. والشاهد الذي يخرج مع الولد كأنه كآته مخاط ، والشاهد اللسان ، والمَلَك^(٣).

ونقل ابن منظور (ت ٧١١ هـ) هذه المعاني ووضَّح بعضها بقوله: (وشَهِدَ الشاهد عند الحاكم ، أي بيَّن ما يعلمه وأظهره. وأصل الشهادة الإخبار بما شاهده)^(٤). وأقرب هذه المعاني إلى الشاهد النحوي هو ما ذكره الجوهري بقوله: شهد بكذا أي أدى ما عنده من الشهادة ، وقول ابن منظور: شَهِدَ الشاهد عند الحاكم أي بيَّن ما يعلمه وأظهره.

(١) انظر تاج العروس لمحمد مرتضى الزبيدي ط/دار صادر بيروت ١٣٨٦ هـ/١٩٦٦ م مادة: مثل. وقوله وهو اسم يعني أن مثلاً يأتي اسم مصدر.

(٢) انظر كتاب سيبويه ج/١ بتحقيق عبد لسلام محمد هارون ص ١٢ ، ٣٤ ، ٣ ، ٢١٨ ، ٤١٥. ومن الكتب التي عُنيت بالأمثلة الصرفية مختصر شرح أمثلة سيبويه للطاهر لأبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقي (ت ٥٣٩ هـ) تحقيق د. دفع الله عبد الله سليمان ط/ جامعة الملك سعود ١٤١٠ هـ.

(٣) انظر تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ط/٢ بيروت ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩ مادة شهد.

(٤) لسان العرب لابن منظور ، دار صادر بيروت ط/٣ ١٤١٤ هـ/١٩٩٤ م مادة شهد

ولا يعد معنى الحضور ، لأنَّ الشاهد هو اليئنة الحاضرة التي يُعتمدُ عليها في الحكم. وعلى المعنيين فإنَّ الشاهد في اللغة يشهد بصحة القاعدة أو الحكم ، وبموجبه يثبت الحكم وتُعتمد القاعدة.

والغالب في فاعل إذا كان وصفاً أن يجمع على فَعَّل نحو رَاكِعٌ ورُكِعٌ وشَاهِدٌ وشُهَدٌ ، وقد يُكسَّر على فُعَّال نحو شُهَّادٌ وزُوَّارٌ ، ويُكسَّر أيضاً على فُعَلَاءٌ نحو جُهَلَاءٌ وشُهَدَاءٌ. وإذا كان وصفاً لغير العقلاء جاز جمعه على فَوَاعِلٍ قياساً.

أما فاعل الدال على الاسم فلا يطرد جمعه على فواعل إلا في ألفاظ سُمِعَتْ نحو: فارس وفوارس ، وناكس ونواكس^(١).

وفي الاصطلاح فإنَّ المثال: جزئيّ يُذكر لإيضاح القاعدة. والشاهد ما يُذكر لإثبات قاعدة كُليّة من كتاب أو سُنّة أو من كلام عربيّ فصيح.

وعلى هذا المعنى فبين الشاهد والمثال تباين تام ، لأنَّ الشاهد يُذكر لإثبات القاعدة ، والمثال لإيضاحها. وقد يكون بينهما عموم وخصوص ، إذ لا يلزم ذكر الشاهد أو المثال بعد الحكم الكليّ وذكرهما للإثبات أو الإيضاح عارض ، فإنَّ أريد بذلك مطلق الإيضاح كان بينهما عموم وخصوص من وجه^(٢).

وقيد الأمثلة الثبوتية يُخرج الشواهد من القرآن الكريم ، والشعر والرجز. ويبقى في إطار البحث الأمثلة الثبوتية المرويّة منها وغير المرويّة.

وهذه الدراسة تُعنى بالأمثلة النحوية بالمعنى الخاص للنحو. وبهذا التحديد فإنَّ الأمثلة الصرفية لا تدخل في إطار هذا البحث ، إلا ما ورد منها بقصد الاستدلال.

(١) انظر شرح شافية ابن الحاجب للرضي ج/٢ تحقيق محمد نور الحسن ، ومحمد الزفراف ، ومحمد عبي الدين عبيد الحميد ط/ دار الكتب العلمية ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م بيروت ص ١٥٤ - ١٥٨.

(٢) انظر شرح سعد الدين التفتازانيّ تلخيص المفتاح وحاشيته التجريد في علم المعاني والبيان والبدیع ج/١ ط/السعادة مصر ١٣٣٠هـ ، ص ١٦٣ - ١٦٤ وشرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهری ج/١ ص ١٦٦ ورواج معرفة لجنة من العلماء - دار الفكر ص ١٦.

٣. أهداف البحث:

يُعنى هذا البحث بدراسة وتحليل الأمثلة النثرية في كتاب سيبويه في إطار الأهداف الرئيسة الآتية:

- أ. دراسة الأمثلة المروية وبيان أنواعها والاحتجاج بها في النحو.
- ب. دراسة وتحليل الأمثلة غير المروية وبيان أثرها في استيعاب القاعدة الكلية وتوضيحها.
- ج. بيان الأسس والمعايير التي اعتمدها عليها سيبويه في نقد الأساليب والتراكيب وتصحيحها.
- د. بيان أثر عناية سيبويه بالمعنى وربط الإعراب به في تطور علوم البلاغة.
- هـ. الكشف عن منهج سيبويه في عرض الأمثلة وأثر ذلك على الدرس النحوي.

٤. منهج البحث:

اقتضت الأهداف التي ذكرتها أن أُحدّد للبحث خطة قسّمتها إلى أبواب وفصول ، يشتمل كلّ فصل على عدد من المباحث. ويسبق بعض الأبواب وبعض الفصول ، تمهيد يسير.

وقد حاولت أن أربط بين أبواب البحث وفصوله بحيث تؤدي في النهاية إلى تحقيق الأهداف المطلوبة. وعلى هذا الأساس جاء منهج الدراسة كما يلي:

الباب الأول: سيبويه - حياته وكتابه

ويشتمل على فصلين ، الأول: حياة سيبويه. والثاني: كتابه. وقد ذكرت في مستهلّ هذا الباب الأسباب التي دفعتني إلى تحقيق حياة سيبويه ، ودراسة بعض القضايا التي أثيرت حول كتابه. ومُلخّص ذلك أنّ بعض موضوعات الدراسة تحتاج إلى تدليل كثير من العقبات التي تتصل بحياة سيبويه ، أو منهجه في الكتاب. وقد رأيت أن أعالج ذلك مسبقاً حتّى لا أضطر إلى قطع موضوعات الدراسة بالإشارة إلى قضية حول حياة سيبويه ، أو منهجه في الكتاب.

الباب الثاني: الأمثلة النثرية المروية عن العرب في كتاب سيويه والاحتجاج بها في النحو.

ويشتمل الباب على فصلين ، الأول: خصّصته للرواية والرواة في كتاب سيويه. والثاني: تناولت فيه الأمثلة المروية في كتاب سيويه وأنواعها ، والاحتجاج بها في النحو.

الباب الثالث: وموضوعه: أمثلة سيويه غير المروية: قياسها ، وأثرها في تصحيح أساليب الجملة ، ومنهج سيويه في عرضها. وهذا الباب مقسّم إلى ثلاثة فصول: الأول: أسس القياس من خلال أمثلة سيويه

الثاني: أساليب الجملة وتصحيح المعنى من خلال أمثلة سيويه غير المروية.

الثالث: منهج سيويه في عرض الأمثلة غير المروية.

وكل فصل يشتمل على مباحث.

ثم ختمت الدراسة بمُلخَصٍ يحوي أهمّ النتائج التي يمكن أن تُستفاد من البحث. وقد ذيلت الدراسة بفهارس عامة للآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والأمثال والحكم والقوافي والأعلام مما ورد في البحث.

٥. بعض الصعوبات التي اعترضت البحث

البحث العلمي بطبيعته عمل شاق ومضن. وطالب العلم لا بدّ أن يتوقّع بعض الصعوبات التي تعترض سير بحثه. غير أنّ موضوع البحث إذا ارتبط بسيويه وكتابه فإنّ هذا يضيف عبئاً ثقيلاً على الباحث المبتدئ ، لأنّ أسلوب سيويه يحتاج إلى معاودة النظر والتأمّل والرجوع إلى كثير من كتب النحو والحواشي والشروح. يُضاف إلى ذلك كثرة الأمثلة في كتاب سيويه مما يجعل مهمّة حصرها وتصنيفها ودراستها وتحليلها ، أمراً شاقاً وعسيراً.

وكنّت قد أعددت إحصاء عاماً للأمثلة سيويه جمعت فيه ما تفرّق من هذه الأمثلة في أبواب الكتاب. وعرضت هذا الإحصاء على الأستاذ المشرف فاستحسنه. وكان في نيّتي أن ألق هذا الإحصاء في نهاية الدراسة ، ولكن حالت دون ذلك نواح فنيّة

ومالية. ومع ذلك فإنَّ جهدي فيه لم يذهب هباءً ، فقد اخترتُ من هذا الإحصاء نماذج كثيرة أثبتُّها في هذه الدراسة.

٦. مصادر الدراسة ومراجعها

اعتمدتُ في هذه الدراسة على مصادر ومراجع كثيرة ومتنوعة. وأهمُّ ما يميِّزُ مصادر الدراسة ومراجعها في الباب الأوَّل أنَّ أكثرها يرجع إلى كتب الطبقات والتراجم.

كما أنِّي استعنتُ في البابين الأخيرين بكثير من المصادر والمراجع النحويَّة واللغويَّة ، وما يتبع ذلك من الشروح والحواشي. ورجعتُ إلى بعض كتب التفسير والقراءة. واقتضت بعض المباحث أن أُرْجِعَ إلى كتب الصَّحاح والسنن والمسانيد. ولم أقتصر على المصادر والمراجع القديمة وإنما حاولتُ أن أربط الدراسة بالآراء المعاصرة فرجعتُ إلى بعض كتب الباحثين المحدثين.

وقد حاولتُ أن أصل إلى الآراء والمذاهب في موضعها الأصليِّ وفي مصادرها الأولى ، إلا في حالات عزَّ فيها الأصل فاستعصتُ عنه المرجع البديل. ومن ذلك أنِّي لم أحصل إلا على جزأين من شرح السيرافيِّ لكتاب سيبويه ، والذي قدَّرَ ناشروه أن يخرج في عشرين جزءاً أو نحو ذلك. ولم أجدُ بدءاً من سدِّ هذه الفجوة إلا بالرجوع إلى مقتطفات من شرح السيرافيِّ طُبِعَتْ بهامش الكتاب في نسختي بولاق وهارون. كما استعنتُ في شرح بعض أمثلة سيبويه وعباراته بما ورد في كتاب المقتضب للميرد ، وكتاب التعليقة لأبي عليِّ الفارسيِّ ، وكتاب شرح الكافية للرضي ، وهمع الهوامع للسيوطي وغيرهم من الأئمة.

وقد بذلتُ جهدي في استيفاء هذه المصادر والمراجع. فالتزمتُ بذكر اسم الكتاب كاملاً ، واسم المؤلف ، وتعيين الجزء إن كان الكتاب مؤلَّفاً من أجزاء ، ورقم الطبعة وتاريخها ومكانها.

أمَّا إذا تكرَّر المصدر أو المرجع بعد ذلك فإنِّي اقتصر على اسم الكتاب والمؤلف والجزء والصفحة استغناء بالتفصيل الذي ورد عند ظهور المصدر أو المرجع لأول مرة في هوامش الدراسة.

والتزمت أيضاً بترتيب قائمة المصادر والمراجع على الحروف الهجائية بحسب اسم الكتاب ، مع استيفاء كل المعلومات المتعلقة بالطبع ما لم يكن الإخلال ببعضها يرجع إلى الناشر أو المؤلف كإغفال تاريخ الطبع أو مكانه.

وينبغي أن أنوه هنا إلى أن المصدر الأساس لهذه الدراسة هو كتاب سيويه. وقد اعتمدت على الطبعة التي حققها الأستاذ عبد السلام محمد هارون في خمسة أجزاء تحسّص الأخير منها للفهارس الفنية. والإشارة إلى هذه الطبعة تردّ في الهوامش بذكر كتاب سيويه يلي ذلك الجزء والصفحة.

أمّا إذا اضطررتُ إلى الرجوع إلى طبعة بولاق فإنني أشير إلى ذلك بكلمة (بولاق) بين قوسين تمييزاً لها عن النسخة التي حققها هارون.

ولا يعني اعتمادي على نسخة هارون أنّها بالضرورة أفضل من طبعة بولاق من حيث ضبط المتن ، وإنّما لما تماز به نسخة هارون من ناحية الإشارة إلى النسخ الأخرى ، وتحقيق الشواهد ، وترقيم الكتاب ، وفهرسة موضوعاته.

فهذا جهدي أضعه بين يدي أساتذة أجلاء أثق في علمهم وتجربتهم ولا أدعي أنّي وسعتُ هذا الموضوع بحثاً وتحليلاً ، ولكنني بذلتُ فيه جهد الطالب المبتدئ. فإن كنتُ قد أصبتُ شيئاً فهذا ما أرجوه ، وإن عدلتُ عن الطريق فرُبَّ كبوة تعقبها صحوة ، وإنّما الكمال لله وحده ، والعاقل من تعلم من أخطائه.

أسألُ الله تعالى أن يكون في عملي هذا ما ينفع الناس ، وأن يجنبني الخطل والزلل وما توفيقني إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أنيب إنّه سميع مجيب.

الباب الأول:

سيبويه: حياته وكتابه

الفصل الأول: حياة سيبويه

الفصل الثاني: كتاب سيبويه

الفصل الأول: حياة سيويه:

المبحث الأول: عصر سيويه

المبحث الثاني: سيويه: النشأة والوفاة

المبحث الثالث: شيوخ سيويه وتلاميذه

المبحث الرابع: مناظرة سيويه والكسائي

المبحث الخامس: أثر الثقافة الفارسية في سيويه النحوي

مَهَيِّدًا:

ليس من أهداف هذا البحث أن أجمع كلَّ الأقوال والروايات التي ذكرها مورخو سيرة أبي بشر عمرو بن عثمان الملقَّب سيبويه^(١) وإنما أحاول هنا أن أوازن بين بعض الروايات بهدف الوصول إلى صورة مقبولة يمكن أن تفيد في تحقيق حياة سيبويه. وممَّا يبررُ هذا المنحى:

أ- أنَّ حياة سيبويه مبسّطة في كتب التراجم القديمة والوسيلة ، وكذلك في البحوث المعاصرة التي كُتبت حوله.^(٢) وإعادة هذه السيرة بالنسق الذي وردت به في المصادر والمراجع أمر يدخل في دائرة الحشو والإطناب ، وهذا ممَّا يُقلِّل من قيمة البحث العلميّ.

ب - أنَّ سيرة سيبويه ماتزال غامضة مضطربة. رُبَّمَا يرجع ذلك إلى أنَّ أقدم مَنْ ترجموا له من أمثال ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) وأبي الطيّب اللغويّ (ت ٣٥١ هـ) وأبي سعيد السيرافيّ (ت ٣٦٨ هـ) لم يوردوا سيرة مفصّلة لهذا العالم الجليل ، واكتفوا بأخبار مختصرة لم تتعدَّ اسمه ، وكنيته ، ولقبه ، ومَنْ أخذ عنهم. ورُبَّمَا أضاف بعضهم شيئاً يسيراً على ذلك. غير أنَّ مَنْ جماعوا بعد هؤلاء مثل الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) والخطيب البغداديّ (ت ٤٦٣ هـ) وعبد الرحمن بن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) وياقوت

(١) له تراجم في كتب كثيرة منها: المعارف لابن قتيبة ، تحقيق: د. ثروت عكاشة ، ط/٤ مصر ، ص: ٥٤٤ ، ومراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، ط/مصر ، ص: ٦٥ ، وأخبار النحويين البصريين ، لأبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافيّ ، تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا ، ط/١ ، ١٤٠٥ هـ /١٩٨٥ م ، دار الاعتصام القاهرة ، ص: ٦٣ - ٦٤ ، وطبقات النحويين واللغويين لمحمد بن الحسن الزبيديّ ، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم ، ط/القاهرة ١٩٥٤ ، ص: ٦٦-٧٢ ، وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء) لياقوت الحمويّ ، ط/دار المأمون ، ج-١٦ ، ص: ١١٤ - ١٢٧ وإنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطيّ ، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم ج-٢ ، ط/القاهرة ١٣٧١ هـ /١٩٥٢ م ، ص: ٣٦٠ - ٣٤٦ .

(٢) منها: مقدمة الأستاذ عبد السلام محمد هارون لكتاب سيبويه ، ج-١ ، ط/٣ /١٤٠٨ /١٩٨٨ مكية الخانجي - القاهرة.

الحمويّ (ت ٦٢٦ هـ) والقفطيّ (ت ٦٤٦ هـ) وابن خُلِّكان (ت ٦٨١ هـ) والذهبيّ (ت ٧٤٨ هـ) واليافعيّ (ت ٧٦٨ هـ) وابن كثير الدمشقيّ (ت ٧٧٤ هـ) والسيوطيّ (٩١١ هـ) وغيرهم - توسَّعوا في ترجمة سيبويه ، وأضافوا إلى روايات مَنْ سبقهم أخباراً كثيرة عن سيبويه من طرق متعدّدة.

وربّما أهمل بعض هؤلاء سند الرواية واكتفوا بعبارات من نحو: ورؤي ، وقيل ، ويُقال . وكأنّ هدفهم أن يجمعوا أكبر قدر من أخبار سيبويه . وقد أدّى هذا المسلك إلى اضطراب شديد في أخبار سيبويه . من ذلك ما ذكره اليافعيّ في وفيات سنة أربع وتسعين ومائة ، قال: (وفيها على خلاف ماتقّم توفي إمام أئمة العربية ... أبو بشر عمويّ بن عثمان الملقّب سيبويه)^(١).

وذكر ابن خُلِّكان أنّ سيبويه توفي بالبيضاء من قرى شيراز (سنة ثمانين ومائة ، وقيل سنة سبع وسبعين ... وقال ابن قانع: بل توفي بالبصرة في سنة إحدى وستين ومائة ، وقيل: سنة ثمان وثمانين. وقال الحافظ أبو الفرج الجوزيّ توفي سنة أربع وتسعين ومائة وعمره اثنتان وثلاثون سنة ، وأنّه توفي بمدينة ساوة ... وقيل: إنّ ولادته كانت بالبيضاء المذكورة لاوفاته)^(٢).

ولا يخفى تباين الروايات التي نقلها ابن خُلِّكان ، فبعضها يجعل وفاة سيبويه سنة أربع وتسعين ومائة ، وفي رواية أخرى سنة إحدى وستين ومائة. ووفاة سيبويه بالبصرة أو ساوة أو البيضاء ، والبيضاء في رواية أخرى المكان الذي وُلِدَ فيه سيبويه . ولم تخلُ كتب التراجم والأخبار من نقد الروايات الشاذّة ، وتصحيح بعض الأخطاء التي وقع فيها النقل . فمن ذلك ما ذكره محمد بن أحمد الأزهرّيّ (ت ٣٧٠ هـ) من أنّ الليث بن المظفر نحلّ أستاذه الخليل بن أحمد كتاب العين لينفقه باسمه ،

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة مايعتبر من حوادث الزمان ، لعبد الله بن أسعد اليافعي ، ج١ ، ط/٢ ، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م بيروت / ص: ٤٤٥ .

(٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خُلِّكان ، ج٣ ، تحقيق: د. إحسان عباس، ط/بيروت ، ص: ٤٦٤

فأدخل فيه ما ليس منه^(١). وغلظ بن خلكان أن تكون وفاة الخليل بن أحمد سنة ثلاثين ومائة^(٢). كما انتبه عبد الحي بن العماد إلى بعض التناقض في الروايات. فمن ذلك ما روي من أن سيبويه توفي سنة إحدى وستين ومائة وأدعى الراوي أن سيبويه ناظر الكسائي في مجلس الأمين. قال ابن العماد: (ما أبعد هذا التناقض ، فلعله لم يتأمل ذلك)^(٣).

وابن العماد محق في نقده ، لأنَّ الأمين تولَّى الخلافة سنة: ١٩٣ هـ بعد والده الرشيد الذي تولَّى الخلافة سنة: ١٧٠ هـ^(٤) وهذا لا يستقيم مع زعم الراوي أن سيبويه توفي سنة ١٦١ هـ.

ج - موضوع هذا البحث الأمثلة النثرية في كتاب سيبويه. وقد رأيتُ أن أتناول جوانب من حياة سيبويه تكون لها صلة مباشرة بموضوع البحث وبخاصة ما يتصل منها برواية سيبويه عن شيوخه ، وأثر هذه الرواية في كتاب سيبويه وموقفه منها. في ضوء هذا المنحى الذي توخيتُه حاولتُ أن أناقش بعض الروايات بهدف الوصول إلى صورة مقبولة يمكن الاعتماد عليها في تحليل وتوجيه أمثلة الكتاب المروي منها وغير المروي.

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ج١ مصر ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م ص: ٢٨ -

٢٩ ، وقد سبقه إلى ذلك ابن درستويه (٢٥٨ - ٣٤٧ هـ) . انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ، ٢ : ٢٤٧ .

(٢) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ، ٢ : ٢٤٨ .

(٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن العماد الحنبلي ج١ ، نشر مكتبة القدس - القاهرة ١٣٥٠ هـ ص: ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(٤) انظر: تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم ، ج٨ ، ط / مصر ، ص: ٣٦٥ .

المبحث الأول: عصر سيبويه:

وُلِدَ سيبويه - علي ما أُرَجِّح - بعد قيام الدولة العباسية بقليل. وأغلب الظن أنه وُلِدَ في خلافة أبي جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨ هـ) ثم امتدَّت حياته إلى منتصف خلافة الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ). وأحاول هنا أن أُلخِّص معالم عصر سيبويه على النحو التالي:

أ. الحياة السياسية:

لم يشهد سيبويه - وهذا ما أُرَجِّحه - قيام دولة بني العباس سنة: ١٣٢ هـ ، غير أن آثار النزاع بين هذه الدولة وخصومها امتدَّت لسنوات طويلة بعد ذلك. تضافرت عوامل كثيرة ساعدت في نجاح العباسيين ، منها تعصب الأمويين للعرب مما أثار سخط الفرس وغيرهم. كما أن العباسيين نجحوا في استقطاب طوائف من الشيعة إلى صفِّهم مما أتاح لمؤسس الدولة محمد بن علي بن عبد الله بن العباس أن يجد سنداً قوياً لتنظيم قواعد الدعوة العباسية سراً. يُضاف إلى ذلك ما وجدته هذه الدعوة من تأييد في خراسان وغيرها من أقاليم فارس النائرة أصلاً على الأمويين. ولما توفي محمد بن علي ولي زعامة الدعوة ابنه إبراهيم ، فسار في الأمر جاداً. غير أن الأمويين لم يستسلموا لهذه الثورة وقاموا بمقاومة عنيفة. وتمكَّن مروان بن محمد - آخر خلفائهم - أن يقضي على إبراهيم بن محمد ، الذي أوصى قبل مقتله بالخلافة لأخيه أبي العباس السفاح. وتحت ضغط الثوار وأنصارهم ضَعُفَت قناة الأمويين ، ثم انكسرت بعد مقتل آخر خلفائهم ، مروان بن محمد سنة: ١٣٢ هـ. ولم يجد أبو العباس السفاح بعد ذلك حرجاً في إعلان أحقية بيت العباس بالخلافة.

ولما آلتِ الأمورُ إلى أبي جعفر المنصور سنة: ١٣٦ هـ ، رأى أن يتقل حاضرة الدولة بعيداً عن مراكز الصراع التي كانت تناوى العباسيين من حين لآخر. ولم يجد المنصور موقِعاً أفضل من بغداد فاخترها عاصمة للدولة^(١).

وبهذا الاختيار انتقل مركز الثقل السياسي والعلمي والاجتماعي إلى بغداد ، فكثُر بها العمران ، ونمت التجارة ، وأصبحت بغداد منذ ذلك الحين (١٤٥ هـ) قبلة العلماء والأدباء.

وكان من مظاهر هذا التوسع ازدياد هيمنة الفرس في تصريف أمور الدولة. فكان منهم الوزراء والقادة والكتّاب والحجّاب. ولمع نجم آل برمك في سماء هذه الدولة فكان لهم شأن عظيم ومكانة رفيعة بلغت أوجها في سنة: ١٧٨ هـ حين (فوّض الرشيد أموره كلها إلى يحيى بن خالد بن برمك)^(٢).

غير أن الأمور لم تجر بعد ذلك إلى ما كان يشتهي البرامكة. فقد دبّ الخلاف واشتدتّ الفتن بين العباسيين ووزرائهم من الفرس. وبعد سبع عشرة سنة من الوزارة انقلب عليهم الرشيد ونكبهم نكبة عظيمة ، فقتل نديمة جعفر بن يحيى ، وزجّ يحيى وابنه الفضل في السجن^(٣).

ويُعتبر عصر الرشيد الذي امتدّ لثلاث وعشرين سنة (١٧٠ — ١٩٣ هـ) من أزهى أيام الدولة العباسية ، وإن لم يخلُ تماماً من الفتن والثورات. فقد عمّت بغداد نهضة علمية وأدبية واسعة ، فرحل إليها العلماء والأدباء طلباً للمجد والشهرة ، ورُبما المال والثروة أيضاً.

(١) انظر: تاريخ الطبري ٦ : ٢٣٦ .

(٢) السابق نفسه ٨ : ٢٥٦ .

(٣) انظر: السابق نفسه ٨ : ٣٠٠ .

ب - الحياة الاجتماعية:

بعد أن استتبَّ الأمرُ للعباسيين - باستثناء بعض الحركات التي كانت تظهر من حين لآخر - امتلأت خزائن الخلفاء من الأموال التي كانت تُجبي من أنحاء الدولة المترامية. يُضاف إلى ذلك الغنائم الكثيرة التي تَرَدُّ إلى الخزانة العامة من أسلاب المناوئين والخصوم ، والأموال الوفيرة التي كانت تدرّها التجارة. وقد يكفي أن نقرأ ما كتبه المسعودي لنقف على حجم هذه الثروة التي انتالت على بني العباس^(١).

وقد وجد العلماء والأدباء ضالتهم في خيرات هذه الدولة ، فاشتغل بعضهم بتأديب بعض أولاد الخلفاء. وانقطع بعضهم لمُدح الخلفاء والوزراء ، فأغدق هؤلاء الأموال على العلماء والشعراء والمغنين والحواري ، وعقدوا المجالس لسماع مناظرات العلماء والأدباء والفلاسفة. وقد أدّى هذا كله إلى نهضة علمية وأدبية واسعة.

وقد صحب هذا لون من الترف ، وشاع الغناء في المجالس وغيرها. غير أن بعض الرواة بالغوا في تصوير هذه البيئة ، حتى ليخيل إلى القارئ أن الدولة كلها غرقت في الترف والمجون والرقص والغناء. والحق أن هذا التصوير مبالغ فيه لأنه لا يمثّل الواقع إلا من جانب واحد. فقد كانت بغداد والكوفة والبصرة وغيرها من المدن مراكز إشعاع لتعاليم الدين الخنيف. وقد كان المجتمع - على وجه العموم - ملتزماً بشعائر الدين وحدوده. فهناك العباد والزهاد ، ومجالس العلم التي تعقد في المساجد ، يتصدّرها القراء والفقهاء والمحدثون وغيرهم. وهذا الجانب المشرق كان السمة الظاهرة والغالبة إذا استثنينا بعض الطوائف التي جاهرت بالزندقة أو دعت إلى الشعوبية.

ج - الحياة العلمية:

بعد موجة الفتوحات الإسلامية للبلدان المتاخمة ، دخل في الإسلام طوائف من الشعوب كالفرس والروم والقبط وغيرهم. وقد انتبه هؤلاء - وخاصة الفرس - إلى

(١) انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج ٣ ، مطبعة المعادة

مصر: ط/٤ ، ١٣٨٤ / ١٩٦٤ ، ص: ٣٢٢ .

ضرورة تعلم اللغة العربية وافتقانها باعتبارها السبيل المؤدية إلى التفقه في الدين وتجويد القرآن الكريم وفهمه الفهم الصحيح.

وبعد قيام الدولة العباسية ازداد إقبال الفرس نحو عاصمة بني العباس والمدن الكبرى كالكوّفة والبصرة. وربما فُكّر بعضهم في المناصب الرفيعة والتّقرّب إلى الخلفاء والوزراء. ولكن من هؤلاء طائفة لا يُستهان بها من العلماء أخلصوا النيّة، متجردين من كلّ هوى أو غرض دنيويّ فقدموا خدمة جليّة، فكان منهم القراء والفقهاء والمحدّثون واللغويّون والنحويّون والحكماء وغيرهم.

ولم تكن حركة التدوين والتأليف نشطة في بداية العصر العباسي، وكأنّها امتداد لما كان في العصر الأمويّ. فقد كان العلماء يعتمدون على الرواية الشفهية في نقل المعرفة. ولكن في منتصف القرن الثاني الهجريّ - على وجه التقريب - نشطت حركة التأليف والتدوين في علوم الفقه والحديث والتفسير. ففي مكّة صَنَّفَ ابن جريج (ت ١٥٠ هـ) في الحديث. وكذلك سعيد بن أبي عروبة (ت ١٥٦ هـ) وحماد بن سلمة (ت ١٦٧ هـ) وهما من علماء البصرة. وفي المدينة وضع مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ) كتابه الموطأ. وجمع محمد بن إسحاق (ت ١٥٠ هـ) المغازي.

وَصُنِّفَتْ في هذا العصر أيضاً كتب اللغة والنحو مثل كتاب العين للخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ) وكتاب سيبويه (ت ١٨٠ هـ) وكذلك دُوِّنَتْ أشعار العرب، فجمع حماد بن هرملز المعروف بالراويّة (ت ١٥٥ هـ) المعلقات. وازدهرت كذلك الأسواق الأدبية وأمّها العلماء واللغويّون والشعراء، يأخذون من البدو الفصحاء ما سيكون نواة للتأليف الموسّع في متن اللغة وغريبها وشواذها.

ومن هذه الأسواق المرید في الجانب الغربيّ من البصرة بنحو ثلاثة أميال. فقد كانت هذه السوق قبلة التجار والشعراء واللغويّين. وتروى الأصمعيّ أنّ أبا عمرو بن العلاء سأله: من أين أقبلت يا أصمعيّ؟ فقال: من المرید فقال أبو عمرو: هات

ماعندك. فقرأ عليه مما كتب في ألواحہ. فقال أبو عمرو: شَمَّرت في الغريب يعني أَنَّهُ غلبه^(١).

ويروي الأزهري أَنَّ النضر بن شميل (ت ٢٠٣ هـ) (كان يدخل المربد ، ويلقى الأعراب ويستفيد من لغاتهم)^(٢).

(١) انظر: الأمالي لأبي علي القالي ج٣ ط/ دار الكتب المصرية القاهرة ط/ ٢ ١٣٤٤ هـ/ ١٩٢٦ م، ص: ١٨٢.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري ص: ١٧ .

المبحث الثاني: سيبويه: النشأة والوفاة:

يُجمع مَنْ أَرَحُّوا لسيبويه أَنَّهُ مِنْ أَصْلِ فَارِسِيٍّ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ اِخْتَلَفُوا فِي وِلَايَتِهِ . فَأَبُو الطَّيِّبِ اللُّغَوِيُّ وَالسِّرَافِيُّ ذَكَرَا أَنَّ وِلَايَتَهُ إِلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ^(١) . وَزَادَ ابْنُ خَلِّكَانَ : (وَقِيلَ آلَ الرَّيِّعِ بْنِ زِيَادٍ)^(٢) . وَفِي (الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ) : (وَقِيلَ : مَوْلَى آلِ الرَّشِيدِ بْنِ زِيَادٍ)^(٣) .

ويذهب ياقوت - كما يفهم من عبارته - إلى أنَّ هذا الولاء انتقل من بني الحارث بن كعب إلى آل الربيع بن زياد الحارثي^(٤) .

وأياً كان الأمر فالثابت - اعتماداً على المراجع التي بين أيدينا - أنَّ سيبويه فارسيّ الأصل ، وأنَّه مِنْ أُسْرَةٍ وَلَاؤُهَا لِبَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ، أَوْ إِلَى حَلِيفٍ مِنْ حَلْفَائِهِمْ . واختلف الرواة كذلك في المكان الذي وُلِدَ فيه سيبويه . ولم يورد ابن قتيبة ، وأبو الطَّيِّبِ اللُّغَوِيُّ وَالسِّرَافِيُّ فِي تَرَاجِمِهِمُ الْمُقْتَضِبَةَ مَا يَشِيرُ إِلَى مِيلَادِهِ زَمَانًا أَوْ مَكَانًا . غَيْرَ أَنَّ هُنَاكَ رَوَايَاتٍ أُخْرَى ذَكَرَتْ أَنَّ مَوْلِدَ سَيْبُوِيَهٍ بِالْبَيْضَاءِ مِنْ قَرْيَةِ فَارَسٍ^(٥) . وَجَاءَ فِي مَقْدَمَةِ تَهْذِيبِ اللُّغَةِ أَنَّ سَيْبُوِيَهَ بَعْدَ رِحْلَتِهِ إِلَى بَغْدَادٍ عَادَ إِلَى مَسْقَطِ رَأْسِهِ بِالْأَهْوَازِ^(٦) .

وهذه الروايات جميعاً لم تذكر سنداً يؤيد مولده بالبيضاء أو الأهواز أو غيرهما من مدن فارس . وربما اعتمد الرواة على أنَّ سيبويه الفارسيّ الأصل لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ

(١) انظر مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص ٦٥ ، وأخبار النحويين للسرافيين ص ٦٣ .

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣ : ٤٦٣ .

(٣) البداية والنهاية ، لابن كثير الدمشقي ج ١٠ ، ط/١ بيروت ١٩٦٦ م ص ١٧٦ .

(٤) انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٦ : ١١٤ .

(٥) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٣ : ٤٦٤ ، وإنباه الرواة للقفطي ٢ : ٣٥٥ .

(٦) انظر تهذيب اللغة للأزهري المقدمة ص ١٩ .

ميلاده. يمكن ما من أرض فارس ، البيضاء أو الأهواز أو غيرهما. والحق أن هذا محتمل وقريب ، ولكنه لا ينفي احتمالاً آخر ، وهو أن يكون سيويه وُلِدَ بالبصرة نفسها. ومما يفسح المجال لمثل هذا الاحتمال أن الروايات التي تذكر مولده بالبيضاء أو الأهواز تبدو ضعيفة مضطربة. يقول ابن خلكان: (وقيل إن ولادته كانت بالبيضاء المذكورة لاوفاته)^(١). وقريب من هذا ما ذكره ياقوت أن: (أصله من البيضاء من أرض فارس ومنشؤه البصرة)^(٢).

يُلاحظ أن عبارة ابن خلكان جاءت بصيغة ضعيفة (وقيل) وعبارة ياقوت ربما تحمل على وجه آخر ، وهو أن يكون المقصود أن أصل آبائه من البيضاء. وكانت البصرة سوقاً كبيرة ، تزدهم أحيائها بعناصر مختلفة من الأجناس. فقد كان بها قبل الإسلام قوم من الفرس ، والروم والأنباط ، وسلالات من الهنود منهم الزط والسيابجة ، وعدد من الزنج^(٣).

وإذا كان هذا حال البصرة قبل الإسلام فليس من المستبعد أن يكون آباء سيويه ممن هاجروا إليها قديماً واستقروا بها ، وأن سيويه وُلِدَ بهذه المدينة ونشأ بها كغيره من أبناء المهاجرين.

ومما يُستأنس به في ذلك - وإن كنت لا أعدّه دليلاً أو حجة قاطعة - قوله في الكتاب: (وقالوا البصرة مسقط رأسي)^(٤) فقد تكون الأمثلة أحياناً مرآة لصاحبها تُعبر عما في نفسه من أفكار وأحاسيس.

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣ : ٤٦٤ .

(٢) معجم الأدباء لياقوت ١٦ : ١١٥ .

(٣) انظر الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري د. أحمد كمال زكي ط/١ ١٣٨١ هـ/١٩٦١ م دمشق ص ٦٦ .

(٤) كتاب سيويه تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ج٤ ط/٢ ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م مكتبة الخانجي القاهرة ص ٩٠ .

يُضَافُ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ نَشَأَ سَيبُوهِ لَا يُعْرَفُ عَنْهَا إِلَّا الْقَلِيلُ. فَقَدْ نَشَأَ كغَيْرِهِ مِنْ أبنَاءِ المُرَالِي وَلَمْ يَسْطِعْ نَجْمُهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ خَرَجَ كِتَابُهُ إِلَى النَّاسِ. وَلَعَلَّ هَذَا كَلَّمَهُ أَغْمَضُ سِيرَتِهِ الْأُولَى ، فَتَحَبَّبَ الرِّوَاةَ فِيهَا عَلَى الرَّجْحِ الَّذِي نَرَاهُ فِي تَرَاجُمِهِ.

وَأَيًّا كَانَ الْأَمْرُ فَالثَّابِتُ أَنَّ سَيبُوهِ نَشَأَ فِي الْبَصْرَةِ سِوَاءِ أَحْمَلٍ إِلَيْهَا صَغِيرًا أَمْ وُلِدَ بِهَا. وَلَا بُدَّ أَنَّهُ فِي طِفْلُوته اختلف إلى حلقات تَضُمُّ مَنْ هُمْ فِي سِنِّهِ لِيَتَلَقَّى مَبَادِي الْقِرَاءَةِ وَالكِتَابَةَ تَهْيِئًا لِتَجْوِيدِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَمَا يَتَّصِلُ بِذَلِكَ مِنْ حَدِيثٍ وَتَفْسِيرٍ وَفَقْهِ.

أَمَّا أَسْرَةُ سَيبُوهِ فَلَا يُعْرَفُ عَنْهَا شَيْءٌ خِلا مَا تَنَاقَلَهُ بَعْضُ الرِّوَاةِ مِنْ أَنَّهُ لَمَّا اعْتَلَّ (وَضَعَ رَأْسَهُ فِي حِجْرِ أَخِيهِ ، فَبَكَى أَخُوهُ لَمَّا رَأَاهُ...) (١).

وَلَيْسَ لِهَذِهِ الرِّوَاةِ سِنْدٌ قَوِيٌّ ، وَرُبَّمَا كَانَتْ بَعْضُ مَا أُفْحِمَ فِي سِيرَةِ سَيبُوهِ لِيُنَاسِبَ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ أَمْرُهُ.

وَإِذَا كَانَ مِنَ الرَّاجِحِ أَنَّ سَيبُوهِ وُلِدَ فِي خِلافةِ الْمَنْصُورِ ، فَإِنَّهُ مِنَ الْعَسِيرِ تَحْدِيدَ سَنَةِ بَعِينِهَا لِمِيلَادِهِ ، لِأَنَّ خِلافةَ الْمَنْصُورِ امْتَدَّتْ إِلَى اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً (١٣٦ - ١٥٨ هـ) وَرُبَّمَا يَسْهُلُ تَقْدِيرُ ذَلِكَ إِذَا أُمِكنَ الْوُصُولُ إِلَى سَنَةِ وَفَاتِهِ وَالْمُدَّةِ الَّتِي عَاشَهَا. تَذَهَبُ أَكْثَرُ الرِّوَايَاتِ إِلَى أَنَّ سَيبُوهِ تَوَفَّى سَنَةَ ١٨٠ هـ. وَقَدْ صَحَّحَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ هَذِهِ الرِّوَاةَ (٢) وَقَرِيبَ مِنْ هَذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ الرِّوَاةِ مِنْ أَنَّهُ تَوَفَّى سَنَةَ ١٧٧ هـ أَوْ ١٧٩ هـ أَوْ ١٨٣ هـ (٣).

(١) معجم الأدياء لياقوت ١٦ : ١٢٢ .

(٢) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٣ : ٤٦٤ والبداية والنهاية لابن كثير ١٠ : ١٧٦ وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ج ٢ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط/١ مصر ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م ص ٢٣٠ ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ١ : ٢٥٢ . وقد ذكروا أقوالاً أخرى.

(٣) انظر وفيات الأعيان ٣ : ٤٦٤ ، ونزهة الألباء لابن الأنباري : ٦٥ - ٦٦ وبغية الوعاة للسيوطي ٢ : ٢٣٠ .

وأبعدُ الروايات من ذلك ثلاث روايات. إحداها تقول إنه توفي سنة ١٩٤ هـ ، والأخرى تذهب إلى أنه توفي سنة ١٨٨ هـ ، والثالثة أنه توفي سنة ١٦١ هـ^(١).

والروايات الأخيرة ضعيفة لإجماع أكثر المحققين على أن سيويه توفي في خلافة الرشيد ، وقبل وفاة يونس بن حبيب. وقد توفي يونس سنة ١٨٢ هـ كما ذكر ابن قتيبة^(٢) ، أو ١٨٣ هـ كما ذكر السيرافي^(٣) وهما أقرب زمنًا إلى سيويه وشيوخه من غيرهما.

ويمكن أن تستبعد أيضاً سنة ١٨٣ هـ لأنها توافق وفاة يونس في رواية السيرافي. وتبقى بعد ذلك سنوات ١٧٧ - ١٧٩ - ١٨٠ هـ وهي تواريخ متقاربة يحتمل أن تكون كل منها السنة التي توفي فيها سيويه. ولكن إجماع أكثر الرواة على سنة ١٨٠ هـ ، مع عدم توفر أدلة كافية للترجيح ، يجعل الباحث يطمئن إلى هذا الاختيار.

ومن المرجح أن سيويه توفي بفارس ، وهو ما أجمع عليه كل الرواة تقريباً ، وإن اختلفوا في تسمية المدينة الفارسية التي توفي بها. ولم تشذ عن هذا الإجماع إلا رواية واحدة ذكّر فيها أنه توفي بالبصرة^(٤). وهذه الرواية ضعيفة لأن سيويه لومات بالبصرة لما تشعبت الآراء حول وفاته على هذا النحو الذي نراه في تراجمه.

(١) انظر وفيات الأعيان ٣ : ٤٦٤ ، ومعجم الأدباء ١٦ : ١١٥ .

(٢) انظر المعاف لابن قتيبة ص ٥٤١ .

(٣) انظر أخبار النحويين للسيرافي ص ٦٤ .

(٤) انظر نزهة الألباء لابن الأنباري ص ٦٥ ، وقد نقلت هذه الرواية عن عبد الباقي بن عبد قانع بن مرزوق بن واثق ، قاض من حفاظ الحديث له كتاب معجم الصحابة بالإسناد وتوفي سنة ٣٥١ هـ وذكّر أنه اختلط في آخر عمره. انظر لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج ٣ ط ٢ / ١٣٩٠ هـ / ١٩٧١ بيروت ص ٣٨٣ - ٣٨٤ ، وانظر كذلك تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٣ ط ٤ / ٤ ، بيروت ص ٨٨٣ .

وتباينت الروايات في المدى الزمني الذي عاشه سيبويه، فقد ذهب بعض الرواة إلى أنه عاش نيفاً وأربعين سنة وهي رواية تَرِدُ كثيراً في تراجم سيبويه^(١). ورَوِيَ أيضاً أنه عاش بضعاً وثلاثين سنة. وذكر ابن الجراح أن بعض البصريين يزعمون أن سيبويه مات وله نيف وعشرون سنة^(٢). والرواية التي نقلها ابن الجراح عن بعض البصريين مستبعدة، لأن نيفاً وعشرين سنة مدى قصير غير كاف لأن يأخذ سيبويه العلم عن شيوخه، ثم ينجز هذا العمل الكبير.

وليس بين يدي أدلة واضحة تقطع بالمدّة التي عاشها سيبويه. ولكنني أرجح أن يكون سيبويه بلغ ستاً وأربعين سنة ونحو ذلك. وهذا مبني على أن سيبويه أخذ في صباه عن عيسى بن عمر، وسيأتي الكلام على ذلك مفصلاً في الفصل الأول من الباب الثاني إن شاء الله^(٣).

وأخلص من ذلك كله إلى ترجيح أن يكون سيبويه وُلِدَ في حدود سنة ١٣٤ هـ ، وتوفي سنة ١٨٠ هـ على وجه التقريب لا القطع.

(١) انظر مقدمة تهذيب اللغة للأزهري ص ١٩ ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١٢ ط ١ / ١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م - السعادة مصر ، ص ١٩٨ ، ومعجم الأدباء لياقوت ١٦ : ١١٥ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٣ : ٤٦٤ ، وإنباه الرواة للقفطي ٢ : ٣٤٨ وغيرهم.

(٢) انظر الورقة لأبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح ، تحقيق د. عبد الوهاب عزام ، وعبد الستار أحمد فراج ط ٢ / معارف مصر ص ٢٦.

(٣) انظر ص ٧٤ من هذا البحث.

المبحث الثالث: شيوخ سيبويه وتلاميذه

أخذ سيبويه العلم عن طائفة من العلماء منهم: عيسى بن عمر الثقفي (ت ١٤٩ هـ) وحماد بن سلمة بن دينار (ت ١٦٧ هـ) وهارون بن موسى (ت ١٧٠ هـ) والخليل بن أحمد (ت ١٧٠ أو ١٧٥ هـ) وأبو الخطاب الأخفش عبد الحميد بن عبد الحميد (ت ١٧٧ هـ) ويونس بن حبيب (١٨٣ هـ) ويعقوب بن إسحاق الحضرمي (ت ٢٠٥ هـ) كما رَوَى مِنْ غير مشافهة عن أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) ويُذَكَّرُ أيضاً أَنَّهُ أَخَذَ الْعِلْمَ عَنْ أَبِي زَيْدٍ سَعِيدِ بْنِ أَوْسِ الْأَنْصَارِيِّ (ت ٢١٥ هـ) وغيرهم.

ولما كانت رواية سيبويه عن بعض هؤلاء الأعلام تحتاج إلى بحث وتوثيق رأيتُ أن أرجئ ذلك إلى موضعه في الفصل الأول من الباب الثاني حيث فَصَّلْتُ القول في رواية سيبويه عن هؤلاء الأعلام وطرقها وصيغها^(١).

أما تلاميذ سيبويه فقد ذَكَرَ الأستاذ عبد السلام محمد هارون في ترجمته لسيبويه أن المعروفين منهم ثلاثة هم^(٢):

أ. أبو الحسن الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥ هـ) والأخفش الأوسط مولى لبني مجاشع بن دارم ، وهو من أبرز أعلام النحويين البصريين بعد سيبويه. وكان أسنَّ من سيبويه ، ومع ذلك أخذ عن سيبويه ، بل اعتره الرواة الطريق إلى كتاب سيبويه لأننا (لا نعلم أحداً قرأه على سيبويه ، ولا قرأه عليه سيبويه ، ولكنه لما مات سيبويه قُرئ الكتاب على أبي الحسن الأخفش)^(٣) ورَوَى ابن قتيبة

(١) انظر ص ٦٧ .

(٢) انظر مقدمة عبد السلام محمد هارون لكتاب سيبويه ١ : ١٥ .

(٣) انظر أخبار النحويين للسيرافي ص ٦٦ ، ونزهة الألباء لابن الأنباري ص ١٣٣ .

عن الرياشي قال: (سمعتُ الأَخفش يقول: كان سيبويه إذا وضع شيئاً من كتابه عرضه عليّ ، وهو يرى أنّي أعلمُ منه ، وكان أعلمَ مِنّي ، وأنا اليوم أعلمُ منه)^(١).

ب. قطرب ، أبو علي محمد بن المستنير البصريّ (ت ٢٠٦ هـ) ، قال السيرافي: (ويقال: إنه إنّما سُمِّيَ قطرباً لأنَّ سيبويه كان يخرج بالأسحار فيراه علي بابيه ، فيقول: إنّما أنتَ قطربُ ليل)^(٢).

وذكره أبو الطيّب اللغويّ فيمن اختصَّ بالأخذ عن يونس دون غيره^(٣) ورُبَّما تُفسَّر هذه الرواية على أنه اختصَّ بيونس بعد وفاة سيبويه.

ج. الناشئ:

قال أبو الطيّب: (وكان ممن أخذ عن سيبويه والأخفش رجل يعرف بالناشئ ، ووضع كتباً في النحو مات قبل أن يستتمّها وتؤخذ عنه، فأخبرنا محمد بن يحيى قال: سمعتُ محمد بن يزيد يقول: لو خرج علم الناشئ إلى الناس لما تقدّمه أحد)^(٤).

ولم أعر على ترجمة للناشئ الذي ذكر أبو الطيّب أنه من تلاميذ سيبويه. وعلّل الأستاذ عبد السلام محمد هارون قلة هؤلاء التلاميذ للحبسة التي في لسان سيبويه ، واعتبر أن هذه الحبسة (على ما يبدو من مبالغة في تصويرها هي التي دعت به إلى التأليف وتنحّت به عن مقام الأستاذية الواسعة إلى مقام التأليف البارع المقتدر)^(٥).

وأرى أن هناك احتمالاً أقوى مما ذهب إليه الأستاذ عبد السلام هارون ، وهو أن يكون سيبويه آثر العزلة في بيته ليرتب كتابه وينسخه ، ولا يكاد يزوره من تلاميذه

(١) المعارف لابن قتيبة ص ٥٤٦ .

(٢) أخبار النحويين للسيرافي ص ٦٥ .

(٣) انظر مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص ٦٧ .

(٤) السابق نفسه ص ٨٥ .

(٥) مقدمه عبد السلام هارون لكتاب سيبويه ١ : ١٧ .

المقرّين إلا الأحفش وقطرب. وليست الحبسة عقبة تحول بين سيبويه وتلاميذه. هذا إذا سلّمنا بها ولم نقل إنها مُخلّقة عليه ، أو أنّ هناك مبالغة في تصويرها. كما أنّنا لانستطيع أنّ نحكم بقلة تلاميذ سيبويه لأنّ بعض هؤلاء كانوا مغمورين لم تكشف المصادر عن حياتهم. وقد ذكر الجاحظ أنّ ممّن رَوّوا عن سيبويه: خشنام الأعور^(١). وورد في الأغاني في رواية ابن عائشة: (كان عتبة النحويّ من أصحاب سيبويه ، وكان صاحب نحو ، فهماً بما يشرحه ويفسّره على مذاهب أصحابه)^(٢).

(١) انظر الحيوان للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون ج ٣، ط/٣ بيروت ١٣٨٨ هـ/١٩٦٩ م ص ٤٩٧.

(٢) الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني ج ١٨ شرح عبد أعلى مهنا ط/٢ ١٤١٢ هـ/١٩٩٢ ص ١٨٨ .

المبحث الرابع: مناظرة سيويه والكسائي.

تضمّنت كتب التراجم بعض المناظرات التي جرت في عصر سيويه. ولا تكاد تجاوز هذه المناظرات اختلاف مناهج العلماء في قياس اللغة ووجوه الإعراب. ورُبّما فُصل في بعضها بالرجوع إلى شهادة الأعراب البُداء. ومن ذلك مناظرة الكسائي واليزيدي^(١)، والتي كانت الغلبة فيها لليزيدي بعد أن شهد الأعراب له^(٢).

ومن هذا القبيل المناظرة التي جرت بين سيويه والكسائي فقد كان الفصل فيها للأعراب الذين شهدوا للكسائي على سيويه.

وقد وجدت هذه المناظرة اهتماماً كبيراً من الرواة والعلماء، لمنزلة المتناظرين. فقد جمع الكسائي إلى زعامة الكرفيين مكانةً رفيعةً في حاشية الخليفة العباسي هارون الرشيد، إذ كان مؤدّب ولده ولسان اللغة والأدب في مجلسه.

وكان سيويه إمام البصريين ولم تكن له حظوة في قصور الخلفاء والوزراء. ولعله تأسى في ذلك بشيخه الخليل بن أحمد.

وممّن أشار إلى هذه المناظرة ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) ولكنه اختصر أمرها اختصاراً شديداً، وطوى تفاصيلها طياً عاجلاً^(٣).

أما ابن الجراح - وقد عاش إلى أواخر القرن الثالث الهجري ت ٢٩٦ هـ - فقد أضاف بعض التفاصيل، وكشف عن بعض جوانب هذه المناظرة، وما انتهى إليه أمرها. فقد قال: (وجمع الرشيد بينهم وبين سيويه البصري فخطأه الكسائي وغلماها

(١) هو أبو محمد اليزيدي^{سكن} ابن المبارك (ت ٢٠٢ هـ) انظر ترجمته في أخبار النحويين للسرياني ص ٥٦ - ٥٨ ، ٦٠ ،

(٢) انظر بغية الوعاة للسيوطي ٢ : ٢٣٠ .

(٣) انظر المعارف لابن قتيبة ص ٥٤٤ .

، فأمر الرشيد بصرف سيويه. وأمر له بعشرة آلاف درهم. فلم يدخل البصرة
استحياءً مما وقع عليه ، ومضى إلى فارس فمات بها^(١).

فإذا تجاوزنا ابن قتيبة وابن الجراح فلا نجد لهذه المناظرة ذكراً عند أبي الطيب
اللغوي^(٢) (ت ٣٥١ هـ) ولا عند أبي سعيد السيرافي^(٣) (ت ٣٦٨ هـ). ولكن هناك رواية
ذكرها أبو الطيب اللغوي ينتهي سندها إلى أبي حاتم السجستاني^(٤) (سهل بن محمد ت
٢٤٨ هـ) قال: (فلولا أن الكسائي دنا من الخلفاء فرفعوا من ذكره لم يكن شيئاً ،
وعلمه مختلط بلا حجج ولا علل إلا حكايات عن الأعراب مطروحة لأنه كان
يلقنهم ما يريد)^(٥).

ربما كانت هذه إشارة ضمنية إلى ما ذكر من تحامل الأعراب على سيويه
وتعصبهم للكسائي ، وكانهم قد أعدوا لهذا الموقف مسبقاً^(٦).
وقد علل الأستاذ علي النجدي إغفال السيرافي لهذه المناظرة لأنها: (تعديل به عمّا
قصد إليه من الإيجاز في رواية أخبار النحويين. وفي شهرتها وتحقق العلم بها غناء عن
ذكرها وتكرار روايتها)^(٧).

والحق أن السيرافي لم يلتزم بهذا الإيجاز في كل من ترجم لهم. فقد أفاض في
أخبار أبي زيد وأخبار الأصمعي ، وأخبار المازني^(٨).
وتذهب أغلب الروايات إلى أن هذه المناظرة كانت في خلافة الرشيد (١٧٠-
١٩٣ هـ) ولكن لم يذكر الرواة السنة التي تناظر فيها هذان العلمان الجليلان.

(١) الورقة لابن الجراح ص ٢٦ (في ترجمة الكسائي).

(٢) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص ٧٤.

(٣) انظر معجم الأدباء لياقوت ١٦ : ١٢١ .

(٤) سيويه إمام النحاة لعلي النجدي ط/ مصر ص ١١١ .

(٥) انظر أخبار النحويين للسيرافي ٦٨ - ٩٥ .

ويغلبُ على ظنيُّ أن يكون سيويوه رحل إلى بغداد بين عامي ١٧٤ و ١٧٧ هـ. فقد استتبَّ الأمرُ للخليفة هارون الرشيد خلال هذه الفترة بدليل أنه فَوَّضَ أمره كلها إلى وزيره يحيى بن خالد بن برمك^(١). وكأنَّه بهذا التفويض يخفف من أعبائه السياسية بعد أن اطمأنَّ إلى هدوء الأحوال. والراجح عندي أن يكون سيويوه خرج من البصرة في حدود هذه الفترة وبعد وفاة الخليل بن أحمد. وربَّما لم يطب له المقام بعد رحيل شيخه عن الدنيا فأثر الرحلة عسى أن يجد في ذلك بعض العزاء.

وتذكر الروايات أن سيويوه قدم العراق على يحيى بن خالد ، غير أن الخبر يتشعب بعد ذلك. فياقوت ينقل رواية خلاصتها أن سيويوه طلب من يحيى بن خالد أن يجمع بينه وبين الكسائي ، وأنَّ خالدًا حدَّره لأنَّ الكسائي: (شيخ مدينة السلام وقارئها ، ومؤدب وُلد أمير المؤمنين وكلَّ مَنْ في المصر معه ، فأبى إلا أن يجمع بينهما ، فعرف الرشيد خيره فأمره بالجمع بينهما)^(٢).

ولا أحسب أن سيويوه يرحل إلى بغداد متحدِّياً شيخ مدينة السلام ، لأنَّه كان يعرف منزلة الكسائي في بلاط بني العباس. وإنما خرج سيويوه تحيط به هالة من التقدير والثناء بعد أن أنجز كتابه بصورة لم يُسبق إليها.

أما القفطي فيورد رواية أخرى ملخصها أن يحيى بن خالد اشتاقت نفسه إلى سماع كلام سيويوه ، فأشير عليه بأن يجمع بينه وبين الكسائي. وهذه الرواية ضعيفة ، لأنَّ راويها ذكر أن الأحفش الأوسط حضر هذه المناظرة^(٣). ولو كان الأحفش الأوسط ممَّن حضر هذه المناظرة لما أحجم عن ذكرها أو الإشارة إليها. ولم أعثر في الأخبار المروية عنه ما يُثبت أنه صاحب سيويوه في هذه الرحلة.

(١) انظر تاريخ الطبري ٨ : ٢٥٦ .

(٢) معجم الأدباء لياقوت ١٦ : ١١٩ .

(٣) انظر إنباه الرواة للقفطي ٢ : ٣٤٨ .

وقد أفرد عبد الرحمن بن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) مسألة لهذه المناظرة في كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف ، ولكنه ذكر خلفاً الأحمر فيمن حضر هذه المناظرة وعده من أصحاب الكسائي^(١).

والمعروف من الكوفيين بالأحمر هو علي بن المبارك (ت ١٩٤ هـ) أما خلف الأحمر (ت ١٨٠ هـ) فهو بصريّ. وهذا السهو وقع فيه أيضاً ابن هشام الأنصاريّ (ت ٧٦١ هـ) في عرضه لهذه المناظرة^(٢).

والراجح عندي أنّ هذه المناظرة أُحيطتْ بشيء من المبالغات والزيادات. وهذا يرجع إلى التنافس الشديد بين البصريين والكوفيين في الانتصار لعلمائهم ورؤسائهم. وهذا يُفسّر لنا اهتمام الرواة والعلماء بهذه المناظرة اهتماماً زائداً عمّا كان عليه الأمر في القرنين الثالث والرابع من الهجرة.

ولم يستبعد الأستاذ أحمد أمين أن تكون أصابع السياسة قد لعبت دورها في هذه المسألة لميل الكوفيين في الجملة سياسياً لبني العباس ، وانصراف البصريين عنهم من جهة أخرى^(٣).

ولا أحسب أنّ العباسيين يُقدّمون على هذه الخطوة وهم يواجهون ثورات مكشوفة وأخرى مستترة ، فكأنّهم بهذا يُعمّقون جراحهم ويزيدون الأمور تعقيداً. بل ربّما كان من أهدافهم استقطاب العلماء وإلهاب المنافسة بينهم ، وتهيئة مناخ علمي يجذب انتباه الناس إلى الدولة.

وهذه المناظرة - في تقديري - لقاء جمع بين عالمين لكلّ منهما مذهبه في اللغة والنحو. والأمر لا يعدو أن يكون اختلافاً في المنهج الذي يتبعه كلّ منهما. فسيويّه

(١) انظر الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لعبد الرحمن بن الأنباري ج ٢ بشرح وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد ط/٤ ١٣٨٠ هـ/١٩٦١ م ، مصر ص ٧٠٣ .

(٢) انظر مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام الأنصاري تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ط/٥ ١٩٧٩ م بيروت ص ١٢٢ وقد نبه محققا الكتاب إلى هذا السهو.

(٣) انظر ضحى الإسلام لأحمد أمين ج ٢ الطبعة العاشرة - بيروت ص ٣٤ - ٣٥ .

يعتدُّ بالكثير الشائع من الوجوه والكسائيّ ربّما أخذ بالقليل واحتجّ به. ولا أشك في أنّ من حضر هذا المجلس من العلماء يعرفون طريقة المتناظرين ومنهجهما في الأخذ والردّ. فلم يكن ماقاله الكسائيّ غريباً عليهم. ولم يكن ردّ سيبويه مفاجئاً لهم. وربّما كان الكسائيّ أظهر حجّة وهو يستشهد بقوم من البدو، وهذا لم يمنع سيبويه من أن يتمسك بالمنهج الذي ارتضاه لأحكامه. ولا أحسب أنّ هذا الموقف يستدعي أن يخرج سيبويه صاغراً مُستضعفاً، يُطلب له العون الماديّ لما تجشّمه من الرحلة إلى بغداد.

وقد استنتج بعض الباحثين المعاصرين أنّ هذه المناظرة (كشفت لنا قصور سيبويه في معرفته التامة، ودرايته الكاملة بلغات العرب إذ اكتفى بالرفع، فردّ عليه الكسائيّ وقال: العرب ترفع ذلك كله وتنصب، أي أنّ الرفع لغة والنصب لغة أخرى)^(١).

وهذا في تقديري - حكم غير صحيح، لأنّ اكفاء سيبويه بالرفع لا يعني أنّ معرفته بلغات العرب قاصرة. وإنما اختار سيبويه الوجه الشائع الكثير. وحسبك القرآن الكريم، فقد جاء في قصة موسى عليه السلام قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ

فَإِذَا هِيَ تُعْبَأُ مُبِينٌ* وَنَزَعْنَاهُ فِإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّاطِرِينَ﴾^(٢).

أما علّم سيبويه بلغات العرب فإنّ كتابه خير دليل على سعة علمه بهذه اللغات. والشواهد على ذلك كثيرة منها قوله في الكتاب: (ومن ذلك أيضاً قولك: مررتُ برجلٍ صالحٍ، وإنّ لا صالحاً فطالِحٌ. ومن العرب من يقول: إن لا صالحاً فطالِحاً. كأنّه يقول: إن لا يكن صالحاً فقد مررت به أو لقيته طالِحاً)^(٣).

(١) سيبويه جامع النحو العربي، د. فوزي مسعود ط/مصر ١٩٨٦ م ص ٣٧.

(٢) الأعراف: ١٠٧، ١٠٨.

(٣) كتاب سيبويه ١: ٢٦٢.

ويقول في موضع آخر: (ومن العرب مَنْ ينصب بالألف واللام، من ذلك قولك: الحمد لله، فينصبها عامة بني تميم وناس من العرب كثير)^(١).
وأورد سيبويه لغات العرب في كسر حرف المضارعة وفصل القول في ذلك^(٢).
وأورد لغات لتميم وأسد وغيرهما^(٣).

(١) كتاب سيبويه: ٣٢٩.

(٢) انظر السابق نفسه: ٤ : ١١٠.

(٣) انظر السابق نفسه: ٤ : ١٧٧.

المبحث الخامس: أثر الثقافة الفارسية في سيبويه النحوي

سيبويه فارسي الأصل وقد طغى هذا اللقب على اسمه. ومعنى سيبويه - كما فسره السيرافي - رائحة التفاح^(١) والمعروف أن السيرافي، الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت ٣٦٨ هـ) فارسي الأصل، وُلِدَ في سِراف. وكان أبوه بهزادُ بحوسياً، فلما أسلم سماه ابنه عبد الله^(٢).

وقد تقصّى الأستاذ عبد السلام هارون معنى هذا اللقب فقال: (ألقى العلماء الأقدمون ضوءاً على هذا اللقب الفارسي، فذكروا أنه مركب من (سيب) بمعنى التفاح، و(ويه) بمعنى الرائحة. وقد بحثتُ وسألتُ كثيراً من دارسي الفارسية عن صحّة الزعم بأنّ (ويه) كلمة تدلّ على الرائحة فاهتديتُ إلى بطلان ذلك، وأنّ لا أساس له من الصحّة)^(٣).

والحقّ أنّ (ويه) بمعنى الرائحة ليست في المعجم الفارسي. غير أنّ لفظ سيبويه حُرّف في لسان العرب عن أصله الفارسي. وقد فطن الخليل بن أحمد لذلك. جاء في الكتاب: (وأما عمرويه فإنه زعم أنه أعجمي، وأنه ضرب من الأسماء الأعجمية، وألزموا آخره شيئاً لم يلزم الأسماء الأعجمية)^(٤).

فهذه اللاحقة محرّفة عن أصلها الفارسي لأنّ (ويه) لا معنى لها في كلام الفرس. وقد بحثتُ في بعض المعاجم الفارسية عن معنى سيبويه فوجدتُ معناها مطابقاً لما ذكره السيرافي. فقد وردَ في المعجم الفارسي أنّ (سيب) من معانيها التفاح، و(بُويا)

(١) انظر أخبار النحويين للسيرافي ص ٦٣ .

(٢) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ١ : ٣٦٠ .

(٣) مقدمة عبد السلام هارون لكتاب سيبويه ١ : ٣ - ٤ .

(٤) كتاب سيبويه ٣ : ٣٠١ .

تعني ذا عبير ، أو مُعَطَّر^(١) وعلى هذين المعنيين فأصل سيبويه: سيب بُويا ، وتعني عبير التفاح أو رائحة التفاح.

ومما يؤيد أن أصل سيبويه: سيب بُويا ، قول ابن خلكان: (والعجم يقولون سيبويه بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الياء المثناة بعدها)^(٢).

فالضبط الذي ذكره ابن خلكان مطابق لضبط المعجم الفارسي باستثناء تحويل الألف إلى هاء.

وهذا اللقب لا يُعتبر مقياساً لأثر البيئة الفارسية في شخصية سيبويه النحوي. فقد نشأ سيبويه في البصرة ، إن لم نقل إنه وُلِدَ بها. وهذه النشأة تعني الامتزاج بالمجتمع العربي في البصرة. صحيح أن البصرة كانت تأوي عدداً كبيراً من الفرس وغيرهم من الأعاجم ، لكن كانت اللغة المشتركة لكلِّ السكَّان هي العربية. وهي كذلك لغة العلم والتدوين والمكاتبات والمعاملات. وتلقى سيبويه - بحكم نشأته المبكرة في البصرة - مبادئ المعرفة على أيدي علماء هذه المدينة ، واختلف إلى حلقات القراء والمحدثين والنحويين. وكان لهذا تأثيره الواضح في شخصيته وتفكيره ومنهجه.

ولا يعني هذا أن سيبويه انفصل تماماً عن لغة آبائه ، وإنما المقصد أن الثقافة العربية ملكت عليه تفكيره ومنهجه حتى صار علماً من أعلام النحو. وليس صحيحاً أن معرفة سيبويه باللغة الفارسية كانت (عاملاً من عوامل خدمة اللغة العربية والإضافة إليها بمجهود ذاتية خاصة بسيبويه دون غيره من الشيوخ والأئمة السابقين)^(٣).

وربما أغرى من يذهبون إلى هذا الرأي أن سيبويه عقد في كتابه باباً للأسماء الأعجمية. والحق أن ما ذكره سيبويه في هذا الباب لا ينهض دليلاً على جهود ذاتية

(١) انظر المعجم النهي (فارسي عربي) د. محمد التونجي ط/١ بيروت ١٩٦٩ م ص ١٢٥ ، ٣٥٧ .

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣ : ٤٦٥ .

(٣) سيبويه جامع النحو العربي د. فوزي مسعود ص ١٢٣ .

خاصة بسيبويه. فسيبويه في هذا الباب ييسط رأي أستاذه الخليل بن أحمد حول الأسماء الأعجمية التي دخلت في حيز العربية، فإذا سُمِّيَ بها صُرِّفَتْ إلا أن يمنعها من الصرف ما يمنع الأسماء العربية^(١).

فالمعالجة في هذا الباب عربية لم تخرج عن القياس المؤلف. ويلاحظ هذا أيضاً في باب ما أُعْرِبَ من الأعجمية، وباب اطراد الإبدال في الفارسية، فالذين يعربون الأعجمية أو يبدلون حروفها هم العرب، فالكلام ينصرف إلى تصريف العرب في الألفاظ الفارسية^(٢).

وأخلص من ذلك إلى أن سيبويه كان يعرف الفارسية أو يلم بها بحكم أصله؛ الفارسي، ولكن هذه المعرفة أو هذا الإلمام لم يؤثر كثيراً في ثقافته العربية.

(١) انظر كتاب سيبويه ٣ : ٢٣٤ .

(٢) انظر السابق ٤ : ٣٠٣ - ٣٠٥ .

المبحث الأول: المؤلفات النحوية قبل كتاب سيبويه

هناك روايات تتحدث عن نشأة النحو والأسباب التي دفعت ولاة الأمور والعلماء إلى التفكير في وضع منهج يحفظ سلامة اللغة. وهذه الأسباب - على وجه العموم - لا تخرج عن الإحساس بالخطر الذي بدأ يهدد سلامة اللغة ونقاءها نتيجة لاختلاط الأعاجم بالعرب وبخاصة بعد التوسع في الفتوحات الإسلامية ولهذا تصدّى القائمون بالأمر والعلماء لظاهرة اللحن صوتاً لكتاب الله تعالى من التحريف.

ويذهب أبو الطيب اللغوي وغيره إلى أن أبا الأسود الدؤلي (ظالم بن عمرو ت ٦٩ هـ) أول من رسم للناس النحو، ويُنسب إلى الخليل أنه قال: (لم يزل أبو الأسود ضنيناً بما أخذه عن علي عليه السلام، حتى قال له زياد: قد فسدت السنة الناس، وذلك أنهما سمعا رجلاً يقول: قد سقطت عصاتي. فوافقه أبو الأسود)^(١).

ويقول السيرافي بعد أن ذكر اختلاف المؤرخين في أول من رسم النحو: (وأكثر الناس على أبي الأسود الدؤلي)^(٢).

وتنسب بعض المراجع إلى علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - أنه كتب في رقعة: الكلام كله اسم وفعل وحرف، ثم دفع بهذه الرقعة إلى أبي الأسود الدؤلي لينحو هذا النحو^(٣).

وذكر السيوطي أن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت ١١٧ هـ) (تكلم في الهمز حتى عمل فيه كتاباً مما أملاه)^(٤).

(١) مراتب النحويين لأبي الطيب ص ٨.

(٢) أخبار النحويين للسيرافي، ٣٣.

(٣) انظر نزهة الألباء لابن الأنباري ص ٤.

(٤) الزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، ج ٢ شرح وتعليق محمد أحمد جاد المولى وآخرين ط/ الحلبي القاهرة

ص ٢٩٨.

وَيُنسَبُ إِلَى عَيْسَى بْنِ عَمْرِ (ت ١٤٩ هـ) أَنَّهُ وَضَعَ كِتَابَيْنِ فِي النُّحُوِّ هُمَا الْجَامِعُ وَالْإِكْمَالُ. قَالَ السِّرَافِيُّ: (وَهَذَانِ الْكِتَابَانِ مَا وَقَعَا إِلَيْنَا ، وَلَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَذْكَرُ أَنَّهُ رَأَاهُمَا)^(١).

وَيُرَوَّى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ الْمُبَرَّدِ (ت ٢٨٥ هـ) أَنَّهُ: (قَرَأَ أَوْرَاقًا مِنْ أَحَدِ كِتَابَيْ عَيْسَى بْنِ عَمْرِ فَكَانَ كَالِإِشَارَةِ إِلَى الْأَصُولِ)^(٢).

وَكَلِمَةُ كِتَابٍ لَا تَعْنِي دَائِمًا مُؤَلِّفًا وَاسِعًا يَلْمُ بِالتَّفَاصِيلِ. وَبِهَذَا الْمَعْنَى لَا يُسْتَبَعَدُ أَنْ يَكُونَ عَيْسَى بْنُ عَمْرِ قَدْ صَنَّفَ أَوْرَاقًا فِي أَصُولِ النُّحُوِّ ، وَأَنَّ تَلَامِيذَهُ اسْتَوْعَبُوا هَذِهِ الْأَصُولَ وَوَسَّعُوا فِيهَا بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِكِتَابَيْ عَيْسَى وَجُودٌ مُسْتَقِلٌّ. وَهَذَا رُبَّمَا يَفْسِّرُ أَيْضًا رِوَايَةَ السِّرَافِيِّ.

أَمَّا مَا رُوِيَ مِنْ أَنَّ سَيَّبِيهَ أَخَذَ كِتَابَ الْجَامِعِ وَبَنَى عَلَيْهِ فِرْوَايَةَ ضَعِيفَةً ، لِأَنَّ الْقَفْطِيَّ (ت ٦٤٦ هـ) أوردَهَا بِغَيْرِ سَنَدٍ ، وَصَدَّرَهَا بِمَا يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِهَا وَذَلِكَ قَوْلُهُ: (وَقِيلَ إِنَّهُ أَخَذَ كِتَابَ عَيْسَى بْنِ عَمْرِ الْمُسَمَّى بِالْجَامِعِ وَبَسَطَهُ وَحَشَا عَلَيْهِ مِنْ كَلَامِ الْخَلِيلِ وَغَيْرِهِ)^(٣).

وَقَدْ صَحَّحَ ابْنُ خُلِّكَانَ (ت ٦٨١ هـ) هَذِهِ الرِّوَايَةَ مُسْتَدَلًّا بِأَنَّ الْخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ سَأَلَ سَيَّبِيهَ عَنْ مُصَنَّفَاتِ عَيْسَى بْنِ عَمْرِ ، فَذَكَرَ سَيَّبِيهَ أَنَّ عَيْسَى صَنَّفَ نِيفًا وَسَبْعِينَ مُصَنَّفًا ذَهَبَتْ كُلُّهَا سِوَى كِتَابَيْنِ أَحَدُهُمَا الْإِكْمَالُ وَهُوَ بِأَرْضِ فَارَسٍ ، وَالْآخَرُ الْجَامِعُ وَهُوَ هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي أَسْأَلُكَ عَنْ غَوَامِضِهِ.

وَيَضِيفُ ابْنُ خُلِّكَانَ: أَنَّ الْخَلِيلَ أَطْرَقَ سَاعَةً ثُمَّ أَنْشَدَ:
ذَهَبَ النُّحُوِّ جَمِيعًا كُلُّهُ غَيْرَ مَا أَحَدَتْ عَيْسَى بْنُ عَمْرِ
ذَلِكَ إِكْمَالٌ وَهَذَا جَامِعٌ وَهُمَا لِلنَّاسِ شَمْسٌ وَقَمَرٌ

(١) أخبار النحويين للسيرافي ص ٤٩ .

(٢) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص ٢٣ .

(٣) إنباه الرواة للقفطي ٢ : ٣٤٧ .

فأشار إلى كتاب الإكمال بلفظ الغائب ، وإلى كتاب الجامع بلفظ الحاضر^(١).

وليس في هذه الإشارة دليل يقطع بصحة هذا التفسير ، إذ يحتمل المعنى أن يُشار للقريب بلفظ البعيد لعلّ منزله ورفعته. كما أنّ الوزن يقتضي أن يسبق الإكمال الجامع.

وينبغي أن أشير إلى أنّ الفترة التي سبقت سيويه ما تزال فجوة في تاريخ النحو العربي بالرغم من المحاولات المعاصرة التي بذلت لسدّ هذه الفجوة^(٢).

ويرجع ذلك إلى أنّ كثيراً من المؤلفات النحويّة التي وُضعت في تلك الفترة لم تصل وثائقها إلى أيدينا حتى الآن. كما أنّ بعض ما نُسب إلى علماء تلك الفترة منحول عليهم. ومن ذلك الكتاب المسمّى الجمل في النحو والذي نُسب إلى الخليل ابن أحمد. وقد اطلعت على نسخة من هذا الكتاب ولم أجد فيها ما يُثبت نسبته إلى الخليل بن أحمد ، بل إنّ محتواه وأسلوبه يؤكّدان أنّه لمؤلفٍ آخر من المتأخّرين. من ذلك أنّ مؤلّفه يحكي بعض الأقوال عن الخليل^(٣).

وتردُّ في الكتاب بعض المصطلحات التي لا يقول بها البصريّون ، كالنصب بالصرف^(٤) ، والنصب بالمواجهة^(٥).

(١) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٣: ٤٨٦ - ٤٨٧ وقد تابعه في ذلك أيضاً اليافعي (ت ٧٦٨ هـ) انظر مرآة الجنان ١: ٣٠٧ .

(٢) من ذلك الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي د. عبد العال سالم مكرم ، صدر عن مؤسسة الرسالة بيروت طبعة ثانية لسنة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م

(٣) انظر الجمل في النحو تصنيف الخليل بن أحمد ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ط/١ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ص ١١٥ .

(٤) المرجع نفسه ص ٦٨ .

(٥) المرجع نفسه ص ٩٠ .

ويورد المؤلف في فصل النصب بكم الاستفهامية شواهد كم فيها خبرية
وليست استفهامية^(١).

وإنما احتج بها سيبويه لقبح الفصل بين المضاف والمضاف إليه ، والوجه عنده
النصب كقول القطامي:

كَمْ نَالَيْنِي مِنْهُمْ فَضلاً عَلَى عَدَمٍ إِذْ لَا أَكَادُ مِنَ الْإِقْتَارِ أَحْتَمِلُ^(٢)
ثُمَّ إِنَّ الْمَوْلِيَّ رَوَى لِلْبَيْدِ بْنِ رَيْعَةَ:

نَحْنُ بَنِي أُمِّ الْبَنِينِ الْأَرْبَعَةَ نَحْنُ خَيْرٌ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ
وَصَنَّفَ هَذَا مِنْ قَبِيلِ النَّصْبِ عَلَى الْاِخْتِصَاصِ^(٣). ورواية سيبويه: نحن بنو ...
وعلق عليه بقوله: (فلانينشرونه إلا رفعا ، لأنه لم يرد أن يجعلهم إذا افتخروا أن
يعرفوا بأن عدتهم أربعة ، ولكنه جعل الأربعة وصفاً)^(٤).

فسيبويه يجعل البيت إخباراً لا افتخاراً فينصب على الاختصاص. وما كان
سبويه ليهمل رواية النصب إذا سمعها من الخليل.

فهذه أدلة تثبت أن هذا الكتاب ليس من تصنيف الخليل بن أحمد ، وربما كان
من تصنيف بعض المتأخرين من النحويين ، فوقع الخلط بينه وبين الخليل لسبب من
الأسباب كالتشابه في الأسماء ونحو ذلك.

وخلاصة ما أذهب إليه: أن وجود مؤلفات في النحو قبل سيبويه أمر لا شك فيه.
غير أن هذه المؤلفات لاتعدو أن تكون خطوطاً عريضة ، ومبادئ عامة.

(١) الجمل في النحو ، للخليل بن أحمد ، ص ٩٧ .

(٢) انظر كتاب سيبويه ٢ : ١٦٥ والبيت من شواهد.

(٣) انظر الجمل في النحو تصنيف الخليل ص ٦٦ .

(٤) كتاب سيبويه ٢ : ٢٣٥ ورواية النصب أوردها ابن قتيبة ، وذكر قصة البيت. انظر المعارف ص ٨٩ .

وقد استفاد شيوخ سيويه ، وسيويه نفسه من هذه المؤلفات بعد أن وسَّعوا فيها وأضافوا إليها من علمهم وروايتهم. مما جعل تصانيفهم عملاً مستقلاً متكاملًا ، وليس نقلاً مباشراً ممن سبقهم.

وهذه المحاولات لم يصل أكثرها إلى أيدينا. وعلى هذا نستطيع القول إن كتاب سيويه هو أول محاولة جادة رسمت لدراسة النحو حدوداً واضحة ، ومنهجاً يئناً لم يسبق إليه.

ولاشك في أن سيويه استفاد من جهود العلماء الذين سبقوه كما سيتضح لنا في المباحث التالية من هذا الفصل.

٧١٤١٠٠

المبحث الثاني: تاريخ تأليف الكتاب

صنّف سيبويه كتابه - بصورته التي بين أيدينا - بعد وفاة الخليل بن أحمد سنة ١٧٠ هـ على القول المشهور^(١).

وقد استدلل بعض الباحثين المعاصرين على تأليف الكتاب بعد وفاة الخليل بأنه (لم ير سيبويه يدعو لشيخه بالرحمة إلا في موضع واحد من الكتاب)^(٢) وهذا بحسب النسخة التي توفرت له وهي طبعة بولاق.

أما النسخة التي حققها الأستاذ عبد السلام محمد هارون فإن اسم الخليل يقترن غالباً بالدعاء له بالرحمة ، بل شملت هذه الرحمة يونس بن حبيب أيضاً^(٣). ويبدو أنّ الدعاء بالرحمة من زيادات نساخ الكتاب ، وإن كان هذا الدعاء ليس خاصاً بالأموات فقط.

ومن أظهر الأدلة على تأليف الكتاب بعد وفاة الخليل قول سيبويه: (وحدثني مَنْ لا أتهم عن الخليل أنّه سمع أعرابياً يقول: إذا بلغ الرجلُ الستينَ فإياه وإيا الشواب)^(٤). فهذه رواية غير مباشرة عن الخليل تُثبت أنّ سيبويه أنجز هذا العمل بعد وفاة شيخه. ونحو ذلك قوله: (وقد ذكّر لي بعضهم أنّ الخليل قال: أن مضمرة بعد إذن...)^(٥). ويظهر من سياق هذه الرواية أنّها نُقلت عن الخليل بعد وفاته.

ومن العسير أنّ أحدّد سنةً بعينها وأقطع أنّ سيبويه أنجز فيها كتابه ، ولكنني أرجح أنّ يكون سيبويه أنجز هذا العمل في حدود سنة ١٧٣ هـ ، وهذا بناء على أنّ

(١) اختلف في وفاة الخليل على أقوال أشهرها أنه توفي سنة ١٧٠ هـ انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٢: ٢٤٨
(٢) سيبويه إمام النحاة لعلي النحدي ص ١٢٥ . ولعله يشير إلى قول سيبويه: وهذا قول الخليل يرحمة الله ، انظر طبعة بولاق ١: ٤٨ والعبارة أيضاً في طبعة هارون ١: ٩٢ .
(٣) انظر كتاب سيبويه ١: ٤٢٨ ، ٢: ١٥٩ .
(٤) كتاب سيبويه ١: ٢٧٩ .
(٥) كتاب سيبويه ٣: ١٦ .

الخليل توفي سنة ١٧٠ هـ ، وأنَّ سيّويه أتمَّ كتابه في مدَّة وجيزة بعد وفاة شيخه. وفي
المبحث التالي بيان واف لهذا الطور من أطوار الكتاب.

المبحث الثالث: أطوار تأليف الكتاب

مرَّ كتاب سيبويه بأطوار ثلاثة قبل أن يخرج لأول مرَّة إلى القراء:

الطور الأوَّل: وهو طور المتن الذي أخذ سيبويه أغلبه عن شيخه الخليل بن أحمد. وأرجَّح أنَّ سيبويه كان يختزن في ذاكرته ما يسمعه من شيخه من مواد اللغة ونحوها حتَّى إذا عادَ إلى بيته سجَّلَ هذا المتن ودوَّن شواهدَه وأمثله. ورَّعما استملى سيبويه على الخليل ، وقَيَّد بعض الشواهد أو وجوه الإعراب وخاصة في المواضع التي يكثرُ فيها استشهاد الخليل بالقرآن الكريم أو الشعر. وهذا الطور - في تقديري - أهم وأخطر أطوار الكتاب.

الطور الثاني: وهو طور المعارضة والاستفسار والتوثيق. فقد كان سيبويه يوازن بين أقوال الخليل وبين أقوال شيوخه الآخرين. وكان يبالي أحياناً في السؤال عن وجوه الإعراب. وكان لا ينقطع عن دار شيخه الخليل بن أحمد ، حتَّى روي أنَّ الخليل كان يقول إذا رآه: (مرحباً بزائر لا يمل ، لايقولها لغيره)^(١).

ولم يقتصر هذا الطور على الخليل فحسب ، وإنما كان سيبويه على اتصال بشيوخه الآخرين كيونس بن حبيب وأبي الخطاب الأخفش وغيرهما. ويكفي أن نُحصي عددَ الأسئلة التي طرحها سيبويه على شيوخه ، وخاصة الخليل بن أحمد ، لتعلم مقدار ما بذله من جهد في هذا الطور في سبيل الإحاطة بوجوه الإعراب ولغات العرب^(٢).

الطور الثالث: وهو طور تحرير المادة ونسخها في صورتها النهائية. ومن المرجَّح أنَّ البداية الفعلية لهذا الطور كانت بعد وفاة الخليل. ومن المرجَّح أيضاً أنَّ سيبويه تفرَّغ في هذه المرحلة إلى كتابه يراجع ما استنسخ من أوراق ، ويفصّل ما أجمله شيوخه ، ويستكثر من الأمثلة ، ويرتب أبواب الكتاب ومواده.

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣: ٤٦٤ .

(٢) انظر ص: ٦٧ وما بعدها من هذا البحث .

والظاهر أنَّ سيويه أنجزَ الطور الأخير من كتابه بسرعة أذهلت الأحياء من
شيوخه. فقد روي عن يونس ، لما قيل له: إنَّ سيويه صنَّف ألف ورقة من علم
الخليل ، أنَّه قال: (ومتى سمع سيويه من الخليل هذا كله)^(١) وفي رواية أخرى: (أظنُّ
هذا الغلام يكذب على الخليل)^(٢).

ولم يكن الغلام كاذباً لأنه صدق في نقله عن الخليل ويونس وغيرهما من
شيوخه.

وأرجح أنَّ سيويه كان يمضي في هذا العمل الكبير بصبر وصمت ، لا يكاد
يطلع عليه أحداً إذا استثنينا الأخفش الأوسط ، سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥ هـ). فقد
روي عنه أنَّه قال: (كان سيويه إذا وضع شيئاً من كتابه عرضه عليّ ، وهو يرى أنني
أعلمُ منه ، وكان أعلمَ مني ، وأنا اليوم أعلمُ منه)^(٣).

وربما كان سيويه يدرك خطورة هذا العمل المضي ، فكان لا بدَّ أن يصطفي أحداً
من أصحابه ، يستأنس برأيه ويعهد إليه بكتابه إن ألمَّ به مكروه. ولم يجد سيويه
أفضل من صاحبه أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش. وقد صدق إحساس سيويه
، إذ قدر لأبي الحسن الأخفش أن يكون الطريق والدليل إلى هذا الكنز الثمين.

ولا تعني عزلة سيويه أثناء تحرير الكتاب أنَّ عمله كان مجهولاً تماماً لمعاصريه.
فبعض هؤلاء كانوا يدركون أنَّ سيويه يجهد نفسه في تحصيل العلم من شيوخه ،
وأنَّه انقطع لتدوين ما سمع عنهم. غير أنَّ ما لم يقف عليه معاصروه هو حجم العمل
الكبير الذي كان يقوم به. فلم يدركوا أنَّه ينسخ سيويه ألف ورقة من علم
الخليل وغيره ، ولم يتوقعوا أنَّ يستوعب الكتاب هذا القدر العظيم من لغات العرب

(١) معجم الأدباء لياقوت ١٦: ١١٧ .

(٢) أخبار النحويين البصريين للسمراني ص ٦٤ .

(٣) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص ٦٩ .

وأَسَالِيهِمْ فِي الْكَلَامِ ، وَأَنَّ يَأْتِيَ هَذَا الْعَمَلُ مَرْتَباً تَرْتِيباً لَمْ يَعْهَدُوا مِثْلَهُ فِي الْمَوْزُونَاتِ
النَّحْوِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ بِأَيْدِيهِمْ.

المبحث الرابع: ظهور الكتاب

لم يظهر كتاب سيويه إلى القراء إلا بعد موت سيويه. إذ (لأنعلم أحداً قرأه على سيويه ، ولا قرأه عليه سيويه ، ولكنه لما مات سيويه قرئ الكتاب على أبي الحسن الأخفش)^(١).

ويعتبر الأخفش الطريق إلى كتاب سيويه ، وهو أول قارئ للكتاب لقوله: (كان سيويه إذا وضع شيئاً من كتابه عرضه عليّ ، وهو يرى أنّي أعلم منه وكان أعلم مني)^(٢).

ولأحسب أنّ أبا الحسن الأخفش قرأ كل كتاب سيويه في حياة صاحبه. والدليل على ذلك أنّ الأخفش أكثر من التعليقات حول الكتاب بعد موت سيويه. وقد روي عن الكسائي أنه قال: (لم يكن في القوم - يعني البصريين - أعلم من الأخفش ، نبههم على عوار الكتاب وتركهم)^(٣).

ربّما كان الكسائي يعني بعض المواضع التي غمض كلام سيويه فيها أو كان للأخفش الأوسط رأى فيها على خلاف ما ذهب إليه سيويه.

والظاهر أنّ سيويه ترك نسخة من كتابه عند الأخفش الأوسط ، فاستنسخ منها لنفسه نسخة وعلق عليها. وربما استغرق النسخ ثلاث أو أربع سنوات ونحو ذلك قبل أن يخرج الكتاب إلى الناس.

أما ما روي من أنّ أبا عمر الجرمي (ت ٢٢٥ هـ) وأبا عثمان المازني (ت ٢٤٩ هـ) توهما أنّ أبا الحسن الأخفش قد همّ أن يدعي الكتاب لنفسه ، وأنّهما لهذا

(١) أخبار النحويين ، للسيرافي ص ٦٦ .

(٢) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص ٦٩ .

(٣) السابق نفسه ص ٦٨ .

السبب قرأ الكتاب عليه حتى يُشيعا أنه لسيبويه^(١) ، فرواية لا يُؤيدها واقع الحال ، لأنه لا سبيل لأبي الحسن الأخفش أن يدعي الكتاب لنفسه. فأغلب روايات الكتاب أخذها سيبويه عن الخليل ، والأخفش لم يرو عن الخليل شيئاً يذكر من اللغة^(٢) .
ومما يُؤيد ذلك أن ابن جني روى عن شيخه أبي علي الفارسي أنه قال: (يكاد يُعرف صدق أبي الحسن ضرورة ، وذلك أنه كان مع الخليل في بلد واحد فلم يحك عنه حرفاً واحداً)^(٣) .

(١) انظر نزهة الألباء لابن الأنباري ص ١٣٤ .

(٢) انظر مراتب النحويين لأبي الطيب اللقوي ص ٦٨ .

(٣) الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني ج ٣ تحقيق محمد علي النجار ط/بيروت ص ٣١١ .

المبحث الخامس: تحقيق الكتاب

حَظِيَّ كِتَابُ سَيُوبِيهِ مِنْذُ ظُهُورِهِ بِعِنَايَةِ الْعُلَمَاءِ وَاهْتِمَامِهِمْ. فَقَدْ حَقَّقَ الْعُلَمَاءُ الْمُتَقَدِّمُونَ وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ شَوَاهِدَ الْكِتَابِ وَنُصُوصَهُ. غَيْرَ أَنَّ هَذَا الْعَمَلَ لَمْ تَتَوَافَرَ لَهُ كُلُّ مَوَاصِفَاتِ التَّحْقِيقِ الْعِلْمِيِّ وَقَوَاعِدِهِ الَّتِي نَعْرِفُهَا فِي الدِّرَاسَةِ الْمَعَاوِرَةِ. فَقَدْ امْتَرَجَتْ تَعْلِيقَاتُ الْعُلَمَاءِ وَشُرُوحُهُمْ بِمَتْنِ الْكِتَابِ حَتَّى أَصْبَحَ مِنَ الْعَسِيرِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ أَنْ يُمَيِّزَ الْقَارِئُ بَيْنَ الْأَصْلِ وَالزِّيَادَةِ.

وَأَوَّلُ مَنْ يُشَارُ إِلَى جِهْوَدِهِ فِي ذَلِكَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ (ت ٢١٥ هـ) فَقَدْ اِحْتَفَظَ بِنَسْخَةِ الْكِتَابِ الْأَوَّلِيَّ وَعَلَّقَ عَلَيْهَا، وَشَرَحَ بَعْضَ غَوَامِضِهَا. وَمَنْ أَسْهَمَ فِي تَحْقِيقِ الْكِتَابِ أَبُو عَمْرٍو الْجَرْمِيَّ (ت ٢٢٥ هـ) فَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (فِي كِتَابِ سَيُوبِيهِ أَلْفٌ وَخَمْسُونَ بَيْتًا، سَأَلْتُ عَنْهَا فَعُرِفَ أَلْفٌ وَلَمْ تُعْرَفْ خَمْسُونَ)^(١).

وَالْحَقُّ أَنَّ فِي كِتَابِ سَيُوبِيهِ عِدَدًا مِنَ الشَّوَاهِدِ نَسَبَتْهَا لَيْسَتْ حَادِثَةٌ. وَمِنْ أَمْثَلَةِ ذَلِكَ:

أ - فِي بَابِ مَا يُخْتَارُ فِيهِ الرَّفْعُ إِذَا ذَكَرْتَ الْمَصْدَرَ الَّذِي يَكُونُ عِلَاجًا: (أَنَّ يُونُسَ وَعَيْسَى جَمِيعًا زَعَمَا أَنَّ رُؤْبَةَ كَانَ يُنْشَدُ هَذَا الْبَيْتَ نَصْبًا:

فِيهَا اَزْدَهَافٌ أَيْمًا اَزْدَهَافٍ

يَحْمَلُهُ عَلَى الْفِعْلِ الَّذِي يَنْصَبُ صَوْتَ حَمَارٍ)^(٢).

فَالنَّسْبَةُ هُنَا مِنْ أَصْلِ الْمَتْنِ وَلَيْسَ لِلجَرْمِيِّ أَوْ غَيْرِهِ عَمَلٌ فِيهَا.

ب - فِي بَابِ مِنَ الْاِخْتِصَاصِ يَجْرِي عَلَى مَا جَرَى عَلَيْهِ النَّدَاءُ: (سَأَلْتُ الْخَلِيلَ

رَحِمَهُ اللَّهُ وَيُونُسَ عَنْ نَصْبِ قَوْلِ الصَّلْتَانِ الْعَبْدِيِّ:

أَيَا شَاعِرًا لَا شَاعَرَ الْيَوْمِ مِثْلَهُ جَرِيرٌ وَلَكِنْ فِي كَلِيبٍ تَوَاضَعُ

(١) معجم الأدباء لياقوت ١٦ : ١٢٣ - ١٢٤ .

(٢) كتاب سيويه ١ : ٣٦٤ .

فزعما أنه غير منادى^(١).

فالسباق يرجح أن نسبة الشعر إلى قائله من عمل سيويه.
جـ - في باب ما تستوي فيه الحروف الخمسة: (وزعم يونس أنه سمع رؤية يقول:
أنا ابن سعد أكرم السعدينا

نصبه على الفخر^(٢).

وهذا جلي في أن نسبته من أصل المتن.

ومن العلماء الذين أسهموا في تحقيق نصوص الكتاب ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)
فقد روى:

وعدت وكان الخلف منك سجية مواعيد عرقوب أحاه يترب

وقال: (هكذا قرأته في كتاب سيويه بالثناء وفتح الراء)^(٣).

والمصراع الثاني في البيت من شواهد سيويه ، وروايته في النسخ التي بين أيدينا :
يثر (بالثناء)^(٤).

ومن العلماء الذين شاركوا في تحقيق نصوص الكتاب أبو سعيد الحسن بن عبد
الله السيرافي (ت ٣٦٨ هـ). ولأبي سعيد السيرافي نسخة من كتاب سيويه تختلف
قليلاً عن النسخ التي بين أيدينا الآن. يدل على ذلك قوله في شرح باب اللفظ

(١) كتاب سيويه ٤ : ٢٣٦ - ٢٣٧ .

(٢) انظر السابق نفسه ٢ : ١٥٣ .

(٣) المعارف لابن قتيبة ص ٦١٢ - ٦١٣ . وكذلك رواه ابن السيرافي معزواً إلى الشماخ وصدده:

أواعدلني ما لا أحاول نفعه

انظر شرح أبيات سيويه لموفق بن السيرافي ج ١ تحقيق د. محمد علي سلطاني ط/دار المأمون ١٩٧٩ م دمشق
ص ٣٤٣ .

(٤) انظر كتاب سيويه ١ : ٢٧٢ ، وطبعة بولاق ١ : ١٣٧ والبيت غير منسوب في الكتاب ، ونسب في خزانة
الأدب ١ : ٢٧ إلى أبي عبيد الأشجعي : وانظر كذلك شرح المفصل للزمخشري للشيخ موفق الدين ابن يعيش ج ١
إدارة الطباعة المنيرية . مصر ص ١١٣ . ولسان العرب لابن منظور (ثرب).

للمعاني: (هذا آخرُ البابِ من كلامِ سيبويه)^(١) ولم يعتبر الأمثلة التي ذكرها سيبويه من صلب الباب بل قال: (وفي الباب من كلام غير سيبويه ما أتينا على شرحه)^(٢).
 ومن تحقيقات السيرافي أنه صَوَّبَ بعض الألفاظ في كتاب سيبويه. ومن ذلك قول سيبويه: (ومثل ذلك في كلامهم أخ وإخوة)^(٣). قال السيرافي: (هكذا رأيتُه في هذه النسخة وغيرها من النسخ ، وهو غلط عندي لأنَّ إخوة فِعْلَةٌ ، وفِعْلَةٌ من الجُمُوع المَكْسُرة القليلة ... والصواب أن يكون مكان إخوة أُخوة)^(٤).
 والسيرافي محقُّ فيما ذهب إليه ، لأنَّ سيبويه عَقَدَ الباب لاسم الجمع الذي لا مفرد له من لفظه ، نحو قوم وركب وسفر ، وإخوة فِعْلَةٌ ومفردها أخ.
 وعقد أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري (ت ٣٨٢ هـ) بابا لما غلط فيه النحويون من الشعر، وانتقد رواية سيبويه لقول الشاعر:
 معاويَ إِنَّا بَشْرٌ فَاسْجِحْ فَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلَا الْحِيدَا
 لأنَّ القصيدة (مشهورة وهي مخفوضة كلها)^(٥).
 وربما يكون سيبويه قصد رواية المنشد ، أو يكون البيت من قصيدة أخرى غير المخفوضة.

فهذه أمثلة لجهود العلماء خلال العصور في توثيق نصوص الكتاب.

(١) شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي ج٢ تحقيق د. رمضان عبد التواب ، مصر ١٩٩٠ ص٦٩ وانظر

أمثلة سيبويه في باب اللفظ للمعاني ١ : ٢٤ .

(٢) شرح كتاب سيبويه للسيرافي ٣ : ٧٤٥ .

(٣) كتاب سيبويه ٣ : ٦٢٥ .

(٤) شرح السيرافي بهامش كتاب سيبويه ٣ : ٦٢٥ .

(٥) شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف ، لأبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري ، ج٢ تحقيق عبد العزيز أحمد ، ط/١ الحلبي مصر ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م ص٢٠٧ . وانظر في هذا الباب أيضاً: العقد الفريد لابن عبد ربه ج٥ شرح وضبط أحمد أمين وآخرين ط/٢ ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م القاهرة ص ٣٩٠ - ٣٩١ والبيت الذي ذكره العسكري من شواهد سيبويه منسوب إلى عقبة الأسدي. انظر الكتاب ١ : ٦٧ .

وقد لخص الأستاذ عبد السلام محمد هارون الجهود المعاصرة في تحقيق الكتاب ونشره ، وتفضل بتقديم سرد تاريخي لطبعات الكتاب منذ ظهور الطبعة الفرنسية في عام ١٨٨١ م إلى الطبعة الأخيرة التي حققها في خمسة أجزاء ، خصص الأخير منها للفهارس الفنية^(١).

(١) انظر مقدمة عبد السلام هارون لكتاب سيويه ص ٤٤ - ٦٢ .

المبحث السادس: أسلوب الكتاب

حرَّرَ سيبويه كتابه بأسلوب ولغة العصر الذي كان يعيش فيه. وهذا الأسلوب يجري أحياناً سهلاً رقيقاً لا يكاد يحتاج إلى شرح أو تعليق. ويغمض في بعض المواضع غموضاً شديداً حين يقصد سيبويه في العبارة اقتصاداً قد يصل إلى درجة الإبهام. ومن ذلك قوله في باب الأمر والنهي:

(أما قول عدي بن زيد:

أزواجٌ مودَّعٌ أم بـكـورٌ أنتَ فانظُرْ لأَيِّ ذاكَ تَصِيرُ

فإنه على أن يكون في الذي يرفع على حالة المنصوب في النصب)^(١). يريد أنك تُقدِّرُ رافعاً يرتفع به (أنت) كما كنت تُقدِّرُ ناصباً ينتصب به الاسم في نحو زيداً اضربه.

ومن أمثلة ذلك أيضاً: باب ما ينتصب من المصادر لأنه حال صار فيه المذكور. فقد علَّقَ السيرافي على هذا الباب بقوله: (هذا الباب فيه صعوبة ، ونقل كلام النحويين من البصريين والكوفيين وكذلك قال الزجاج: هذا باب لم يفهمه إلا الخليل وسيبويه)^(٢).

ومما غمض على دارسي الكتاب قول سيبويه في الحذف اتساعاً: (ما أغفله عنك ، شيئاً)^(٣) فقد غمض تفسير هذه العبارة على جيل من العلماء حتى جاء أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١ هـ) فقال: (معناه: على كلام قد تقدم ، كأنَّ قائلاً قال: زيد ليس بغافل عني. فقال المجيب: بلى ما أغفله عنك ، انظر شيئاً ، أي تفقد أمرك)^(٤).

(١) كتاب سيبويه ١: ١٤٠ : ١٤١ .

(٢) شرح السيرافي بهامش كتاب سيبويه ١: ٣٨٤ .

(٣) كتاب سيبويه ٢: ١٢٩ .

(٤) شرح السيرافي بهامش كتاب سيبويه ٢: ١٢٩ .

وقد يبدو المعنى العام لعبارة سيويه مفهوماً ، ولكن ربما احتاج السياق أحياناً إلى تأويل حتى يستقيم المعنى للقارئ من ذلك قوله: (وليس في الأفعال المضارعة جرّ، كما أنه ليس في الأسماء جزم ، لأنّ المجرور داخل في المضاف إليه معاقب للتونين)^(١). فالعلة التي ذكرها سيويه يسيرة وواضحة ، ولكن قد يُشكل على القارئ سياق العبارة في قوله: لأنّ المجرور داخل في المضاف إليه. ولعله يعني: أنّ المجرور (وهو المضاف إليه) داخل في الأول (وهو المضاف). والهاء تعود على المجرور أي أنّ الثاني المجرور داخل في الأول المضاف إلى الثاني. ويبدو لي أنّ العبارة لو جرّرت بحذف (إليه) لكانت أوضح.

ومن ذلك أيضاً قوله في تعليل بناء الفعل الماضي على الفتح: (ولم يسكنوا آخر فعل لأنّ فيها بعض ما في المضارعة. تقول: هذا رجلٌ ضَرَبْنَا فتصف بها النكرة ، وتكون في موضع ضارب إذا قلت هذا رجل ضارب ، وتقول: إنّ فعل فعلت فيكون في معنى إنّ يفعل أفعل)^(٢).

العلة التي ذكرها سيويه واضحة وجليّة. فالفعل الماضي إنّما بُني على الفتح لأنّه لم يضارع الأسماء مضارعة تامة فيعرب ، ولم يبعد من الأسماء بعداً تاماً فيبنى على السكون ، وكأنّه في منزلة بين الأمرين ، فاستحقّ البناء على الحركة لأنّ فيه بعض ما في المضارعة لوقوعه صفة في قولك: هذا رجل ضربنا.

غير أنّ ظاهر السياق كان يقتضي أن يقول: وتكون في موضع ضارب إذا قلت: هذا رجل ضَرَبَ ، أو ضارَبَ بفتح الباء ولم يضبط هذا اللفظ في النسخ المطبوعة. أخلص من هذا العرض الموجز إلى أن سيويه ألف كتابه في عصر كان أهله يألّفون مثل هذه العبارات المختصرة التي يوردها سيويه في مواضع من كتابه. غير أنّ أسلوبه عموماً واضح وقويّ. وهذا لا ينفي أنّه يميل أحياناً إلى الصنعة التي تضطر

(١) كتاب سيويه ١ : ١٤ .

(٢) السابق نفسه ١ : ١٦ .

القارئ أن يجهد عقله ليفهم العبارة ويفك رموزها. وقد عبّر ابنُ كيسان (محمد بن أحمد ت ٢٩٩ هـ) عن ذلك بقوله: (نظرنا في كتاب سيويه فوجدناه في الموضع الذي يستحقه ، ووجدنا ألفاظه تحتاج إلى عبارة وإيضاح ، لأنّه كتابُ ألف في زمان كان أهله يألّفون مثل هذه الألفاظ ، فاختصر على مذاهبهم)^(١).

ويرى علي بن سليمان (الأخفش الأصغر ت ٣١٥ هـ) أنّ سيويه عمل كتابه (على لغة العرب وخطبها وبلاغتها ، فجعل فيه يناً مشروحاً ، وجعل فيه مشتبهاً ليكون لمن استنبط ونظر فضل ، وعلى هذا خاطبهم الله عزّ وجلّ بالقرآن)^(٢).
ولأحسب أنّ سيويه قصد إلى تعقيد كتابه ، وإثماً كان يحاول أن يصف الظاهرة بعبارة موجزة بما يقرب أن يكون مصطلحاً لها يميّزها عن غيرها ، ويحدّد إطارها.

(١) خزائن الأدب للبغدادي ١ : ٣٧١ .

(٢) السابق نفسه ١ : ٣٧٢ .

المبحث السابع: منهج سيبويه في الكتاب

وضع سيبويه كتابه وفق منهج محدّد يبدو واضح المعالم. ومن الخطأ أن نحكم على هذا المنهج بالمعايير التي جدّت بعد عصر سيبويه ، فنطالبه بمقدّمة تشرح الأهداف أو خاتمة تلخص المحتوى.

والحقّ أننا لم نألف مثل هذه المقدّمات التي تشرح الأهداف والدوافع في عصر سيبويه. وما ورد، ممّا يقرب من ذلك لا يمكن أن يُعتبر سمة عامة تميّز منهج التأليف في ذلك العصر ، وبخاصة في اللغة والنحو.

وقد افترض بعضُ دارسي كتاب سيبويه أنّه (جعل المادة اللغويّة في قسمين كبيرين ، جمع في القسم الأوّل منها: القوالب اللغويّة، المشتملة على تقنيات وقضايا وأحكام نحويّة ، وجمع في القسم الثاني: القوالب اللغويّة المشتملة على تقنيات وقضايا وأحكام صرفيّة)^(١).

وهذا يعني أنّ سيبويه قَسَمَ كتابه إلى جزأين ، جزء خاص بالمباحث النحويّة ، وآخر خاص بالمباحث الصرفيّة.

وقد أشكل على هذا التقسيم ورود بعض المباحث النحويّة في القسم الخاص بالصرف ، كباب القسم و باب الممنوع من الصرف. وتكلف بعض الباحثين العلل والأسباب لتبرير إقحام هذين البابين في المباحث الصرفيّة^(٢).

والحقّ أنّ الشكل العام لكتاب سيبويه يُوحى بهذا التقسيم الثنائي. وقد تأثرت المؤلّفات النحويّة بعد كتاب سيبويه بهذا الشكل الظاهريّ. ويبدو أنّ النحويّين اصطفوا من كتاب سيبويه ما رأوه مناسباً لعرض المادة وتذليلها. غير أنّي أرجح أنّ سيبويه لم يضع كتابه في هذا الإطار الضيق. وأذهبُ إلى أنّه وضع كتابه وفق منهج

(١) تطور الدرس النحوي ، د. حسن عون ، نشر قسم البحوث والدراسات الأدبية واللغوية ، جامعة الدول العربية - القاهرة ١٩٧٠ ص ٣٤ .

(٢) السابق نفسه ص ٣٥ - ٣٦ .

يكاد يكون متفرداً لم يُسبق إليه. وأحسبُ أنَّ الخليلَ بنَ أحمدَ كان له أثر واضح في هذا المنهج الذي أتبعه سيبويه. فقد عُرف الخليل بالذكاء ، كما أنه تميَّزَ بعقلية رياضية ساعدته في التأليف المنظم الذي يقومُ أساساً على جمع الوحدات العامة ، ثمَّ معالجة الأجزاء في هذا الإطار.

يُؤيد ذلك جمعه لدوائر البحور ثمَّ استخلاص الأجزاء منها. وهذا المنهج يُلاحظ أيضاً في معجم العين حيث يجمع الخليل جذور المادة اللغوية ، ثمَّ يخلُصُ من ذلك إلى المستعمل منها فيعتدُّ به ويطرح ماعداه^(١).

وأرجحُ أنَّ سيبويه تأثر بهذا المنهج على وجه العموم ، مع ملاحظة الفروق اليسيرة التي تقتضيها طبيعة المادة وأسلوب عرضها.

إنَّ المنهج العام الذي أتبعه سيبويه أشبه بمثلث قاعدته إلى أعلى ورأسه إلى أسفل. بمعنى أنَّ سيبويه بدأ بمعالجة القضايا الكلية ، ثمَّ تدرَّجَ منها إلى القضايا الجزئية.

ويمكن تقديم نماذج لأبواب هذا التقسيم على النحو التالي:

بدأ سيبويه كتابه بتمهيد تناول فيه مبادئ عامة. من ذلك: تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف ، وما يميِّزُ كلَّ نوع من الآخر. ثمَّ ذكر علامات الإعراب والبناء ، وعللَّ لإعراب الفعل وبنائه. كما عرَّفَ بالمسند والمسند إليه ، وبين العلاقة التي تربط بين اللفظ والمعنى. وتحدَّثَ عن الضرورة الشعرية.

وهذه المبادئ تمثِّلُ الإطار العام لأبواب الكتاب وأقسامه.

القسم الأوَّل: الأساليب والتراكيب العامة

ناقش سيبويه في هذا القسم أساليب تعدي الفعل ولزومه وجملة كان وأخواتها وتقديم خبرها على اسمها. وعرض لأسلوب ما النافية عند الحجازيين والتميميين.

(١) تنظر هذه الملاحظة في: العين (أول معجم في اللغة العربية) للخليل بن أحمد الفراهيدي ج ١ تحقيق د. عبد الله درويش ، مطبعة العاني - بغداد ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م. وانظر: المعجم اللغوية - مع اعتناء خاص. معجم العين للخليل بن أحمد د. عبد الله درويش ، مكتبة الشباب مصر ص ٢ - ٤.

وَيَدْخُلُ فِي بِنَاءِ الْجُمْلَةِ أَسَالِيبُ الْحَذْفِ اتِّسَاعاً وَاجْتِصَاراً ، وَالْعَوَامِلُ الْمُؤَثِّرَةُ فِي إِعْرَابِ الْجُمْلَةِ ، وَيُفَصِّلُ سَبَبِيَّةَ الْقَوْلِ فِي هَذِهِ الْعَوَامِلِ حَتَّى لِيُخَيَّلَ إِلَيْكَ أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ عَلَى قَضَايَا جَزْئِيَّةٍ ، وَلَكِنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ يَعَالِجُ قَضَايَا الْعَامِلِ فِي إِطَارِ الْجُمْلَةِ أَوْ التَّرْكِيبِ .

وبهذا المستوى تجري أبواب هذا القسم .

القسم الثاني: بنية الكلمة

يتناول سببويه في هذا القسم ما ينصرف وما لا ينصرف من الأسماء ، وما يحدث في بناء الكلمة عند النسب إليها وتصغيرها وتثنيها وجمعها .

كما عرض للأفعال الصحيحة والمعتلة ، وأوزان المصادر ، وأسماء الزمان والمكان والهيئة والمرأة وما يشتق اسماً للآلة ، وغير ذلك من المباحث التي تتعلق ببنية الكلمة .

القسم الثالث: الحروف والأصوات

مهَّدَ سَبَبِيَّةٌ لِهَذَا الْقِسْمِ بِالْكَلَامِ عَلَى مَخَارِجِ الْحُرُوفِ وَصِفَاتِهَا ، ثُمَّ بَيْنَمَا يَتَعَلَّقُ بِالْحُرُوفِ مِنْ مَبَاحِثِ الْإِمَالَةِ وَالْوَقْفِ وَالْإِعْلَالِ وَالْإِبْدَالِ وَالْإِدْغَامِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَوْضِعَاتِ .

وهذا التقسيم يبرر معالجة سببويه لبعض الأبواب في أكثر من موضع . من ذلك أنه أورد إنَّ وأخواتها في القسم الأول باعتبارها عوامل تؤثر في إعراب الجملة ومعناها ^(١) . ثُمَّ أَفْرَدَ لِإِنَّ وَأَنَّ مَبْحَثاً فِي الْقِسْمِ الثَّالِثِ بِاعْتِبَارِ مَا يَطْرَأُ عَلَى هَذَا الْحَرْفِ مِنَ الْكُسْرِ وَالْفَتْحِ ^(٢) .

(١) انظر كتاب سببويه ٢ : ١٣١ - ١٥٦ .

(٢) انظر السابق نفسه ٣ : ١١٩ - ١٦٢ .

ومن ذلك أيضاً أنه عالج أسلوب القسّم في القسم الأول الخاص بالتراكيب والأساليب^(١). وعالج حروف القسم وسقوطها وما يتبع ذلك من التعويض في القسم الثالث الخاص بالحروف^(٢).

وينبغي أن أشير هنا إلى أن هذا المنهج الذي اتبعه سيويه في كتابه لم يسلم تماماً من بعض الخلل أو التداخل. ويرجع ذلك إلى ظاهرة الاستطراد ، إذ يخرج سيويه أحياناً من موضوع إلى آخر لأدنى ملازمة.

غير أن استطراد سيويه - على وجه العموم - لا يخرج بعيداً عن لبّ الموضوع الرئيس. ومثال ذلك المبحث الذي تحدّث فيه عن كان وأخواتها. فقد ذكر أن الاسم والخبر في هذا الباب إذا كانا معرفتين رفعت أيهما شئت على أنه الاسم ، وتنصب الآخر على أنه الخبر. وذكر أمثلة لذلك إلى أن وصل إلى قول العرب: ما جاءت حاجتك بمعنى ما صارت حاجتك. ثم استطراد بعد ذلك في أمثلة وشواهد تدور كلّها حول تذكير المضاف أو تأنيثه تبعاً للمضاف إليه ثم يستدرك في نهاية الأمر بقوله: وسترى هذا ميّناً في مواضعه إن شاء الله^(٣).

والإحالة إلى مواضع سبق ذكرها أو سيأتي ذكرها دليل على أن سيويه وضع خطة وتصوراً لترتيب أبواب الكتاب^(٤).

(١) انظر كتاب سيويه ٣ : ١٠٤ - ١١٠ .

(٢) انظر السابق نفسه ٣ : ٤٩٦ - ٥٠٤ .

(٣) انظر السابق نفسه ١ : ٤٧ - ٥٣ .

(٤) انظر أمثلة لمواضع هذه الإحالة في كتاب سيويه ، ٢ : ٣٥٧ ، ٤٠١ ، ٣ : ٢٢١ ، ٤ : ١٤٨ .

المبحث الثامن: شخصية سيويه في الكتاب

يُمثل كتاب سيويه خلاصة الدرس اللغوي والنحوي منذ أن بدأت المحاولات الأولى لوضع منهج للنحو العربي. وَقُدِّرَ لسيويه أن يجمع خلاصة ما توصل إليه شيوخه وَمَنْ سبقهم من العلماء في كتاب واحد. واستطاع أن يرتب هذه المادة العريضة ترتيباً لم يُعهد مثله في عصره.

وتغطي المادة المروية عن شيوخه وغيرهم هَيئَةً كَبِيرَةً من الكتاب. وقد استنتج بعض الباحثين المعاصرين من ذلك أَنَّ سيويه (كان نقلياً في منهجه حيثُ نقل عن سابقه كَلِّ ما عندهم ، وخاصة الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وكان متلوناً في نقله حيثُ ينسب بعض الأقوال لأصحابها ويغفل بعضها الآخر وكأنه صاحب هذه الأقوال أو قائل هذه الآراء)^(١).

وهذا اتِّهام لسيويه بالتغول على آراء شيوخه وغيرهم وأدعائها لنفسه ، وفيه أيضاً إنكار لجهد سيويه الذاتي وشخصيته في الكتاب. أما الشقُّ الأول من هذا الاتِّهام فسيأتي الردُّ عليه مُفصَّلاً إن شاء الله في الفصل الأول من الباب الثاني عند الكلام على الرواية عن العلماء في كتاب سيويه^(٢). والقول بأنَّ سيويه كان نقلياً في منهجه دون استثناء غير صحيح. وأحسب أنَّ هذا الباحث تعجَّل في الحكم على سيويه قبل أن يُمعن النظر في نصوص الكتاب ورواياته.

لاشكَّ أنَّ سيويه أكثر من النقل عن شيوخه ، وبخاصة الخليل ويونس ، ولكن جهوده الذاتية تبدو واضحة جليَّة. فقد رَدَّ بعض مذاهب شيوخه في مواضع من كتابه. ووقف من بعض المذاهب موقفَ الناقد الخبير الذي يعي ما ينقله أو يرويه من غيره ، فوازن بين الآراء ، ورجَّح بعضها ، وضعَّف بعضها. وهذا كَلِّه يشهد له بقوَّة

(١) سيويه. جامع النحو العربي ، د. فوزي مسعود ص ٣٤.

(٢) انظر ص ٦٧ من هذه الرسالة.

الشخصية وحسن عرض الأقوال والآراء ، وانتقاء الوجوه الجيدة. وهذه أمثلة من كتاب سيبويه تؤيد ذلك:

أ. في باب أي يرى الخليل في نحو: اضرب أيهم أفضل ، مما أضيفت فيه أيّ وحُذِفَ صدرُ صلتها ، أنّ القياس الإعراب كما تقول: اضرب الذي أفضل ، وعلل هذا المثال ونحوه على أنه حكاية ، كأنه قال: اضرب الذي يُقال له أيهم أفضل. وذهب يونس أيضاً إلى إعراب أيّ في هذا المثال ونحوه وتأويله على تعليق الفعل. أما سيبويه فيرى أنّ الضمة في هذا المثال ونحوه ضمة بناء ، بمنزلة الفتحة في خمسة عشر. واستبعد تفسير الخليل وخصه بالضرورة. كما استبعد قول يونس لأنّ (اضرب) ليست من الأفعال التي تعلق^(١).

وهذا موضع انفرد سيبويه فيه عن شيخه الخليل ويونس حتى إنّ بعضهم غلطه في ذلك^(٢).

ب. يقول سيبويه: (وزعم الخليل - رحمه الله - أنه يجوز أن يقول الرجل: هذا رجل أخو زيد ، إذا أردت أن تشبهه بأخي زيد ، وهذا قبيح ضعيف لا يجوز إلا في موضع الاضطرار. ولو جاز هذا لقلت: هذا قصير الطويل ، تريد مثل الطويل)^(٣). وإنما ضعف سيبويه هذا المثال ونحوه لأنّ المعرفة لا تكون صفة للنكرة. والخليل حمله على التشبيه بحذف المضاف ، لأنّ مثل لا تتصرف بالإضافة إلى معرفة. وهذا - وإن كان مقبولاً - لا يجري قياساً واحداً إذا قلت مثلاً: هذا قصير الطويل. فلا يستقيم المعنى إذا قلت: هذا قصير مثل الطويل. وهذه حجة ذكية لسيبويه ربط الإعراب فيها بصحة المعنى واستقامته.

(١) انظر كتاب سيبويه ٢: ٣٩٨ - ٤٠١ .

(٢) قال الزجاج: ما تبين لي أنّ سيبويه غلط إلا في موضعين هذا أحدهما. انظر مغني اللبيب لابن هشام ص ١٠٨ .

(٣) كتاب سيبويه ١: ٣٦١ .

جـ. خالف سيبويه شيخه الخليل في قولهم: هذان جُحراً ضبَّ خَرِبَان. فقد ذهب الخليل إلى أَنَّ العرب لا يتوهمون الجُرَّ في نحو هذا ، لأنَّ الضبَّ واحد والجحْر جُحْرَان ، وإنما يقع الغلط (التوهم) عند الاتفاق في العِدَّة والتذكير أو التانيث. ولم يعتد سيبويه بهذا ، وقال: (ولانرى هذا والأوّل إلاّ سواء)^(١).
 الخليل لا يميز الجُرَّ على الجوار إلاّ إذا اتفق المتجاوران تعريفاً وتكثيراً ، وتذكيراً وتانيثاً ، وإفراداً وتثنية وجمعاً ، ولهذا لم يجز: هذان جحرا ضبَّ خَرِبَيْنِ لاختلاف العِدَّة.

وسيبويه خالف شيخه ، وذهب إلى أَنَّ هذا والأوّل (هذا جحرُ ضبُّ حربٍ) سواء ، واحتجّ بقول العجاج:

كَأَنَّ نَسَجَ الْعَنْكَبُوتِ الْمَرْمَلِ

فالرمل صفة للنسج ولكنه جُرَّ لمجاورته العنكبوت مع أَنَّ النسج مذكر والعنكبوت مؤنث. ومثل ذلك: هذا جحرُ ضبُّ متهدم. فقد حصل التمييز من ناحية المعنى لأنَّ الضبَّ لا يُوصَفُ بِأَنَّهُ مُتَهَدَّمٌ ومع ذلك غَلَطُوا فِيهِ.^(٢)

د. ذهب الخليل إلى أَنَّ قولهم: لقيته أمسٍ ، الأصل فيه: لقيته بالأمسِ ، حُذِفَ حرف الجرِّ والألف واللام تخفيفاً^(٣).

ولم يجز سيبويه الوجه الذي ذكره الخليل ، وقال: (ولايَقْوَى قول الخليل في أمسٍ ، لأنَّك تقول: ذهب أمسٍ بما فيه)^(٤).

وحجّة سيبويه أَنَّهُ لو كان الأصل كما قال الخليل لقاتل العرب: ذهب أمسُ بالرفع ، فدلَّ الكسر على أَنَّهُ مَبْنِيٌّ لِمَعْرَبٍ.

(١) كتاب سيبويه ١: ٤٣٧ .

(٢) انظر السابق نفسه ١: ٤٣٧ .

(٣) انظر السابق نفسه ٢: ١٦٢ - ١٦٣ .

(٤) انظر السابق نفسه ٢: ١٦٤ .

هـ. يقول سيبويه: (وزعم يونس أن من العرب من يقول: إن لا صالح فطالح ، على: إن لا أكن مررتُ بصالح فبطالح. وهذا قبيحٌ ضعيف)^(١).

وإنما ضُعِفَ هذا ، في رأي سيبويه لكثرة الحذف ، وإلضمار الجار.

و. اختلف النقل عن الخليل وسيبويه في حرف التعريف (أل) فنُسِبَ إلى سيبويه أن اللام وحدها هي حرف التعريف^(٢). ونَسَبَ بعضهم هذا المذهب إلى الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة^(٣).

ولم أعر في كتاب سيبويه على نصٍّ يُثبت أنه قال إن اللام وحدها هي حرف التعريف. والظاهر من عبارته في الكتاب أنه يوافق الخليل في أن (أل) يجملتها هي حرف التعريف بمنزلة قد^(٤). وقد نص ابن مالك في التسهيل على هذه الموافقة^(٥). وإنما الخلاف بينهما في الهمزة ، فالخليل يرى أنها أصلية ، وسيبويه يرى أنها زائدة ، ولكن يُعْتَدُّ بها في الوضع^(٦).

والأمثلة على ماخالف فيه سيبويه شيوخه لها مواضع أخرى في كتابه يمكن أن تُلتمس فيها^(٧).

وهناك مواضع أخرى وازن سيبويه فيها بين مذاهب شيوخه منبهاً إلى القوي

(١) كتاب سيبويه ١: ٢٦٢ .

(٢) انظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ج ١ بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط/دار الفكر لبنان ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ص ١٧٧ .

(٣) انظر شرح فطر الندى وبل الصدى لابن هشام الأنصاري بتحقيق محمد محي الدين ط/ ١١ ، دار الثقافة - مصر ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م ص ١٢٢ .

(٤) انظر كتاب سيبويه ٣: ٣٢٤ - ٣٢٥ ، ٤: ١٤٧ - ١٤٨ .

(٥) انظر تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، لابن مالك ، تحقيق محمد كاتل بركات - دار الكاتب العربي - مصر ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م ص ٤٢ .

(٦) انظر شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى ج ١ ط/بيروت ص ١٤٨ .

(٧) انظر مثلاً كتاب سيبويه ٢: ٧٦ ، ١٣٤ ، ١٥٣ ، ٣٥٧ ، ٤١٠ ، ٣: ٥ ، ٣٦١ ، ٤١١ .

منها أو الضعيف^(١).

وأحسب أنَّ البماذج التي قدَّمتها تؤكد أنَّ سيويه لم يتبع منهجاً نقلياً صرفاً ،
وإنَّما نظر في هذا النقل معارضاً أو مؤيداً ، ومقوياً أو مستضعفاً ، مستنداً في ذلك كله
على الحجَّة النقلية من كلام العرب أو الراهين العقلية.

(١) انظر مثلاً كتاب سيويه: ٤: ٣٨٧ ، ٢: ٢٠ ، ٧٧ ، ٣٠٨ ، ٣: ٥١ ، ٣١٢ ، ٤٣٩ ، ٥٢٣ .

الباب الثاني:

الأمثلة النثرية المروية عن العرب في كتاب سيويه والاحتجاج بها في النحو:

الفصل الأول:

الرواية والرواة في كتاب سيويه

الفصل الثاني:

الأمثلة النثرية المروية في كتاب سيويه: أنواعها ، والاحتجاج بها في النحو

الفصل الأول

الرواية والرواة في كتاب سيويه

المبحث الأول: رواية اللغة

المبحث الثاني: حدود الرواية زماناً ومكاناً

المبحث الثالث: سماع سيويه

المبحث الرابع: روايات سيويه عن العلماء

المبحث الأول: رواية اللغة

يُقال رَوَى كلاً ما: أي نقله من مصدره إلى شخص آخر. وجاء في لسان العرب: (رَوَى الحديث والشعر يرويه رواية ، وترواه ، ... ويُقال: رَوَى فلان فلاناً شعراً إذا رواه له حتى حفظه للرواية عنه ... وتقول أنشدُ القصيدة يا هذا ، ولا تقل اروها إلا أن تأمره بروايتها أي باستظهارها)^(١).

وهذا التفسير يؤكد أن الرواية كانت تعتمد على المشافهة والاستظهار. وربما قصّر الراوي أن ينقل من الصحف. وقد عيب على أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) أن أكثر ما يرويه غير سماع ، وإنما أخذه من الكتب^(٢).

وربما دونَ الراوي ما سمعه من الأعراب. فقد رُوِيَ عن الأصمعي - عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦ هـ) - أنه قال: (رأني أعرابي وأنا أكتب كل ما يقول ، فقال ما تدع شيئاً إلا نمصته ، أي نتفتته)^(٣).

والرواية بمعنى نقل أخبار الآخرين ، وما يتصل بذلك من أدبهم وتجاربهم كانت معروفة لدى العرب قبل الإسلام. كما كانت معروفة لدى غيرهم من الشعوب باعتبارها ظاهرة اجتماعية تقتضيها طبيعة الاجتماع الإنساني^(٤).

وقد رَوَى العرب في الجاهلية أخبار من سبقهم ، وأشعارهم وأمثالهم وحكمهم وتجاربهم في الحياة. ولم تكن هناك قيود تحكم روايتهم غير حفظ المادة المروية حفظاً جيداً ، وعرضها بأسلوب يأسر السامعين ، ويشدهم إلى الخير. وبهذا يمتاز الراوي على غيره من نقل الأخبار والحوادث مما يجري في حياة الناس ومعاشهم.

(١) لسان العرب لابن منظور ، دار صادر ط/ ٣ بيروت ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م مادة (رَوَى).

(٢) انظر مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص ٩٣ .

(٣) أخبار النحويين البصريين ، للسيرافي ص ٧٩ .

(٤) انظر الرواية والاستشهاد باللغة - دراسة لقضايا الرواية والاستشهاد في ضوء علم اللغة الحديث ، د. محمد عيد ،

نشر عالم الكتب القاهرة ١٩٧٦ م ص ٦ .

والمادة المروية قد تكون مألوفة لدى المتلقي ، كالحديث عن الشجاعة والكرم والمروعة. وقد تكون أمراً غير مألوف لدى المستمع وذلك حين تعتمد الرواية على الخيال والأسطورة.

ولما ظهر الإسلام أحدث انقلاباً جذرياً في أوضاع العرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وأصبح القول نفسه عبادة يُثاب عليها القائل أو يحاسب. قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَبِيدٌ﴾^(١). وقدم القرآن للمسلمين الخبر اليقين ، إذ قصَّ عليهم أخبار الأمم الماضية ، وسير الأنبياء ، وعباد الله الصالحين. كما أورد قصص بعض الطغاة كفرعون وهامان وجنودهما ، وبَيْنَ عاقبة أمرهم.

لقد أحدث الإسلام تغييراً في مفهوم الرواية ، بل في الراوي نفسه. وارتبطت الرواية في بعض جوانبها بأمور تتعلق بأحكام الدين وشرائعه ، مما يستلزم أن يكون الراوي أميناً صادقاً فيما يرويه.

كان هذا التحول هو النواة الأولى التي بنى عليها العلماء قواعد الرواية الصحيحة المقبولة ، تمييزاً لها عن غيرها من فضول القول.

وقد ظهر هذا جلياً في علوم القرآن الكريم والحديث الشريف. فقد عُنيَ المسلمون بكتاب الله تعالى وسنة رسوله (ﷺ).

أما القرآن الكريم فإن الصحابة - رضوان الله عليهم - حفظوه في الصدور بعد أن أخذوه عن النبي (ﷺ) آية آية وكلمة كلمة وحرفاً حرفاً.

وأما الأحاديث الشريفة فقد تحجروا في روايتها عن النبي (ﷺ) الدقة والأمانة. وسار على هذا المنهج مَنْ جاء بعدهم من التابعين ، ثُمَّ مَنْ تلاهم من علماء المسلمين.

(١) سورة ق : ١٨ .

ثم أصبحت رواية الحديث علماً له أصوله وقواعده. ووضعت الضوابط التي تحكم السند ، والقواعد التي تُراعى في المتن. واجتهد العلماء في توثيق الأحاديث الشريفة وتصنيفها بحسب رواياتها وما عُرف عنهم. فكان علم مصطلح الحديث أصلاً لما يعرف الآن بعلم توثيق النصوص وتحقيقها^(١).

ولما استوى لعلماء الحديث هذا الفن واستقام عوده قلدهم فيه أصحاب العلوم النقلية كاللغة والأدب والتاريخ. فعُني هؤلاء أيضاً بالمتن والسند ، وتحروا في روايتهم الصدق والأمانة.

أما علماء اللغة - وهم من يعيننا أمرهم هنا - فقد وثقوا بعض الرواة ، وضعفوا آخرين أسوة بعلماء الحديث في الجرح والتعديل.

ولعلنا نلمس هذه المحاولات في كتاب مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي (ت ٣٥١ هـ). فقد كان أبو الطيب اللغوي أكثر جرأة من غيره في تتبع الرواة والعلماء. غير أنه اعتمد على بعض الروايات من طريق أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) فيها تحامل واضح على علماء الكوفة من أمثال حمزة بن حبيب الزيات^(٢)، والكسائي^(٣) (علي بن حمزة ت ١٨٩ هـ) وغيرهما^(٤).

وأيّاً كان الأمر ، فليس ها هنا موضع لبحث المعايير التي قضى بها أبو الطيب اللغوي على العلماء. وإنما قصدت أن أبين أن علماء اللغة قفوا منهنج علماء الحديث

(١) من الكتب القيمة في مصطلح الحديث: اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير الدمشقي (٧٠١ - ٧٧٤ هـ) وقد شرحه الأستاذ أحمد محمد شاكر بعنوان الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، صدر عن دار الكتب العلمية بيروت ط/١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

(٢) هو أحد القراء السبعة ويكنى أبا عمارة ، وكان مولى لآل عكرمة بن ربعي التيمي. وتوفي حمزة سنة ١٥٦ هـ انظر ترجمته في مراتب النحويين ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٣) انظر مراتب النحويين ص ٢٦ ، ٧٤ .

في الرواية. ومع ذلك فإن رواية اللغة ليست كرواية الحديث تماماً فقد تجوّز أصحاب اللغة فرّوا عن المجانين والصبيان والجن^(١).

(١) انظر مراتب التحويين ص ٨٧ ، وأخبار التحويين ص ١٠٥ - ١٠٨ .

المبحث الثاني: حدود الرواية زماناً ومكاناً

لم يضع المتقدمون من اللغويين والنحويين ضوابط أو قيوداً للرواية ، وإنما كانوا يحتجّون بكتاب الله تعالى ، وبكلام العرب شعراً ونثراً ، وخاصة المادة المرويّة عن العصر الجاهليّ. كما احتجّوا بأشعار الإسلاميين كحرير والفرزدق والأخطل ، وإن أثر عن بعضهم أنّه لم يحتجّ بشعر إسلامي^(١).

والحقّ أنّ الرواية إلى عصر الخلافة الراشدة لم تكن تحتاج إلى ضوابط صارمة أو قيود تفرض عليها ، لأنّ اللغة إلى ذلك العصر كانت نقيّة لم يدخلها فساد إذا استثنينا بعض بوادر اللحن نتيجة لاختلاط أجناس أخرى بالعرب.

ومع نشاط حركة التدوين في منتصف القرن الثاني الهجريّ أصبحت الرواية عنصراً هاماً لثبات المادة اللغويّة ودراستها، ومن ثمّ فطن الرواة من الأعراب إلى هذه الحقيقة. فاحترّف بعضهم هذا العمل حبّاً في العلم ، واحترفه آخرون بقصد الكسب والمنفعة ، يعلمون الصيبة في البوادي نظير جعل معلوم^(٢).

ولم ينفرد الأعراب الرواة وحدهم بهذا العمل. فقد كانت هناك طائفة من العلماء الرواة كأبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) والخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ) وأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩ هـ) وأبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري (ت ٢١٥ هـ) وعبد الملك بن قريب الأصمعيّ (ت ٢١٦ هـ) وغيرهم.

وفي القرن الرابع الهجري تحدّدت الخطوط الدقيقة لحدود الرواية زماناً ومكاناً. ومن أسهموا في ذلك أبو الفتح عثمان بن جنيّ (ت ٣٩٢ هـ). ولا أقول إنّهُ أوّل مَنْ تكلم في ذلك ، لأنّه - بلا شك - تأثر بشيوخه ومن سبقهم من العلماء في تأصيل الرواية ووضع أسسها وضوابطها.

(١) انظر مرآة الجنان لليافعي ١: ٣٢٥. حيث ذكر أنّ ابن جرير لم ينجح بشعر إسلامي

(٢) انظر الفاضل لأبي العباس المبرد ، تحقيق عبد العزيز الميمني ط/١ دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٧٥ هـ

١٩٥٦ م ص ١١٣ والفهرست لابن النديم ط/ دار المعارف للطباعة والنشر ، سوسة - تونس ص ٦٦ ، ٦٩ .

فقد قرّر ابن جنيّ أنّ الاعتماد في أخذ اللغة من مصادرها هو الفصاحة. فوجود الفصاحة في قوم ، ولو كانوا حضراً يبيح الأخذ عنهم^(١). ويلتخص ابن جنيّ حال السماع في عصره (القرن الرابع الهجري) فلم يعد الأمر يعتمد على بدائة أو تحضّر ، لأنّ فساد الألسن شاع في البوادي كما شاع في الحضرة. وليس هناك سبيل غير الاجتهاد في اختبار المسموع ، وتأمّل مورده ودرجته من الفصاحة ، ثمّ الحكم عليه أو له^(٢).

وقد قفا السيوطي (ت ٩١١ هـ) أثر ابن جنيّ فلنخص من كلامه وكلام أبي نصر الفارابي وغيرهما ما انتهى إليه العلماء في حدود الرواية زماناً ومكاناً. فلم يؤخذ من لحم ولا من جزام مجاورتهم القبط. ولم يؤخذ من قضاة ، ولا من غسان ولا من إياد مجاورتهم أهل الشام^(٣).

وهكذا تمضي هذه الحدود فتضيّق أحياناً إذا امتدت أطرافها إلى أراضٍ لا يتكلم أهلها بالعربية ، وتوسع آفاقها حيث وجدت الطريق أمامها رحبة ممتدة لا يعوقها عائق.

وخلاصة الأمر أنّ الاحتجاج بالشعر وقف عند حدود القرن الثاني الهجريّ. أمّا الاحتجاج بالكلام المتثور فقد استمرّ في البادية إلى القرن الرابع الهجريّ.

(١) انظر الخصائص لابن جنيّ ٢ : ٥ .

(٢) انظر السابق نفسه ٢ : ١٠ .

(٣) انظر الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي تحقيق د. محمد أحمد قاسم ط/ ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م ص ٥٦ -

المبحث الثالث: سماع سيوييه

سمع سيوييه من العرب ، إلا أن سماعه لا يُقاس بسماع شيوخه وغيرهم ممن نقل عنهم في كتابه. فقد كان سماعه محدوداً ، لأنَّ المادة تجمعت بين يديه ، ولم يبق بعد ذلك إلا أن يوازن بين الوجوه والأساليب مقوياً أو مستضعفاً. وهذا عمل شاق يتطلب إحاطة تامة بالمادة المعروضة ومذاهب العلماء فيها.

ومن الباحثين من نفى سماع سيوييه لأنَّه (لم يرحل إلى الأعراب في بواديهم ، وما كان بوسعه أو في مقدوره أن يفعل ذلك ، لأنَّ مادة الكتاب وما فيها من شواهد لم تكن دليلاً واضحاً يشهد بصحة هذا القول أو ذاك ، وإنما كانت نقلاً منقولاً عن شيخه الخليل بن أحمد وغيره)^(١).

من المؤكَّد أنَّ هناك طائفة من الرواة تكبَّدوا المشاق في سبيل الوصول إلى مصادر الرواية. ويقابل هؤلاء طائفة أخرى من العلماء الرواة لم يلزموا أنفسهم هذه المشقة وهذا العناء. وقد كان بعض الأعراب البداءة يفتدون إلى المدن الكبرى كالبصرة والكوفة فيتلقاهم العلماء يأخذون منهم اللغة. وكان أبو زيد وأبو عبيدة والخليل وغيرهم يختلفون إلى الأعراب يأخذون عنهم بعض لغات العرب^(٢).

ومعنى ذلك أن مصادر الرواية كانت متاحة لسيوييه ، وإن كانت المادة التي توفرت له من شيوخه كافية.

وفي الكتاب مواضع أرجح أنَّ السماع فيها لسيوييه. ومن ذلك:

أ. قوله: (وسمعنا بعض العرب يقول: الحمد لله ربَّ العالمين ، فسألت عنها يونس ، فزعم أنَّها عربية)^(٣).

(١) سيوييه جامع النحو العربي ، د. فوزي مسعود ص ٣٢ .

(٢) انظر مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص ٣٩ - ٤٠ .

(٣) كتاب سيوييه ٢ : ٦٣ والاية هي الثانية من سورة الفاتحة وقرأ بالنصب زيد بن علي وغيره ، انظر تفسير البحر المحيط لأبي حيان ج ١ ، الطبعة الأولى ١٣٢٨ هـ ، السعادة مصر ، ص ١٩ .

فالسماع هنا لسيبويه ، وإنما سأل ليحقق هذا الوجه .

ب. ذهب الخليل إلى أن من أمامٍ ومن قدامٍ ونحوهن من الظروف نكرات إذا لم يضمن إلى معرفة . ولم يكتف سيبويه بهذا الحكم ، وإنما تحرى عنه فقال: (وسألنا العرب فوجدناهم يوافقونه)^(١) .

ج. يقول سيبويه: (وسمعنا فصحاء العرب يقولون: لحقَّ أنه ذاهبٌ ، فيضيفون)^(٢) .

وهذا السماع مما انفرد به سيبويه بدليل أن الأخفش الأوسط علّق عليه بقوله: (لم أسمع هذا من العرب ، وإنما وجدته في الكتاب ، وهو جائز في القياس)^(٣) .

د. ويقول سيبويه أيضاً: (وسألتُ الخليلَ عن قولهم: عقلته بثنايين وهنائين لمَ لم يهمزوا)^(٤) . فالعبارة - بلاشك - مما سمع سيبويه عن العرب .

هـ. (وسألته عن قول بعض العرب: آتيتك عُشَيَّانات ومغيريات ، فقال: جعل ذلك الحين أجزاء)^(٥) .

فهذا يدل على أن سيبويه سمع هذه العبارة من العرب ، وإنما يسأل شيخه عن علة الجمع .

(١) كتاب سيبويه ٣ : ٢٩٠ .

(٢) السابق نفسه ٣ : ١٥٧ .

(٣) شرح السوراني بهامش الكتاب ٣ : ١٥٧ .

(٤) كتاب سيبويه ٣ : ٣٩٢ والثنايان والثنايان حيلان يشد بهما البعير ، وهما مقردان معنى ، مثنيان لفظاً .

(٥) كتاب سيبويه ٣ : ٤٨٤ .

المبحث الرابع: روايات سيبويه عن العلماء

استفاد سيبويه من جهود العلماء الذين سبقوه ، كما استفاد من جهود شيوخه وعلماء عصره. ويمكن دراسة روايات سيبويه عن العلماء بتقسيمهم إلى أربع فئات على النحو الآتي:

- أ. علماء رَوَى عنهم مشافهةً وسَمَّاهم في كتابه.
 - ب. علماء رَوَى عنهم بواسطة (من غير مشافهة).
 - ج. علماء تتلمذ عليهم ولم يذكرهم صراحة في كتابه.
 - د. علماء اشتهروا في عصره ولم يرد لهم ذكر في كتابه.
- وسأبيِّن أساليب رواية سيبويه عن العلماء ، ومجموع كلِّ رواية بحسب النسخة التي حقَّقها الأستاذ عبد السلام هارون.

الفئة الأولى:

وهم مَنْ أخذ سيبويه عنهم مباشرة وسَمَّاهم في كتابه. وسأرتَّب هؤلاء العلماء بحسب كثرة الرواية عنهم في كتاب سيبويه.

١. الخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٠ أو ١٧٥ هـ

وُصِفَ الخليل بأنَّه (كان الغاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس فيه)^(١). وُروى أنه (أقام في حصٍّ من أخصاص البصرة لا يقدر على فلسين وأصحابه يكسبون بعلمه الأموال)^(٢).

والراجح أنَّ سيبويه اتَّصل بالخليل بعد أن أَلْمَّ بمبادئ النحو واللغة ، ولكنه كان بحاجة إلى التخصص الدقيق فلزم الخليل. وفيما يلي أساليب الرواية عن الخليل مشافهة:

(١) أخبار النحويين البصريين للسرياني ص ٥٤ .

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ : ٢٤٥ .

أولاً: روايات عن الخليل مشافهة:

المجموع	صيغة الرواية
١	أنبأنا الخليل
١	أنشدنا
٢	أنشده الخليل
٥	حدّثنا الخليل
١	حدّثني الخليل
١	ذكر الخليل
١	رَوَى الخليل
١٥٠	زعم الخليل
٣٢	زعم
٦٦	سألت الخليل فقال / فزعم
١	سأله فزعم
٧٨	سأله فقال
٢	سألناه فقال
١	سألوا الخليل فقال
٢	سمعته من الخليل
١	سمعته منه
١	سمعناه منه
٦٥	قال الخليل
٥٩	قال
١	قلتُ للخليل ... فقال
١	قلتُ له ... فقال

٣٩	قلتُ فقال
٥٤	قول الخليل
١١	كان الخليل ...
٢	كان يقول
٥٧٨	المجموع

ثانياً: روايتان عن الخليل من غير مشافهة:

المجموع	صيغة الرواية
١	حدّثني مَنْ لا أتّهم عن الخليل
١	ذكر لي بعضهم أنّ الخليل قال
٢	المجموع

ثالثاً: روايات تجمع بين الخليل وغيره من العلماء ، وبعضهم لم يروسيبويه

عنهم مباشرة وهما ابن أبي إسحاق ، وأبو عمرو بن العلاء:

المجموع	صيغة الرواية
٢	حدّثنا الخليل وأبو الخطاب
١	حدّثني الخليل وهارون
٧	زعم الخليل ويونس (يونس والخليل)
١	سألت الخليل ويونس فرعما
١	سمعناه من الخليل ويونس
١	قالا (يعني الخليل ويونس)
١	قول أبي عمرو والخليل
١	قول الخليل وابن أبي إسحاق
١٦	قول الخليل ويونس (يونس والخليل)

١	قولهما (يعني الخليل ويونس)
٣٣	المجموع

رابعاً: تقارير آراء الخليل:

المجموع	الصيغة
٦	تفسير الخليل
٤	جعل الخليل
١	مأخذ الخليل
١١	المجموع

٢. يونس بن حبيب (ت ١٨٣ هـ)

يونس بن حبيب ثاني إمام يكثر سيبويه النقل عنه بعد الخليل بن أحمد. ويُنسب يونس إلى بني ضبة بالولاء، ويكنى أبا عبد الرحمن. وذكر ابن قتيبة أنه (مات سنة اثنتين وثمانين ومائة وهو ابن ثمان وثمانين سنة)^(١). وأرخ السيرافي وفاته سنة ١٨٣ هـ، وذكّر أنه كان بارعاً في النحو، من أصحاب أبي عمرو بن العلاء. وله قياس ومذاهب في النحو تفرّد بها^(٢). وكان يونس شديد التعلّق برؤية بن العجاج والتعصّب له^(٣).

وفيما يلي بيان أساليب الرواية عنه في كتاب سيبويه:

أولاً: روايات عن يونس وحده مشافهة:

المجموع	صيغة الرواية
١	أخبرت يونس فقال
٣	أخبرنا يونس

(١) المعارف لابن قتيبة ص ٥٤١.

(٢) انظر أخبار النحويين للسيرافي ص ٥١، ٦٤.

(٣) انظر مراتب النحويين لأبي الطيب اللقوي ص ٢٢.

المجموع	صيغة الرواية
١	أخبرني يونس
١	أنشدنا يونس
١	أنشدنا
٥	أنشدناه
١٨	أما يونس ...
٢	حدثني يونس (يونس حدثني)
٧٤	زعم يونس
٥	زعم
٧	سألت يونس ...
١	سأله
١	سمعت يونس
٦	قال يونس
٤	قال ...
٢	قلت فقال ...
١٨	قول يونس
١	كان يونس
١	يزعم
٢	يقول يونس (يونس يقول)
١	يونس يُدخِل
١٧٥	المجموع

(ت ٢٠٨ هـ). وقد وُصِفَ أبو الخطاب بالتدبُّر والورع وكان ثقةً من أئمة اللغة والنحو. وذكر ابن تغري بردي وفاته في حوادث سنة ١٧٧ هـ^(١).

وفيما يلي روايات سيويه عن أبي الخطاب:

أولاً: روايات عن أبي الخطاب مشافهة:

صنِّع الرواية	المجموع
أبو الخطاب كان يقول	١
حدَّثنا أبو الخطاب	١٥
حدَّثني أبو الخطاب	٣
زعم أبو الخطاب	٢٢
زعم	٤
قال أبو الخطاب	١
قال	١
المجموع	٤٧

ثانياً روايات تجمع بين أبي الخطاب وغيره:

صنِّع الرواية	المجموع	ملحوظات
حدَّثنا الخليل وأبو الخطاب	٢	سبقت في روايات الخليل
حدَّثنا يونس وأبو الخطاب	٢	سبقت في روايات يونس
المجموع	٤	

(١) انظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ليوسف بن تغري بردي جـ ٢ ط/ دار الكتب مصر ، حوادث سنة سبع وسبعين ومائة.

٤. عيسى بن عمر، الثقفى (ت ١٤٩ هـ):

عيسى بن عمر في طبقة أبي عمرو بن العلاء. من مقدمي نحو بني البصرة. أخذ العلم عن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وغيره. له قراءات في القرآن الكريم ونسب له كتابان في النحو هما: الجامع والإكمال. وتوفي عيسى سنة ١٤٩ هـ. وقد ذهب كثير من المترجمين إلى أن سيبويه أخذ العلم عن عيسى بن عمر^(١). ومع ذلك فإن رواية سيبويه عن شيخه عيسى قليلة بالقياس إلى روايته عن الخليل ويونس وأبي الخطاب الأخفش.

وأغلب ما حكاه سيبويه عن عيسى يتبعه تعليل أو نقد من شيوخ سيبويه أو من سيبويه نفسه. وقد قطع بعض الباحثين المعاصرين بأن رواية سيبويه عن شيخه عيسى منقولة من كتابه المسمى بالجامع، ولم يكن سيبويه مؤهلاً آنذاك لفهم هذا الكتاب لصغر سنه، فكان يقرؤه على أستاذه الخليل ليبيّن له غموضه، ويكشف له عن عويصه^(٢).

وهذا رأي ذهب إليه القفطي (ت ٦٤٦ هـ) ولا يسنده من الأدلة ما يحمل على القطع به^(٣).

وأذهب إلى أن رواية سيبويه عن عيسى بن عمر لها صورتان:
الأولى: أن سيبويه أخذ عن عيسى في سنن الصبا وأنه حفظ في ذاكرته أو سجّل في أوراقه بعض أقوال عيسى ومذاهبه في النحو. ولم تكن سنن سيبويه آنذاك تؤهله لأكثر من استظهار الروايات والمذاهب. ثم بعد أن نضج وقوي عوده بعد وفاة

(١) انظر مثلاً: أخبار النحويين للسيراقي ص ٦٤، ونزهة الألباء لابن الأنباري ص ٦١، ومعجم الأدباء لياقوت

. ١١٦: ١٦

(٢) انظر الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، د. عبد العال سالم مكرم ط/٢ بيروت ١٤١٣ هـ/١٩٩٣ م

ص ١٧٠.

(٣) انظر إنباه الرواة للقفطي ٢: ٣٤٧.

عيسى عرض هذه الروايات والمذاهب على الأحياء من شيوخه يلتمس لها العلة والمخرج.

ومما يُؤيد ذلك قوله في الكتاب: (وزعم عيسى بن عمر أن ناساً من العرب يقولون: إذن أفعل ذلك في الجواب ، فأخبرت يونس بذلك ، فقال: لا تُبعِدُنْ ذا ، ولم يكن ليروي إلا ما سمع ، جعلوها بمنزلة هل وبل)^(١).

ويمكن أن نستنتج من هذا النص ما يلي:

- لم يسأل سيويه شيخه عيسى عن علة رفع الفعل المضارع المستحق للنصب بعد إذن سماعاً ، لأنه لم يكن في وضع يؤهله لمثل هذه الأسئلة المتقدمة.
- الفاء في قوله (فأخبرت) تعني أنه حين استرجع هذه الرواية بادر إلى شيخه يونس يلتمس العلة.

• ثقة يونس في رواية عيسى عن العرب.

ويدخل في هذه الصورة أيضاً المواضع التي يقرن فيها سيويه بين يونس وعيسى كقوله: (وكذلك سمعناه من يونس وعيسى)^(٢) و(وحدثنا يونس وعيسى)^(٣). وكأنه بهذا الجمع يؤكد ما سمعه في صباه من شيخه عيسى.

أما الصورة الثانية فأرجح أن سيويه لم يرو فيها عن عيسى بن عمر مشافهة ، وإنما نقل الرواية عن شيوخه.

من ذلك أن سيويه ذهب إلى أنك إذا سميت رجلاً ضربَ صرفته ، وهو قول أبي عمرو والخليل. ثم قال بعد ذلك: (وأما عيسى فكان لا يصرف ذلك. وهو

(١) كتاب سيويه ٣: ١٦ .

(٢) السابق نفسه ٣: ٣٤٣ .

(٣) السابق نفسه ١: ٢٧١ ، ٢: ٣١٩ ، ٤: ١٥٩ .

خلاف قول العرب ، سمعناهم يصرفون الرجل يسمى كعسباً ، وإنما هو فَعَلَ من الكعسبة^(١).

فالظاهر هنا أن الرواية عن عيسى من طريق الخليل بن أحمد ، بدليل أن سيويه لم يورد موقف شيخه عيسى من هذا السماع. ومثل ذلك بعض المواضع التي لا نجد فيها عيسى يدافع عن مذهبه أو يؤيده بالحجة ، وإنما نقرأ نقضاً لمذهبه أو تعليلاً له من سيويه أو شيخه^(٢).

وهذا يبان رواية سيويه وشيوخه عن عيسى بن عمر ، أفصل في أساليب هذه الرواية وموضعها في كتاب سيويه ، فعسى أن يكون ما غمض عليّ سهلاً ميسوراً على غيري من الباحثين.

صيغة الرواية	موضعها	المجموع
أما عيسى فكان....	٣: ٢٠٦ ، ٤٧٢	٢
حدثنا عيسى	٢: ٣٩٢ ، ٣: ٥٤٥	٢
حدثنا يونس وعيسى	١: ٢٧١ ، ٢: ٣١٩ ، ٤: ١٥٩ (سبقت في رواية يونس)	٣
زعم عيسى...	١: ١٦٩ ، ١٧١ ، ٢: ٦٥ ، ٣: ١٦	٤
سمعناه من يونس وعيسى	٣: ٣٤٣ (سبقت في رواية يونس)	١
قول عيسى	٢: ٢١ ، ١١٢ ، ٣: ٢٠٧ ، ٢٨١	٤
كان يذهب عيسى	١: ٣٤٦	١
كان عيسى	١: ٣٩٨ ، ٢: ٢٠٣ ، ٣: ١٤٣ ، ٢٤٢	٤
يونس وعيسى زعما	١: ٣٦٤ (سبقت في رواية يونس)	١
المجموع		٢٢

(١) كتاب سيويه ٣: ٢٠٦ وقد شرح سيويه الكعسبة بأنها العدر الشديد مع تداني الخطأ.

(٢) انظر كتاب سيويه ١: ١٦٩ ، ٢: ٢٠٣ ، ٣: ٣٩٨ .

٥. هارون بن موسى (ت ١٧٠ هـ):

ورد اسم هارون ضمن من رَوَى عنهم سيويه مشافهة. ومن المرجَّح أَنَّهُ هارون ابن موسى ، المعروف بالأعور. وكان هارون هذا يهودياً ثُمَّ أسلم. رَوَى الأصمعي: (قال لي هارون كنتُ أقرأ إيدام بالعبرانية ، يعني آدم)^(١). وَيُرَوَى أَنَّهُ: (كان من أهل البصرة ، وكان عالماً بالتحق)^(٢). وكان هارون من القراء وقد نقل عنه سيويه بعض وجوه القراءة. وهذا بيان الرواية عنه في كتاب سيويه:

المجموع	ملحوظات	صيغة الرواية
٢		حدَّثنا هارون
١	سبقت في رواية الخليل	حدَّثني الخليل وهارون
٢		زعم هارون
٥		المجموع

هؤلاء رَوَى عنهم سيويه مشافهة وليس منهم (هذيل) كما ورد في إحصاء الأستاذ علي النجدي^(٣). وإِنَّمَا عني سيويه القبيلة ، وجاءت مصروفة لمعنى الحي. والنص كما ورد في الكتاب: (قال: هذيلٌ تقول: سميجٌ ونذيل ، أي نَذُلٌ وَسَمِجٌ)^(٤). فالراوي هنا الخليل.

الفئة الثانية:

وتشمل علمين لم يأخذ سيويه عنهما مباشرة ، وإِنَّمَا نقل عنهما من طريق شيوخه وغيرهم. وهما بحسب تقدُّم الوفاة:

١- عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت ١١٧ هـ)

(١) المعارف لابن قتيبة ص ٥٣٢ وكذا ورد في النص: آدم.

(٢) انظر نزهة الألباء لابن الأنباري ص ٣٢ .

(٣) انظر سيويه إمام النحاة لعلي النجدي ص ٩٨ .

(٤) كتاب سيويه ٤ : ٣٠ وفي طبعة (بولاق) ٢ : ٢٢٤ .

وهو من تلاميذ يحيى بن يعمر ، ونصر بن عاصم (من علماء القرن الأول الهجري) وعده ابن الأنباري من طبقة أبي عمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر. وتوفي قبلهما بالبصرة سنة ١١٧ هـ^(١).

والظاهر أن سيويه أخذ معظم هذه الرواية من طريق الخليل ويونس ، وهما أخذنا بعضها عن عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء.
وهذا بيان هذه الرواية:

المجموع	ملحوظات	صيغة الرواية
١		أمّا عبد الله بن أبي إسحاق فكان ...
١		بلغنا عن ابن أبي إسحاق
١		زعموا أنّ ابن أبي إسحاق
١		قول ابن أبي إسحاق
١		قول ابن أبي إسحاق وأبي عمرو
١	سبقت في رواية الخليل	قول الخليل وابن أبي إسحاق
٦		المجموع

٢- أبو عمرو بن العلاء^(٢) (ت ١٥٤ هـ)

أبو عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة. وذكر السيوطي أنه اختلف في اسمه على أحد وعشرين قولاً أشهرها زيان^(٣).

(١) انظر نزهة الألباء ص ٢٠ .

(٢) انظر ترجمته في مراتب النحويين ١٣ - ٢٠ وأخبار النحويين ٤٦ - ٤٨ وكتبت عنه دراسة معاصرة بعنوان: أبو عمرو بن العلاء اللغوي النحوي ومكانته العلمية ، عبد الله محمد الأسطى ط/١ ليبيا ١٩٨٦م.

(٣) انظر بغية الوعاة للسيوطي ٢: ٢٣١ .

وذهب بعضهم إلى أنَّ اسمه وكنيته أبو عمرو. قال ابن قتيبة: (وأخوه أبو سفيان ابن العلاء بن عمَّار ، أسماؤهما كناهما)^(١). ورَوَى الأصمعيّ: (قلتُ لأبي عمرو ما اسمك ؟ فقال لي: أبو عمرو)^(٢).

وأرجَّح أنَّ أبا عمرو كنية هذا العالم الجليل لا اسمه بدليل قول سيويه: (وتقول هذا أبو عمرو بن العلاء ، لأنَّ الكنية كالاسم الغالب)^(٣). ثمَّ استشهاده بعد ذلك بقول الفرزدق:

ما زلتُ أغلقُ أبواباً وأفتحُها حتَّى أتيتُ أبا عمرو بن عمَّارٍ^(٤)

وتوفي أبو عمرو سنة ١٥٤ هـ كما هو ثابت في معظم مصادر ترجمته^(٥). وهذا تاريخ يُفترض أن يكون سيويه مؤهلاً فيه للرواية عن أبي عمرو مشافهة. وذكر ابن قتيبة أنَّ أبا عمرو توفي في طريق الشام^(٦). ونوزع ابن قتيبة في هذه الرواية ونسبوه إلى الغلط ، لأنَّ بعض الرواة (رأى قبر أبي عمرو بالكوفة مكتوباً عليه هذا قبر أبي عمرو ابن العلاء)^(٧).

وإنَّما غلطوا ابن قتيبة في ذلك ، لأنَّ أبا عمرو لو توفى في طريق الشام ، لكان خروجه من البصرة في العام الذي توفي فيه (١٥٤ هـ) وهذا مُستبعد لأنَّ سيويه لم يرو عنه مشافهة في كتابه ولهذا قدَّر بعضهم أنَّ يكون أبو عمرو قد خرج من البصرة قبل أن يبلغ سيويه السنَّ التي تؤهله للرواية عنه. وإلى هذا الرأي ذهب الأستاذ عليّ

(١) المعارف لابن قتيبة ص ٥٤٠

(٢) مراتب النحويين لأبي الطيب ص ١٤ .

(٣) كتاب سيويه ٣ : ٥٠٤ .

(٤) البيت من شواهد سيويه ٣ : ٥٠٦

(٥) انظر المعارف ٥٤٠ ، ومراتب النحويين ٢٠ ، ونزهة الألباء ٢٩ .

(٦) انظر المعارف ص ٥٤٠ .

(٧) وفيات الأعيان ٣ : ٤٦٩ .

النجدي ، غير أنه لم يستبعد أن يكون سيبويه أخذ بعض وجوه القراءة من أبي عمرو واستدل على ذلك بقول سيبويه: (ورأيت أبا عمرو أخذ بهن^(١)).

وما ذهب إليه غير صحيح ، لأن هذه العبارة مروية عن أبي عمرو من طريق الخليل. وقد كان الخليل يستحب إذا التقت الهمزتان في كلمتين أن يحقق الأولى ويخفف الثانية ، لأنه رأى أبا عمرو يحقق الأولى من الهمزتين إذا التقتا في كلمة واحدة ، وكلّ عربي^(٢).

ثم كيف يستقيم أن يروي سيبويه عن أبي عمرو بعض وجوه القراءة ولا يروي عنه اللغة والنحو؟

وهذا يبان الرواية عن أبي عمرو وأغلبها من طريق يونس:

المجموع	ملاحظات	صيغة الرواية
١		أخبرنا يونس عن أبي عمرو...
٢		أما أبو عمرو فكان يقول...
١		أما يونس فحدثني أن أبا عمرو...
٢		حدثنا يونس أن أبا عمرو...
٣		حدثنا يونس عن أبي عمرو...
١		حدثني يونس أن أبا عمرو...
١	رواية الخليل عن أبي عمرو	رأيت أبا عمرو أخذ بهن
٥		زعم يونس أن أبا عمرو...
١		زعم يونس أنه قول أبي عمرو...
٢		زعم يونس عن أبي عمرو
٢		زعموا أن أبا عمرو

(١) انظر سيبويه إمام النحاة ص ٩٥ وانظر النص في كتاب سيبويه ٣: ٥٤٩ وبولاق ٢: ١٦٧.

(٢) انظر كتاب سيبويه ٣: ٥٤٨ - ٥٤٩.

٣		قال أبو عمرو ^(١)
١		قال
٢		قرأ أبو عمرو
١		قول ابن أبي إسحاق وأبي عمرو
٢		قول أبي عمرو حدثنا به يونس
٣		قول أبي عمرو
٢	سبق في رواية الخليل	قول أبي عمرو والخليل
٢	سبق في روايتي الخليل ويونس	قول أبي عمرو والخليل ويونس
٣	سبق في رواية يونس	قول يونس وأبي عمرو
٨		كان أبو عمرو
١		يختار أبو عمرو
٤٩		المجموع

الفئة الثالثة:

وتشمل علماء تذكر المراجع أن سيبويه أخذ عنهم العلم. ولم ترد أسماء هؤلاء في روايات سيبويه. وأذكر منهم:

١. حماد بن سلمة بن دينار^(١) (ت ١٦٧ هـ):

(١) لا يدخل في هذا الإحصاء قوله: (قال أبو عمرو: سمعت أبا زيد يقول رميت عن القوس... الكتاب ٤: ٢٢٦ لأن أبا عمرو لم يرو عن أبي زيد. ولعل هذه العبارة من زيادات أبي عمر الجرمي ولكن صُحِّف في الاسم. ولا توجد هذه العبارة في طبعة (بولاق)، انظر ٢: ٣٠٨

(٢) انظر ترجمته في المعارف لابن قتيبة ص ٥٠٣، وأخبار النحويين للسيرافي ص ٥٩، وتذكرة الحفاظ للنهي ١: ٢٠٢-٢٠٣. والعبر في خير من غير للنهي ج/١، تحقيق محمد السعيد زغلول ط/١ بيروت ١٤٠٥ هـ

١٩٨٥م ص ١٩٠

حمّاد بن سلمة من أئمة الحديث في عصره. وقد قرأ سيبويه عليه قبل أن يلزم حلقة الخليل بن أحمد.

وليس في كتاب سيبويه رواية عن حماد بن سلمة. وربما يرجع ذلك إلى أن سيبويه أخذ عن حمّاد رواية الحديث وشيئاً يسيراً من اللغة والنحو. ولاشك أنه استفاد من حلقة شيخه وإن لم يجر له ذكر في كتابه.

٢. أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري (ت ٢١٥ هـ)

روى أبو حاتم السجستاني عن أبي زيد (كان سيبويه يأتي مجلسي وله ذؤابتان ، قال: فإذا سمعته يقول: حدثني من أتق بعربيته فإنما يريدني)^(١).

ويروي أبو سعيد السيرافي الخبر بلفظ يختلف قليلاً عن رواية أبي حاتم ، ولكن مضمون الخبرين واحد. يقول: (وذكر أبو زيد اللغوي كالمفتخر بذلك بعد موت سيبويه ، قال: كل ما قال سيبويه أخبرني الثقة فأنا أخبرته)^(٢).

وقد وُصف أبو زيد بأنه (كان كثير السماع من العرب ، ثقة مقبول الرواية)^(٣).

ويظهر من هذه الروايات أن سيبويه أخذ عن أبي زيد في مرحلة مبكرة بدليل قول أبي زيد: له ذؤابتان.

وقد علّل الأستاذ علي النجدي عدم ورود اسم أبي زيد صراحة في كتاب سيبويه بأنه (نوع من التكريم لأبي زيد ، فكأنما أراد سيبويه أن يدعو الناس إلى هذه التسمية ، وأن يشاركه فيها من لم يكن يشاركه إجلالاً للرجل ومكافأة)^(٤).

(١) مراتب النحويين لأبي الطيب ص ٤٢ .

(٢) أخبار النحويين للسيرافي ص ٦٤ .

(٣) انظر السابق نفسه ص ٦٨ .

(٤) سيبويه إمام النحاة لعلي النجدي ص ٩٣ .

وهذا احتمال بعيد ، لأنَّ الأمر إذا كان يتعلق بالتكريم فإنَّ الخليل - وهو ثقة غير متَّهم في روايته - أولى بهذا التكريم من غيره.

أما ما ذهب إليه الأستاذ عبد السلام محمد هارون من أنَّ العلماء لم يعترضوا على ما روى عن أبي زيد من أنَّه المقصود بقول سيبويه أخبرني الثقة ونحوه^(١). فليس في هذا دليل قاطع يثبت أنَّ سيبويه يعنيه بهذه العبارة دون غيره .

وليس من السهل أنَّ نجزم بأنَّ كلَّ موضع ورد فيه حدَّثني الثقة أو أخبرني مَنْ أتق به أو مَنْ لا أتهم ، مُرويًا عن أبي زيد.

وقد تكون هذه العبارات في بعض المواضع من كلام الخليل. فقد كان الخليل يختلف إلى أعراب البادية ويأخذ عنهم^(٢). ورُبَّما كان يثق برواياتهم ويعبر عن ذلك بقوله: /حدَّثني الثقة ونحو ذلك. وإذا كان لم يُسمِّ الراوي فلأنَّهم جماعة قد يختلط عليه إسناد الرواية لواحد منهم بعينه.

وكان أبو زيد يأخذ أيضاً عن الأعراب^(٣). وهو ثقة مأمون. وبهذا يمكن أن يدخل في جملة الرواة الموثوق بهم. وقد ورد اسم أبي زيد في موضعين من النسخة التي حقَّقها الأستاذ عبد السلام هارون. الأوَّل: (وقال أبو زيد النسبة إلى محاسن محاسني)^(٤). والآخر: (قال أبو عمرو سمعتُ أبا زيد يقول: رميتُ عن القوس ، وناساً يقولون: رميتُ عليها)^(٥).

(١) انظر مقدمة الأستاذ عبد السلام هارون لكتاب سيبويه ص ١٣ .

(٢) انظر مراتب النحويين لأبي الطيب ص ٢٢ .

(٣) انظر السابق نفسه ص ٢٢

(٤) كتاب سيبويه ٣ : ٣٧٩ .

(٥) السابق نفسه ٤ : ٢٢٦

والموضعان ساقطان من النسخة (ط) كما أشار المحقق إلى ذلك. والرَّاجِحُ أنَّهُمَا
من زيادات الجرمنيِّ وإثْمًا حُرِّفَ إلى أبي عمرو في العبارة الثانية. وقد كان أبو عمر
الجرمنيِّ (أخذ اللغة عن أبي عبيدة وأبي زيد والأصمعيِّ وطبقتهما)^(١).

الفئة الرابعة:

وهؤلاء طائفة من العلماء اشتهر كلُّ منهم في مجاله، ومع ذلك لا نجد ذكراً لهم في
كتاب سيبويه. ونذكر من هؤلاء على سبيل المثال:

١. يحيى بن المبارك اليزيديِّ (ت ٢٠٢ هـ)

أخذ اليزيدي عن أبي عمر بن العلاء، ولم يرو سيبويه عن اليزيديِّ شيئاً من
اللغة أو النحو. ورُبَّمَا يرجع ذلك إلى أنَّ اليزيديِّ لم يكن (في النحو من طبقة الخليل،
ولا من طبقة سيبويه والأخفش)^(٢).

٢. يعقوب بن إسحاق الحضرميِّ^(٣) (ت ٢٠٥ هـ):

لم يرد اسم يعقوب بن إسحاق في كتاب سيبويه. وقد عُرِفَ يعقوب بأنه أحد
القراء العشرة. ورُبَّمَا عرض سيبويه لبعض الوجوه التي قرأ بها يعقوب كما في قوله:
(وقرأ ناسٌ: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٌ﴾. قال الخليل: جعله بمنزلة مستويات)^(٤).

ومن القراء الذين قرأوا بخفض سواء، يعقوب بن إسحاق الحضرميِّ^(٥) ورُبَّمَا
يكون سيبويه سمع هذه القراءة من يعقوب ثمَّ عرضها على شيخه الخليل.

(١) أخبار النحويين للسرافي ص ٨٤ .

(٢) السابق نفسه ص ٥٦ .

(٣) انظر ترجمته في بغية الوعاة للمسيوطي ٢: ٣٤٨

(٤) كتاب سيبويه ٢: ١١٩، والآية الواردة في النص هي العاشرة من سورة فصلت.

(٥) انظر البحر المحيط لأبي حيان ج ٧ ط/١ ١٣٢٨ هـ السعادة مصر ص ٤٨٦ .

٣. أبو عبيدة معمر بن المثنى^(١) (ت ٢١٠ هـ):

ليس في كتاب سيبويه رواية منسوبة إلى أبي عبيدة. وربما يرجع ذلك إلى أن أبا عبيدة لم يُعَنَّ كثيراً بالنحو ومذاهب العلماء فيه ، وإنما كان إخبارياً ، عالماً بأنسَاب العرب وآيَاتهم. ومع هذه المرتبة التي نالها فإن أبا الطيّب اللغوي يرى أنه (ربما أنشد البيت فلم يُقِم وزنه حتّى يكسره ، ويخطئ إذا قرأ القرآن نظراً)^(٢). وقد يكون في هذا مبالغة من أبي الطيّب.

٤. الأصمعيّ - عبد الملك بن قريّب (ت ٢١٦ هـ):

تميّز الأصمعيّ برواية الشعر ومعرفة غريب اللغة. وقد روي عن عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء ، ولم يرو عن الخليل إلا مواضع قليلة^(٣). وقد ورد اسم الأصمعيّ في موضعين من كتاب سيبويه تعليقاً على بعض الشواهد من الشعر. الموضع الأوّل: (قال الأصمعيّ هو قديم أنشدني أبو عمرو)^(٤). والموضع الثاني: (أنشدنيهما الأصمعيّ عن أبي عمرو لبعض بني أسد)^(٥).

وقد يكون الموضعان من تعليقات أبي حاتم السجستاني (سهل بن محمد ت ٢٥٥ هـ) أو الرياشي (العبّاس بن الفضل ت ٢٥٧ هـ) لكثرة روايتهما عن الأصمعيّ^(٦).

والظاهر أن سيبويه اعتمد على إنشاد شيوخه ، وخاصة الخليل ويونس. وقد روي أن الأصمعيّ فسّر بعض أبيات الكتاب على خلاف ما فسّر سيبويه ،

(١) انظر ترجمته في مراتب النحويين ٤٤ - ٤٦ وأخبار النحويين ٨٠ - ٨٣ .

(٢) مراتب النحويين ص ٤٤ .

(٣) انظر مراتب النحويين ٤٦ - ٦٥ .

(٤) كتاب سيبويه ٣ : ٦٨ .

(٥) انظر السابق نفسه ٣ : ٨٦ .

(٦) انظر أخبار النحويين للسيرافي ص ٩٩، ١٠٢ .

فتناظرا في المسجد^(١).

ولا يعد أن يكون سيبويه أنجز كتابه خلال الفترة التي كان الأصمعيُّ يُؤدِّبُ فيها
أولاد الخلفاء والوزراء ببغداد.

وفي الكتاب أيضاً أعلام القراء ممن لم يُدرك سيبويه زمنهم وقد سُمِّي منهم:
أبي بن كعب^(٢)، وعبد الله بن مسعود^(٣)، ومجاهد بن جبر^(٤)، والحسن
البصري^(٥)، والأعرج^(٦).

(١) انظر معجم الأدباء لياقوت ١٦ : ١٢٥

(٢) انظر كتاب سيبويه ١ : ٩٥ ، ٣ : ١٦٦ ، وتوفي أبي في خلافة عثمان ، انظر ترجمته في خلاصة تذهيب
الكمال في أسماء الرجال لأحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري ط/١ المطبعة الخيرية ١٣٢٣ هـ ، مصر ، ص ٢١
(٣) انظر كتاب سيبويه ٢ : ٨٣ ، ٤ : ٨١ - ٨٢ ، وتوفي ابن مسعود بالمدينة سنة ٣٢ هـ ، انظر خلاصة تذهيب
الكمال ص ١٨١ .

(٤) انظر كتاب سيبويه ٣ : ٢٥ ، وتوفي مجاهد سنة ١٠٢ هـ وهو من تلاميذ ابن عباس ، انظر خلاصة تذهيب
الكمال ص ٣١٥ .

(٥) انظر كتاب سيبويه ١ : ١٧٢ ، ٤ : ٤٤٤ ، وتوفي الحسن البصري سنة ١١٠ هـ ، انظر خلاصة تذهيب
الكمال ص ٦٦ .

(٦) انظر كتاب سيبويه ٢ : ١٨٧ ، ٣ : ١٣٤ ، ٤ : ١٩٦ وتوفي الأعرج (عبد الرحمن بن هرم) سنة ١١٧ هـ ،
انظر خلاصة تذهيب الكمال ص ٢٠٠ .

الفصل الثاني:

الأمثلة النثرية المروية في كتاب سيويه:

أنواعها ، والاحتجاج بها في النحو:

المبحث الأول: الحديث الشريف في كتاب سيويه والاحتجاج به في النحو

المبحث الثاني: الأمثال والحكم في كتاب سيويه والاحتجاج بها في النحو

المبحث الثالث: الأقوال العامة المروية عن العرب في كتاب سيويه: أنماطها

والاحتجاج بها.

مَهَيَّبًا:

من أبرز ما يميّز كتاب سيبويه أنّه حشد فيه عدداً وافراً من الأمثلة ، بعضها مروية عن العرب ، وبعضها ممّا أنشأه سيبويه أو شيوخه على سميت كلام العرب وطرائقها في التعبير .

وتغطي هذه الأمثلة مساحة كبيرة في كتاب سيبويه . فما من ظاهرة نحويّة أو لغويّة أو أسلوب من أساليب العرب إلّا مثّل سيبويه للظاهرة أو الأسلوب بمثال أو أكثر .

ويمكن تقسيم أمثلة سيبويه إلى قسمين كبيرين:

الأمثلة الثريّة المروية عن العرب ، والأمثلة غير المروية .

وموضوع هذا الفصل الأمثلة المروية عن العرب^(١) وقد بينتُ في الفصل الأوّل من هذا الباب طرق سيبويه في الرواية عن العلماء ، وما كان من هذه الطرق مباشراً أو غير مباشر .

والأمثلة التي رواها سيبويه عن العرب ليست كلّها من سماعه ، وإنّما روى كثيراً منها عن شيوخه . وإذا نسبت هذه الأمثلة إلى سيبويه ، فلأنّه تبنّاها في كتابه ، ولأنّ شيوخه أجازوا له أن يروي عنهم صراحة أو ضمناً . ولم يكن - في ذلك العصر - حرج على التلميذ إذا تبنّى أقوال شيوخه ورواياتهم ، دون أن يكون ملزماً بذكر أسمائهم في كلّ موضع .

والأمثلة المروية - كما وضّحتُ في مقدّمة هذه الرسالة - تُعتبر شواهد ، لأنّها مروية نصّاً عن العرب المحتجّ بكلامهم^(٢) . وإطلاق كلمة أمثلة عليها لا يخرجها من

(١) أما الأمثلة غير المروية فقد خصصت لها الباب الثالث نظراً لتنوعها وكثرتها .

(٢) انظر مقدمة البحث الصفحة : ج

باب الاحتجاج. وهي بهذا المعنى تقابل الشواهد من الشعر. وقد استلزم البحث في هذه الأمثلة أن أقسمها إلى ثلاثة أقسام على النحو الآتي:

أ. أحاديث شريفة لم ينسبها سيبويه إلى رسول الله (ﷺ) صراحة ، ولكنه أوردتها في درج كلامه وكأنها أقوال عامة مروية عن العرب.

ب. أمثال وحكم وما جرى مجرى ذلك.

ج. أقوال عامة مروية عن العرب.

وسأفرد لكل قسم منها مبحثاً على الوجه الآتي:

المبحث الأول: الحديث الشريف في كتاب سيويه والاحتجاج به في النحو:

قبل أن أورد الأحاديث التي احتجَّ بها سيويه في كتابه يحسن أن أشير إلى قضية هامة شغلت العلماء منذ القرن السابع الهجري حتى عصرنا هذا. وهي قضية الاحتجاج بالحديث الشريف في إثبات القواعد الكلية في النحو.

فقد لاحظ بعض المتأخرين من النحويين ، كأبي الحسن بن الضائع (ت ٦٨٦ هـ) وأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) أن المتقدمين من النحويين كأبي عمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر ، والخليل بن أحمد ، وسيويه والكسائي ، والفراء وغيرهم - لم يحتجوا بالحديث الشريف في إثبات القاعدة النحوية. ولهذا أنكروا على بعض علماء زمانهم مثل: محمد بن مالك (ت ٦٧٢ هـ) ، احتجاجهم بالحديث في النحو ، ورأوا في ذلك خروجاً على المنهج الذي سار عليه سلفهم من متقدمي المصريين: البصرة والكوفة.

وتتلخص حجة الذين منعوا الاحتجاج بالحديث في إثبات القاعدة النحوية في أمرين:

الأول: إن الرواة جئوا نقل الحديث بالمعنى ، وقد تداول الأعاجم والمولدون رواية الحديث قبل تدوينها ، فزادوا ونقصوا ، وقدموا وأخروا ، وأبدلوا ألفاظاً بألفاظ.

والثاني: إن إئمة النحويين المتقدمين لم يحتجوا بالحديث في النحو واللغة^(١). وأرى أن هذه القضية بُنيت على أساس غير سليم ، وذلك للاعتبارات الآتية: أ. إن رواية الحديث بالمعنى لاتنقض صحة الاحتجاج به في قواعد اللغة ، لأن النقل بالمعنى كان في الصدر الأول ، أي في عصر من عصور الاحتجاج ، مما يقطع بأن الألفاظ التي رويت بالمعنى حجة ، وأن غلبة الظن في هذا كافية.

(١) ينظر في تفصيل هذه القضية: الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي ص ٥٢ - ٥٥ ، وخزانة الأدب للبغدادي

ب. إنَّ العجمة - في تقديري - نوعان: عجمة اللسان ، وعجمة الأصل. أمَّا عجمة الأصل مع فصاحة اللسان فليست علةً قادحة ، فكثير من علماء المسلمين كانوا من أصول غير عربية. ولم يكن هؤلاء أقلَّ فصاحة وطلاقة من نظرائهم العرب. بل إنَّ بعضهم سما على العرب أنفسهم بعلمه وأمانته في النقل والرواية. ورُبَّما كان دافع رواة الحديث من غير العرب إلى تجويد رواياتهم وتحري الصدق فيها أقوى مما هو لدى نظرائهم العرب. فقد كانت شبهة العجمة تفرض عليهم أن يكونوا حذرين في علمهم وروايتهم ، خاصة فيما يتعلَّق بعلوم القرآن الكريم والحديث الشريف.

ج. إنَّ منهج المتقدِّمين من النحويين في الاحتجاج بالحديث في النحو يختلف عن منهج المتأخرين لأسباب سأذكرها في موضعها من هذا البحث. ورُبَّما خفي هذا المنهج على بعض مَنْ اطَّلَعَ على كتب المتقدِّمين وآثارهم فاستنتج أنَّهم لم يحتجُّوا بالحديث في النحو واللغة.

وقد اقتنع بهذا الاستنتاج حتَّى أولئك الذين حوِّزوا الاحتجاج بالحديث في النحو. فقد قالوا في الردِّ على المانعين: (لا يلزم من عدم استدلالهم بالحديث عدم صحة الاستدلال به)^(١).

فهذا اعتراف ضمنيٌّ بأنَّ المتقدِّمين من النحويين لم يحتجُّوا بالحديث في النحو. وَكُتِبَتْ بحوث معاصرة سلِّم أصحابها بأنَّ المتقدِّمين من النحويين - كسيبويه - لم يحتجُّوا بالحديث في إثبات القاعدة النحوية^(٢).

(١) خزائن الأدب للبغدادي ١ : ٩ .

(٢) انظر تطور الدرس النحوي ، د. حسن عون ص ٤٥ ، والمدارس النحوية ، د. شوقي ضيف ط/معارف مصر ١٩٦٨ ص ٤٧ ، ٨٠ ومدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، د. مهدي الخزومي ط/ ٢/ ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م مصر ، ص ٥٨ ، والقرآن الكريم^{وأثره} في الدراسات النحوية ، د. عبد العال سالم مكرم ط/معارف مصر ١٩٦٨ ص ٩٧ ، ونظرات في اللغة والنحو ، طه الراوي ط/ ١/ ١٩٦٢ م المكتبة الأهلية بيروت ص ٢٠ .

غير أن البحث العلمي أثبت خطأ هذا الاستنتاج. وأول من نبه من الباحثين المعاصرين إلى ذلك هو الدكتور عثمان الفكي بابكر. فقد عثر على ثلاثة أحاديث احتج بها سيويه في كتابه^(١).

وقد فتح هذا السبق العلمي باباً للتنقيب عن الأحاديث التي احتج بها المتقدمون من النحويين في مباحث النحو.

ويرى الدكتور أحمد مكي الأنصاري أن الفراء (ت ٢٠٧ هـ) اعتمد الحديث واحتج به على حين كان البصريون والكوفيون يرفضون الاحتجاج به في النحو وكأنه بهذا - في رأيه - يؤسس مذهباً جديداً يغيّر المذهبين معاً ، وهو المذهب البغدادي^(٢).

ويحمد للدكتور الأنصاري أنه نبه إلى احتجاج الفراء - وهو من متقدمي الكوفيين - بالحديث الشريف في النحو واللغة^(٣).

(١) انظر الاستنهاد في النحو العربي ، د. عثمان الفكي بابكر (رسالة ماجستير ، مخطوطة بالآلة الكاتبة) دار العلوم - مصر ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م ص ١٥٧ - ١٥٨ .

(٢) انظر أبو زكريا الفراء ومنهجه في النحو واللغة . د. أحمد مكي الأنصاري ، القاهرة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ ص ٣٩٤

(٣) انظر من كتب أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء التي احتج فيها بالحديث: معاني القرآن ج١ تحقيق أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار ط١/ دار الكتب القاهرة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م ص ٣٧ ، ٣٨ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ١٤٦ وغيرها.

ج٢ بتحقيق محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة ص ٥٩ ، ٨٨ ، ٣٣٦ وغيرها.

ج٣ بتحقيق د. عبد الفتاح شلي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ ص ١١٤ .

والأيام والليالي والشهور تحقيق إبراهيم الاياري القاهرة ١٩٥٦ ص ٢٧ ، ٥٨ .

والمقصود والمدود ، تحقيق عبد الإله نيهان ، ومحمد خير البقاعي ، دار قتيبة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ص ٣٤ - ٣٥

ولأيسلم للدكتور الأنصاري أنَّ الفراء أوَّل مَنْ احتجَّ بالحديث في النحو واللغة. فقد كان الفراء مسبقاً إلى ذلك ، بدليل ما ثبت من أحاديث احتجَّ بها سيبويه في كتابه.

وقد ذهبت الدكتورة خديجة الحديثي إلى أبعد من ذلك حين عدت (أبا عمرو بن العلاء أوَّل مَنْ وصل إلينا عنه احتجاج بالحديث في النحو والصرف ، وقد يكون هناك مَنْ سبقه إلى الاحتجاج بالحديث منذ زمن أبي الأسود الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ هـ)^(١).

ويلاحظ في احتجاج سيبويه بالحديث أمران:

الأوَّل: إنَّ الأحاديث التي احتجَّ بها قليلة بالقياس إلى شواهد من القرآن الكريم ، والشعر ، وأقوال العرب وأمثالهم ، وإنَّ كنتُ لا أستبعدُ أن يكشف البحث العلمي مستقبلاً عن أحاديث أخرى مما احتجَّ به سيبويه في كتابه.

الثاني: إنَّ المتقدمين من النحويين - على وجه العموم - وسيبويه ، على وجه الخصوص ، لم ينسبوا ما احتجُّوا به من الحديث إلى رسول الله (ﷺ).

وافترضت الدكتورة خديجة الحديثي احتمالين لتعليل قلة استشهاد سيبويه بالحديث ، وإغفال الإشارة الصريحة إليه:

الاحتمال الأوَّل: أن يكون سيبويه استغنى بأسلوب القرآن الكريم وآياته عن الحديث الشريف.

الاحتمال الثاني: أن يكون سيبويه اعتبر الكلام المحتجَّ به نوعين: كلام الله عزَّ وجلَّ ، وهو الأساس الأوَّل في الاحتجاج ، وكلام البشر بما فيهم رسول الله (ﷺ)

(١) موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث د. خديجة الحديثي - دار الرشيد للنشر - العراق ١٩٨١ م ص ٤٦ .

والصحابه رضوان الله عليهم وغيرهم. ولهذا قَدِّمَ للأحاديث بما قَدِّمَ به للعبارات التي رواها عن العرب^(١).

والاحتمالان - في رأيي - بعيدان.

أما الأول فلأن الحديث من النصوص التي وثقت توثيقاً دقيقاً محكماً. وإذا سلّمنا باحتمال الاستغناء فمن الأولى أن يستغني سيبويه عن الأشعار والأراجيز التي احتجّ بها لأنها أقلّ توثيقاً من الحديث الشريف. بل إن بعضها مجهول النسبة. أما الاحتمال الثاني فبعيد أيضاً، لأنّ توحيد التقديم ليس دليلاً كافياً لإثبات أنّ سيبويه لا يُفرّق بين الحديث والأقوال الأخرى المروية عن العرب.

وقد انتهى الدكتور محمد ضاري حمّادي إلى رأي في هذه المسألة ملخصه: أنّ الأمر يرجع إلى أسباب فكرية مذهبية وسياسية نتيجة لما نشأ بين المعتزلة أصحاب المنهج الفلسفي الذي اعتمد منطق المتكلمين، وبين أصحاب الحديث الذين اعتمدوا المنهج النقلية (الرواية والسند). فكان لهذا الصراع - في رأيه - أثر مباشر على تفكير النحويين، فوقفوا لذلك موقف المتردد، فلم يقطعوا بحجية الحديث في النحو، ولم يرفضوا ذلك رفضاً صريحاً. ولهذا أخذ الدكتور ضاري على النحويين أنّهم سمحوا لمشاعرهم أن تتأثر بالجدل الذي دار بين المتكلمين والمحدثين فأوقعوا أنفسهم في مزالق هم في غنى عنها^(٢).

وأرى أنّ ما ذهب إليه الدكتور ضاري بعيد أيضاً، لأنّ المتكلمين والمحدثين لم يختلفوا في بلاغة الحديث الشريف، وأنّه من جوامع الكلم. والاحتجاج بالحديث في النحو واللغة لا يُفضي إلى النتائج التي يمكن أن ينتهي إليها في قضايا أخرى تتعلق

(١) انظر الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، د. خديجة الخديشي مطبوعات جامعة الكويت ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ص ٧٥ - ٧٦.

(٢) انظر الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية، د. محمد ضاري حمّادي ط/١ ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م العراق ص ٣٦٣ - ٣٧١.

بالعقائد والمذاهب السياسيّة. ولو كان الأمر على ما قال لما احتجّ العلماء بالحديث في الفروع الأخرى كالأخبار والتاريخ والأدب.

وأيسرُ من هذا كلّهُ - في تقديري - أن يُقال: إنَّ منهج المتقدّمين في الاحتجاج بالحديث في النحو يرجع إلى منهجهم في الاستشهاد عموماً وهو العناية بالنصّ نفسه ، وبيان ما يجوز فيه من وجوه الإعراب تبعاً لصحة المعنى واستقامته.

والأحاديث التي أوردتها سيويه في كتابه لا تخرج عن حدود هذا المنهج. فقد كان العلماء في عصره يلمّون بها سنداً وممتناً ، ولهذا أضرب سيويه عن ذكر السند وأغفل الإشارة إلى أنّها أحاديث ، بل اختصر المتن في بعض المواضع اعتماداً على فهم العلماء لهذه الأحاديث ودرابتهم بسندها ومنتها.

أمّا آيات القرآن الكريم فإنّها كلام الله تعالى ، ولهذا كان لا بُدَّ أن تُتميَّز عن غيرها تعظيماً للنصّ القرآنيّ.

وقد حرص سيويه على تقديم نصوص القرآن الكريم بعبارة: قال الله عزّ وجلّ ونحوها. ولم يشدّ عن ذلك إلا في مواضع قليلة اعتماداً على سياق العرض^(١).

ويلاحظ هذا أيضاً في شواهد سيويه من الشعر. فأغلب هذه الشواهد غير منسوب إلى قائله في أصل المتن الذي كتبه سيويه.

وربّما اضطرّ سيويه أو شيوخه إلى نسبة بعض الشعر إلى قائله ، لأنّ الموقف أو السياق يستلزم ذلك. فقد يكون البيت منسوباً لأكثر من شاعر. وقد يُنسب بروي إلى شاعر ، ورويّ آخر إلى غيره. ولهذا يضطرّ سيويه إلى توثيق النصّ الشعريّ في بعض المواضع ، كأن يقول: (والقوافي مجرورة)^(٢) أو (والقوافي مرفوعة)^(٣).

(١) انظر كتاب سيويه ١: ٣٣٠ ، ٢: ٤٧ ، ١٠٦ ، ٤: ٣٦٤ .

(٢) السابق نفسه ١: ٤٣٢ .

(٣) السابق نفسه ٣: ٧٨ .

واختصار النَّصِّ المحتجِّ به في كتاب سيبويه وإغفال الإشارة إلى قائله يُلاحظ في غير الحديث أيضاً. فقد ذكر سيبويه أمثلة مقتطعة من شعر كان معروفاً في عصره. وقد غمض بعض هذا على كثير من سُراح أبيات الكتاب ، فتجاوزوه إلى الشعر الصريح ، ووقفوا على بعضه ونَبَّهوا إلى أَنَّهُ شعر أو مقتطع من شعر.

وهذه نماذج من كتاب سيبويه توضح ذلك:

أ. (وبعض العرب يقول: لقد علمتُ أيَّ حين عُقبتي ، ، وبعضهم يقول: لقد علمتُ أيَّ حين عُقبتي)^(١).

ذكر ابن السرياني أَنَّ هذا بيت شعر خُلِطَ في الكتاب بالكلام، وأورد الأبيات وهي من أرجوزة لم تُنسب إلى قائلها^(٢).

ب. ذكر سيبويه قطعة من بيت شعري وهي: عَدِيرَ الحَيِّ^(٣). ثُمَّ في موضع آخر ذكر البيت كاملاً منسوباً لذي الأصبع العدواني:

عَدِيرَ الحَيِّ مِنْ عَدُوا نَ كَانُوا حَيَّةَ الأَرْضِ^(٤)

ج. (ومثل مجراها اليمين قولهُ: البقول يمينها وشمالها)^(٥).

قوله: البقول يمينها وشمالها يحتمل أَنَّهُ شعر من بحر الكامل ، غير أَنَّ سيبويه اختصر فيه على موضع الاستشهاد ولم يورد النَّصَّ كاملاً. والدليل الذي يُقوِّي أَنَّهُ شعرٌ ، أَنَّ سيبويه جعله نظير قول عمرو بن كلثوم:

(١) انظر كتاب سيبويه ١ : ٢٤٠.

(٢) انظر شرح أبيات الكتاب لأبي محمد يوسف بن أبي سعيد السرياني ج١ تحقيق د. محمد علي سلطاني ط/ دار المأمون ١٩٧٩م دمشق ص٢٢٤ . وانظر فهارس كتاب سيبويه ودراسة له لمحمد عبد الخالق عضيمة ط/ ١/ ١٣٩٥ ١٩٧٥/ دار الحديث القاهرة ص٧٧٥ .

(٣) انظر كتاب سيبويه ١ : ٢٤٦.

(٤) انظر السابق نفسه ١ : ٢٧٧

(٥) كتاب سيبويه ١ : ٢٢٢ .

صَدَدَتِ الْكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو وَكَانَ الْكَأْسُ بِجَرَاهَا الْيَمِينَا^(١)
د. (مررتُ به فإذا له دَقُّ دَقِّكَ بِالْمُنْحَازِ حَبُّ الْفَلْفَلِ)^(٢).

فهذا يحتمل أنه إشارة لقول الراجز:

دَقُّكَ بِالْمُنْحَازِ حَبُّ الْفَلْفَلِ^(٣).

هـ. (وقال: فأين الجنادِبُ ، لنفر يُسَمَّى كُلُّ واحدٍ منهم جندياً)^(٤).

فقوله: فأين الجنادِبُ يحتمل أن يكون قطعة من بيت شعري ، فإن صحَّ هذا فالراجح أن يكون من بحر الطويل لأنَّ وزن هذه القطعة: فَعولن مفاعِلن.

و. (وقال: تَظَلَّمِي ، أي ظلمني مالي)^(٥).

فهذا يحتمل أن يكون سيبويه نظر فيه إلى قول فرعان بن الأعراف:

تَظَلَّمُ مَالِي هَكَذَا وَلَوْ يَدِي لَوَى يَدَهُ اللَّهُ الَّذِي هُوَ غَالِيهِ^(٦)

ز. (ومن ثمَّ قالتِ العربُ في الشعرِ في القوافي: سَبَسْبَا)^(٧).

ولعله يشير إلى قول الشاعر:

تَرَكُ مَا أَبْقَى الدَّبَا سَبَسْبَا كَأَنَّهُ السَّيْلُ إِذَا اسْلَحَبَا^(٨)

(١) من شواهد كتاب سيبويه ١: ٢٢٢ .

(٢) انظر كتاب سيبويه ١: ٣٥٧

(٣) انظر لسان العرب (خن)

(٤) السابق نفسه ٣: ٣٩٧ وانظر هامش المحقق رقم ١.

(٥) كتاب سيبويه ٤: ٧٢ .

(٦) انظر تعليق هارون على كتاب سيبويه ٤: ٧٢ هامش رقم ٥.

(٧) كتاب سيبويه ٤: ١٦٩ .

(٨) نُسب إلى رُؤبة بن العجاج ونسبه البغدادي إلى ربيعة بن صُبَيْح انظر شرح شافية ابن الحاجب ج٤ (شرح

الشواهد للبغدادي) تحقيق محمد نور الحسن وآخرين دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٢/ ١٩٨٢ م ص ٢٥٤

وأحسبُ أنني مهتدٌ بهذا لاستعراض الأحاديث التي أوردها سيبويه في كتابه. وسأذكر أولاً الأحاديث التي عثر عليها الباحثون قبلي اعترافاً بجهدهم. ، ثم أضيف إلى ذلك ما أرجح^{أن} يكون أحاديث شريفة احتجَّ بها سيبويه. وإليك البيان:

١- يقول سيبويه: (وأما قولهم: كلُّ مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرّانه ، ففيه ثلاثة أوجه: فالرفع وجهان ، والنصب وجه واحد)^(١).

فهذا حديث أخرجه البخاري وغيره بسنده عن أبي هريرة (رضي الله عنه)^(٢). ولم ترد (هما) في روايات الحديث التي وقفتُ عليها. وهذا موضع استشهاد سيبويه بالحديث.

وسيبويه غير متهم في روايته ، ولعلَّ هذه من روايات هذا الحديث غير المشهورة بين العلماء ، وإنما احتج بها سيبويه للفصل بالضمير.

٢- يقول سيبويه: (ومثل ذلك ما من أيامٍ أحبَّ إلى الله عزَّ وجلَّ فيها الصومُ منه في عشرِ ذي الحجة)^(٣).

• والشاهد رفع اسم التفضيل للاسم الظاهر (الصوم). والحديث الذي احتجَّ به سيبويه أخرجه الترمذي بإسناده عن ابن عباس (رضي الله عنه) ونلفظه: ما من أيامٍ العملُ الصالحُ فيهنَّ أحبَّ إلى الله من هذه الأيامِ العشر - الحديث. وأخرجه كذلك بإسناده عن أبي

(١) كتاب سيبويه ٢: ٣٩٣ .

(٢) صحيح البخاري كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي هل يصلى عليه ، وباب ما قيل في أولاد المشركين ، وكتاب التفسير ، باب سورة الروم ، وكتاب القدر باب الله أعلم بما كانوا عاملين. وأخرجه مسلم في كتاب القدر ، ومالك في الموطأ كتاب الجنائز ، باب جامع الجنائز ، والترمذي في كتاب القدر باب ما جاء كل مولود يولد على الفطرة.

(٣) كتاب سيبويه ٢: ٣٢٢ .

هريرة (رضي الله عنه): ما من أيام أحب إلى الله أن يتعبّد له فيها من عشر ذي الحجة - الحديث (١).

• وأخرجه أبو داود الطيالسي بإسناده عن عبد الله بن عمرو. قال حضرت رسول الله (ﷺ) وذُكر عنده أيام العشر فقال: ما من أيام أحب إلى الله عز وجل العمل فيه من عشر ذي الحجة - الحديث (٢).

• وهذه الرواية أيضاً في مسند ابن حنبل بإسناده عن عبد الله بن عمرو بن العاصي: ما من أيام أحب إلى الله العمل فيهن من هذه الأيام - الحديث (٣).

• ورواية أبي داود وابن حنبل قريبة مما أورده سيويوه ، لأن العمل ارتفع كما ارتفع الصوم في رواية سيويوه وهذا موضع الشاهد في الحديث.

٣- في مبحث التنازع يقول سيويوه: (ومثل ذلك: ونخلع ونترك من يفجرك) (٤).

فهذا حديث ذكره مالك في المدونة ولفظه: (بيننا رسول الله (ﷺ) يدعو على مضر إذ جاءه جبريل فأوماً إليه أن اسكت فسكت. فقال: يا محمد إن الله لم يعثك سباً ولا لعانا ، وإنما بعثك رحمة ، ولم يعثك عذاباً. ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون. قال ثم علمه القنوت: اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونخضع لك ونخلع ونترك من يكفرك - الحديث) (٥).

وقد احتج به سيويوه على الحذف في هذا الباب استغناء بعلم المخاطب. والعامل الثاني أولى بالعمل عنده لقربه من المعمول.

(١) انظر الجامع الصحيح (سنن الترمذي) كتاب الصوم باب ما جاء من العمل في أيام العشر.

(٢) مسند أبي داود الطيالسي ط/١ دائرة المعارف النظامية ١٣٢١ هـ حيدرآباد ، الهند ص ٣٠١ حديث رقم . ٣٢٨٣

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٦ شرحه ووضع فهارسه أحمد محمد شاكر ط/٢ دار الحديث ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م القاهرة ص ٥٨ - ٥٩ حديث رقم: ٦٥٠٥ .

(٤) كتاب سيويوه ١ : ٧٤ .

(٥) المدونة الكبرى للإمام مالك ج ١ المعادة - مصر الطبعة الأولى (بدون تأريخ) ص ١٠٣ .

٤- في باب ما ينتصب لأنه خير للمعروف المبني على ما هو قبله من الأسماء البهمة ، يقول سيبويه: (وتقول إنِّي عبد الله مصغراً نفسه لرَبِّه ، ثُمَّ تَفَسَّرَ حال العبد فتقول أكلًا كما تأكل العبد)^(١).

والحديث ورد في طبقات ابن سعد بسنده (عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: يا عائشة لو شئت لسارت معي جبال الذهب. أتاني ملك وأن حنجرته لتساوي الكعبة ، فقال: إن ربك يقرئ عليك السلام ويقول لك إن شئت نبياً ملكاً ، وإن شئت نبياً عبداً. فأشار إلي جبريل ضع نفسك. فقلت: نبياً عبداً. قالت وكان النبي ﷺ بعد ذلك لا يأكل متكماً ، ويقول: أكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد)^(٢).

وقد احتج به سيبويه على نصب (أكلًا) على الحال المفسرة لمضمون الجملة قبلها. ورواية ابن سعد بصيغة المضارع (أكل). ولعل رواية سيبويه كانت معروفة في زمنه.

٥- يقول سيبويه: (وَأَمَّا سُبُوحًا قُدُوسًا رَبَّ الملائكة والروح فليس بمنزلة سبحان الله ، لأنَّ السُّبُوحَ والقُدُوسَ اسم ، ولكنه على قوله اذكر سُبُوحًا قُدُوسًا ... ومن العرب مَنْ يرفع فيقول: سُبُوحٌ قُدُوسٌ رَبُّ الملائكة والروح)^(٣).

والحديث مروى بسنده عن عائشة رضي الله عنها ، أخرجه مسلم وغيره^(٤). والرواية المشهورة بالرفع وقد ذكرها سيبويه عرضاً. والنصب عند سيبويه بفعل محذوف ، والرفع على تقدير: هو سُبُوحٌ ، كما تقول: أهلُ ذاك ، وصادقٌ والله.

(١) كتاب سيبويه ٢: ٨٠ وفي طبعة (بولاق) ١: ٢٥٧ : فيقول أكلًا كما يأكل العبد ، وشارباً كما يشرب العبد.

(٢) طبقات ابن سعد ج١ القسم الثاني ، عني بتصحيحه وطبعه إدوارد سخرط / ليدن ١٣٢٢ هـ ص ١٠١ .

(٣) كتاب سيبويه ١: ٣٢٧ .

(٤) صحيح مسلم كتاب الصلاة باب ما يقال في الركوع والمسجود وسنن النسائي كتاب الافتتاح باب الذكر في الركوع ، وسنن أبي داود كتاب الصلاة باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده.

وذكر سيويه أَنَّ السُّبُوحَ وَالْقُدُّوسَ اسْمًا. وظاهر هذا أَنَّهُ يخالف قوله في باب ما بنت العرب من الأسماء والصفات والأفعال: (ويكون على فُعُولَ فِيهِمَا ، فالاسم: سَقُودٌ وَكَلُوبٌ. والصفة: سُبُوحٌ وَقُدُّوسٌ. ...) (١) ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: وَيَكُونُ عَلَى فُعُولَ ، قالوا: سُبُوحٌ وَقُدُّوسٌ وهما صفة (١).

ويحمل هذا على أَنَّ مراد سيويه بالاسم ما ليس مصدرًا فيدخل فيه الاسم والصفة. وجاء في أدب الكاتب لابن قتيبة: (وقال سيويه: ولم يأتِ على فُعُولَ اسم ولا صفة ، وقال غيره: قد جاء سُبُوحٌ وَقُدُّوسٌ) (٢).

ولم أعر في كتاب سيويه على هذا النص بالضبط الذي ذكره ابن قتيبة ، ولكن ورد في كتاب سيويه (وليس في الكلام فُعُولَ) (٣). أي بضم الفاء وفتح العين المشددة.

٦- يقول سيويه في باب تسميتك الحروف بالظروف وغيرها من الأسماء: (فإن أردت حكاية هذه الحروف تركتها على حالها كما قال: إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ عَنْ قِيلَ وَقَالَ. ومنهم من يقول: عن قِيلٍ وَقَالَ) (٤).

فهذا حديث أخرجه البخاري بإسناده عن المغيرة بن شعبة وفيه: إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ عِنْدَ انْصِرَافِهِ مِنَ الصَّلَاةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ... إِلَى أَنْ قَالَ: وَكَانَ يَنْهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ - الْحَدِيثُ (٥).

(١) كتاب سيويه ٤ : ٢٧٥ .

(٢) أدب الكاتب لابن قتيبة ط/بيروت ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ ص ٦١٤ . وفي تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ، (سبح): ليس في الكلام فُعُولَ صفة غير سُبُوحٍ وَقُدُّوسَ ، وأثبت فيه بعضهم فُرُوحًا فيكون اسماً.

(٣) كتاب سيويه ٤ : ٢٧٥ .

(٤) كتاب سيويه ٣ : ٢٦٨ .

(٥) البخاري ، كتاب الرقاق ، باب ما يكره من قيل وقال . وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ما يكره من كثرة السؤال ومن تكلف ما لا يعنيه.

وأخرجه مالك في الموطأ بإسناده عن أبي هريرة^(١). وأخرجه الطبري بإسناده عن قتادة (إنَّ الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال – الحديث)^(٢).

وقد احتجَّ به سيبويه على أنَّ الحروف إذا سُمِّيَ بهنَّ صِرْنَ أسماءَ معربة ، فإن أردت حكايتها تركتها على حالها كما ترك قيلَ وقالَ - وهما فعلان ماضيان - على حالهما بعد دخول حرف الجرِّ. ومن العرب مَنْ يُعَرِّبُ ، لأنَّه قصد التسمية فيقول: عن قيلٍ وقالٍ.

٧- في باب تسمية المذكر بال مؤنث يقول سيبويه: (فأما ما جاء من المؤنث لا يقع إلا للمذكر وصفاً ، فكأنَّه في الأصل صفة لسبعة أو نفس ، كما قال: لا يدخل الجنَّة إلا نفس مسلمة)^(٣).

فقوله: لا يدخل الجنَّة إلا نفس مسلمة حديث أخرجه البخاريّ بسنده عن أبي هريرة (رضي الله عنه)^(٤). والحديث كذلك في طبقات ابن سعد بإسناده عن سلمان الفارسيّ (رضي الله عنه)^(٥).

٨- في باب (ما أسكن من هذا الذي ذكرنا وترك أول الحرف على أصله لو حرّك) يقول سيبويه: (ومثل ذلك نَعَمَ وَيُسَسَ ، إمَّا هما فَعِلَ وهو أصلهما. ومثل ذلك: فيها ونعمت)^(٦).

(١) كتاب ما يكره من الكلام باب ما جاء في إضاعة المال وذو الوجهين.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لمحمد بن جرير الطبري مجلد ٣ ، دار الفكر بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م ص ١٠٠ .

(٣) كتاب سيبويه ٣ : ٢٣٧ .

(٤) البخاري كتاب الجهاد والسير ، باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر.

(٥) طبقات ابن سعد الجزء الرابع القسم الأول ص ٥٩ .

(٦) كتاب سيبويه ٤ : ١١٦ ، وانظر ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي ج ٣ تحقيق د. مصطفى أحمد التحاس ط/ ١ مصر ١٤٠٩ / ١٩٨٩ ص ٢٢ .

وفي سنن أبي داود بإسناده (عن سَمُرَةَ بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ):
 مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهَا وَنَعِمَتْ ، وَمَنْ اغْتَسَلَ فَهُوَ أَفْضَلُ^(١) .
 وذكره ابن الأثير بلفظ: مَنْ تَوَضَّأَ لِلْجُمُعَةِ فِيهَا وَنَعِمَتْ . وفسره بحذف
 المخصوص بالمدح ، أي ونعمت الفعل والخصلة هي^(٢) .
 وقد احتجَّ به سيبويه على تسكين العين وكسر الفاء اتباعاً لحركة العين المكسورة
 أصلاً . وبعض العرب تركوا الفاء على أصلها وهو الفتح فقالوا: نَعَمَ الرجل .
 والظاهر أنَّ سيبويه اقتطع هذه العبارة من الحديث ، وهذا يتفق مع مذهبه في
 الاختصار . وقد أورد الميداني فيها ونعمت في أمثال العرب^(٣) .
 ٩- يقول سيبويه: (وتقول لامثلهُ رجلٌ إذا حملته على الموضع ، كما قال
 بعض العرب: لا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله^(٤)) .
 وقد عدت الدكتورة خديجة الحديثي قوله: (لا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله) من مواضع
 الاحتجاج بالحديث في كتاب سيبويه^(٥) .
 وفي صحيح البخاري بإسناده عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) ، جاء في الحديث:
 أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فِدَاكَ أَبِي
 وَأُمِّي . قال: لا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله^(٦) .
 وقد احتجَّ سيبويه بالحديث على جواز العطف بالرفع حملاً على موضع لا واسمها
 ، لأنَّهما عند الخليل وسيبويه في موضع اسم مبتدأ .

(١) سنن أبي داود كتاب الوضوء باب الرخصة في ترك الغسل يوم الجمعة .

(٢) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير حده تحقيق محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الراوي
 ط/بيروت ص ٨٣ .

(٣) انظر مجمع الأمثال للميداني حده تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ط/بيروت ص ١٠٧ .

(٤) كتاب سيبويه ٢: ٢٩٢ .

(٥) انظر موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث د. خديجة الحديثي ص ٦٩ .

(٦) صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة خيبر ، وكتاب القدر باب قول لا حول ولا قوَّة إلا بالله .

١٠- في باب ما يضم في الفعل المستعمل إظهاره بعد حرف ، يقول سيبويه:
(وذلك قولك: الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌّ. والمرء مقتولٌ بما
قتل به إن خنجراً فخنجرٌ وإن سيفاً فسيفٌ)^(١).

احتجَّ ابن مالك بالعبارة الأولى على حذف كان مع اسمها وبقاء خبرها وذكر أنَّ
هذا (كثير في نثر الكلام ونظمه. فمن النثر قول النبي (ﷺ): المرء مجزيٌ بعمله إن خيراً
فخيراً وإن شراً فشرٌّ)^(٢). وابن مالك ثقة فيما يرويه. وقد عثرتُ على رواية ذكرها
العجلوني ولفظها: (إنَّ الله يقول أنا عند حسن ظنِّ عبدي بي إن خيراً فخيرٌ ، وإن
شراً فشرٌّ)^(٣).

أما العبارة الثانية التي ذكرها سيبويه فلم أعر عليها في كتب الحديث وفهارسه.
١١- في باب الشيتين اللذين ضمَّ أحدهما إلى الآخر فجعلنا بمنزلة اسم واحد ،
يقول سيبويه: (وأما حَيْهَلٌ التي للأمر فمن شيتين ، يدلُّك على ذلك: حَيٌّ على
الصلاة)^(٤).

وقوله حَيٌّ على الصلاة جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه^(٥). واحتجَّ به
سيبويه على أنَّ حَيْهَلٌ مركب من شيتين.

١٢- في باب آخر من أبواب أن يقول سيبويه: (وتقول لبيك إنَّ الحمدَ والنعمة

(١) كتاب سيبويه ١: ٢٥٨ .

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ، لابن مالك ، تحقيق ، محمد فواد عبد الباقي
ط/القاهرة ص ٧١ .

(٣) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من أحاديث على السنة الناس ، لإسماعيل بن محمد العجلوني ج ١
صححه وعلق عليه أحمد القلاش نشر مكتبة التراث الإسلامي - حلب ص ٢٨٥ حديث رقم ٧٤٦ قال: رواه ابن
ماجة وأبو نعيم عن وائلة يرفعه.

(٤) كتاب سيبويه ٢: ٣٠٠ .

(٥) انظر صحيح مسلم كتاب الصلاة باب صفة الأذان.

لك ، وإن شئت قلت: أن^(١).

فهذا حديث أخرجه البخاري بإسناده (عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يَهْلُ ملبداً يقول: ليك اللهم ليك ، ليك لا شريك لك ليك ، إنَّ الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك. لا يزيد على هذه الكلمات)^(٢).

وكذلك أخرجه مسلم وغيره^(٣).

وفي كتاب سيبويه من أقوال الصحابة: قضية ولا أبا حسن ، مما ظاهره عمل لا النافية للجنس في المعرفة. وهذا عند النحويين مؤوول بنكرة. قال سيبويه: (كأنه قال: لا أمثال عليّ لهذه القضية ، ودلّ هذا الكلام على أنه ليس لها عليّ ، وأنه قد غُيِّبَ عنها)^(٤).

وقد اختلف في تقدير سيبويه وفهمه. فقال قوم المعنى: ولا مسمّى بهذا الاسم لها^(٥). ويشكل على هذا التقدير أنّ المسمّى بأبي حسن معلوم ، فليس النفي على إطلاقه.

وأوله آخرون على حذف مضاف. والتقدير عندهم: ولا مثل أبي حسن لها^(٦). ومثل متوغلة في الإبهام لا تتعرّف بالإضافة إلى معرفة ، ويدخل على هذا المعنى أنّ نفي المثل نفي للمدوح نفسه.

(١) كتاب سيبويه ٣: ١٢٨.

(٢) البخاري كتاب اللباس باب التلبيد ، وكتاب الحج باب التلبية.

(٣) صحيح مسلم (الحج) باب ما جاء في التلبية ، وسنن الترمذي كتاب الحج باب ما جاء في التلبية ، وسنن النسائي مناسك الحج. وموطأ مالك كتاب الحج باب العمل في الإهلال.

(٤) كتاب سيبويه ٢: ٢٩٧.

(٥) انظر شرح ابن عقيل على الألفية ٢: ٦.

(٦) انظر شرح كافي ابن الحاجب للرضي ج١/ ط١/ دار الكتب العلمية بيروت ص ٢٦٠.

والظاهر أنَّ سيويه يذهب إلى أنَّ أبا حسن هنا اسم جنس للدلالة على الصفة التي اشتهر بها عليّ كرم الله وجهه وهي الفصل في الخصومات. وكأنَّ المعنى: قضية لا يفصل لها ، أي عسيرة وشاقة^(١).

والعبارة أتر من آثار عمر (رضي الله عنه) في حق عليّ كرم الله وجهه^(٢). ومن ذلك أيضاً في كتاب سيويه إياي وأن يحذف أحدكم الأرنب^(٣). وهذا مما ورد فيه التحذير بغير ضمير المخاطب شذوذاً. والعبارة من قول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

وهي في بعض الشروح النحويّة: (لتذك لكم الأسل والرماح والسهام ، وإيأي وأن يحذف أحدكم الأرنب)^(٤).

ورويت أيضاً بتقديم الجزء الأخير وحذف كلمة وزيادة أخرى: (إيأي وأن يحذف أحدكم الأرنب بالعصا ، وليذك لكم الأسل والرماح)^(٥).

ورواية الحاكم في المستدرک بإسناده عن زرقال أنه رأى عمر بن الخطاب في يوم عيد يمشي حافياً يقول: (عباد الله هاجروا ولا تهجروا وليتق أحدكم الأرنب يحذفها بالحصى أو يرميها بالحجر فيأكلها ، ولكن ليذك لكم الأسل والرماح والنبيل)^(٦). ومن آثار الصحابة أيضاً مما ورد في كتاب سيويه: (أعطيكم سنة العُمريين)^(٧).

(١) انظر شرح كافي ابن الحاجب ، للرضي ١ : ٢٦٠ .

(٢) انظر حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ١ : ١٤١

(٣) انظر كتاب سيويه ١ : ٢٧٤ .

(٤) شرح الأشموني على الألفية ٣ : ١٩١ .

(٥) شرح الكافية للرضي ١ : ١٨١ .

(٦) المستدرک على الصحيحين في الحديث لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ج ٣ ط ١ / ١٣٤١

هـ حيدر آباد ص ٨٠ - ٨١

(٧) كتاب سيويه ٢ : ١٠٤ .

والمشهور سنة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. ويفهم من كلام السيرافي أن قائل هذه العبارة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) لما قيل له: نسألك سنة العمرين^(١). هذه هي الأحاديث والآثار التي تبه إليها الباحثون في كتاب سيويه. وقد حاولت بقدر ما وسعني من جهد أن أخرج هذه الأحاديث في الصحيحين والسنن والمسائيد.

وقد أعدت قراءة كتاب سيويه أكثر من مرة وسحلت كثيراً من عباراته، ثم راجعت ذلك كله في مصادر الحديث وفهارسه. وقد أثمر هذا الجهد عن بعض العبارات التي رجحت أن تكون أحاديث احتج بها سيويه في كتابه. ومن ضمن ذلك حديث نسب بعض الباحثين الاحتجاج به للمرد، غير أنني عثرت عليه في كتاب سيويه.

وهذا بيان العبارات التي أرحح أنها أحاديث اختصر بعضها سيويه واحتج بها في كتابه:

١- شاهدك

جاء في أمالي السهيلي (ت ٥٨١ هـ): (وَأَمَّا بَيِّنَتُكَ أَوْ يَمِينُهُ بِالرَّفْعِ فَهَذَا اللَّفْظُ بَعِينُهُ مَسْطُورٌ فِي كِتَابِ سَيَوِيهِ ، وَذَكَرَ فِيهِ التَّنْصِبُ بِإِضْمَارِ فِعْلٍ كَأَنَّهُ قَالَ: أَحْضَرَ بَيِّنَتَكَ ، وَأَجَازَ بِإِضْمَارِ الْمَبْتَدَأِ ، وَتَقْدِيرُهُ: الْمَحْكُومُ بِهِ بَيِّنَتُكَ)^(٢).
والحديث الذي ذكره السهيلي أخرجه البخاري بإسناده عن أبي هريرة (رضي الله عنه)^(٣).

(١) انظر شرح السيرافي بهامش كتاب سيويه ٢: ١٠٤ .

(٢) أمالي السهيلي ، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي السهيلي ، تحقيق محمد إبراهيم البنا - مصر ص ١٠٧-١٠٨ .

(٣) صحيح البخاري كتاب التفسير ، سورة آل عمران.

والحقُّ أنَّ نَصَّ السُّهَيْلِيِّ واضح وقاطع ، ولكنَّ الحديث كما رواه السُّهَيْلِيُّ غير موجود في طبعات الكتاب التي بين أيدينا. وقد افترضتُ احتمالين لكلام السهيلي:

الأول: أن يكون السهيليُّ قرأ هذا الحديث في كتاب نحويٍّ آخر ، فوهم أنَّه في كتاب سيويه.

والثاني: أن يكون الحديث مسطوراً في النسخة التي اطلع عليها السهيليُّ بالرواية التي ذكرها ، ولكنه في النسخ التي وصلت إلينا رُوِيَ بوجه آخر. وقد استبعدتُ الاحتمالَ الأوَّل ، لأنَّ السهيليَّ محقِّق دقيق العبارة وقد أكَّد كلامه بما لا يدع مجالاً للشك فيه.

أما الاحتمالُ الثاني فمقبول ، لأنَّ نسخ الكتاب كثيرة ولم تكن كلها متطابقة تماماً.

وعلى هذا الأساس بحثتُ في كتب الحديث المعتمدة عن رواية أخرى لهذا الحديث. فعثرتُ في صحيح البخاريِّ على رواية بإسناده عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) جاء فيها: فقال رسول الله (ﷺ): شاهدك أو يمينه^(١).

وكذلك عثرتُ على رواية أخرى للحديث نفسه في صحيح البخاريِّ بإسناده عن ابن مسعود (رضي الله عنه) ، جاء فيها: (وقال النبيُّ ﷺ): شاهدك أو يمينه^(٢). ثمَّ عدتُ إلى كتاب سيويه فوجدته في باب الأمر والنهي يعلُّلُ لرفع (أنت) في قول عدي بن زيد:

أَرَوَاحُ مُودِّعٍ أَمْ بُكُورُ أَنْتَ فَانظُرْ لِأَيِّ ذَاكَ تَصِيرُ
فذكر ثلاثة أوجه:

(١) صحيح البخاري كتاب المظالم باب الرهن في الحضرة.

(٢) صحيح البخاري كتاب الشهادات باب اليمين على المدعي عليه من الأموال والحدود.

الأول: أن يكون (أنت) فاعل بفعل محذوف قياساً على المنصوب في نحو زيداً ضربته.

الثاني: أن يكون (أنت) مبتدأ خبره مضمرة ، والتقدير أنت الهالك.

الثالث: أن يكون (أنت) خبراً لمبتدأ مضمرة ، والتقدير الهالك أنت^(١).

وقدّر سيبويه الرفع بقوله: (ويجوز هذا أيضاً على قولك: شاهدك ، أي ما ثبت لك شاهدك)^(٢).

وهذا التقدير يطابق ما ذكره السهيلي في وجه الرفع. والراجح عندي أن يكون السهيلي عتّى هذا الموضع ، وأنّه في نسخته: بيتك أو عيّن ، وفي النسخ التي بين أيدينا : شاهدك ، والمعنى شاهدك أو عيّن كما في رواية الحديث ولكنه ورد مختصراً في نسخ الكتاب المطبوعة. والظاهر أنّ سيبويه ذكر النصب استطراداً في نسخة السهيلي.

٢- حَيْهَلٌ بِعُمَرَ:

هذا الحديث أخرجه الحاكم بإسناده عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: إن كان عُمَرُ حصناً حصيناً يدخل الإسلام فيه ولا يخرج منه فلماً أُصيب عُمَرُ انثلم الحصن ، فالإسلام يخرج منه ولا يدخل فيه ، إذا ذُكِرَ الصالحون فَحَيْهَلًا بعمر^(٣). وقد نسبت الدكتورة خديجة الحديثي الاحتجاج بهذا الحديث إلى المبرّد ، وقالت: (وكان سيبويه قد سبقه إلى الحديث عن حَيْهَلٍ واللغات فيها ، إلا أنه لم يورد هذا الحديث ، وإنما ذكر عبارة حيهل الصلاة ، وشواهد شعرية ونثرية ليس من

(١) انظر كتاب سيبويه ١: ١٤٠ - ١٤١ .

(٢) كتاب سيبويه ١: ١٤١ وانظر طبعة بولاق ١: ٧١ ونصه فيها: (أي شاهدك ما ثبت لك أو ما ثبت لك شاهدك).

(٣) المستدرک علی الصحیحین فی الحدیث للحاکم النیسابوری ٣: ٩٣ ، وانظر كذلك تاريخ الخلفاء للسيوطي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط/١ ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م السعادة - مصر ص ١٢٠ - ١٢١ وكشف الخفاء للعجلوني ١: ٩٠ ويظهر من كلامهم أنّ الحديث موقوف.

بينها الحديث. فجاء المرّد واحتجّ به مستقلاً عن سيبويه وتأثيره ، ومع ذلك لم يشير إلى أنّه حديث أو جزء من حديث^(١).

والموضع الذي احتجّ به المرّد بهذا الحديث هو قوله في المقتضب: (ومن هذه الحروف حَيْهَلُ فإنما هما اسمان جعلاً اسماً واحداً. وفيه أقاويل فأجودها: حَيْهَلُ بعمر ، فإذا وقفت قلت: حَيْهَلًا فجعلت الألف لبيان الحركة)^(٢).

وما ذكره المرّد هنا هو كلام سيبويه في باب ما يبينون حركته وما قبله متحرك. يقول سيبويه في هذا الباب: (فمن ذلك قول العرب: حَيْهَلًا ، فإذا وصلوا قالوا: حَيْهَلُ بعمر ، وإن شئت قلت: حَيْهَلُ)^(٣).

وبهذا يثبت أنّ سيبويه احتجّ بهذا الحديث في كتابه ، وإنما نقل المرّد عنه ، ولم يكن مستقلاً عن تأثير سيبويه في الاحتجاج بهذا الحديث.

٣- عائذاً بالله...

قال: سيبويه في باب (ما ينتصب من الأسماء التي أخذت من الأفعال انتصاب الفعل): (ومثل ذلك: عائذاً بالله من شرّها ، كأنه رأى شيئاً يُتقى فصار عند نفسه في حال استعادة حتى صار بمنزلة الذي رآه في حال قيام وعود ، لأنه يرى نفسه في تلك الحال ، فقال: عائذاً بالله...)^(٤).

والمرجح عندي أن يكون سيبويه احتجّ في هذا الموضع بالحديث الشريف ، ولكنه اختصر بعض ألفاظه على مذهبه في الاحتجاج بالحديث.

(١) موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث ، د. خديجة الحديثي ص ٩٦-٩٧ وقطعت بهذا في مواضع أخرى من كتابها انظر ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٦٤ .

(٢) المقتضب ، صنعة أبي العباس محمد بن يزيد المرّد ج ٣ تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة ص ٢٠٥ .

(٣) كتاب سيبويه ٤ : ١٦٣ ، والنص أيضاً في طبعة بولاق ٢٢ : ٢٧٩ .

(٤) كتاب سيبويه ١ : ٣٤١ .

فقد أخرج البخاري بإسناده عن أنس (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ: عَائِذًا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الْفِتَنِ. وَإِسْنَادُهُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ): أَيْعَذِبُ النَّاسُ فِي قُبُورِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): عَائِذًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ (١).

وموضع الاستشهاد بالحديث هو قوله (عائذاً) حيث أناب الصفة عن المصدر الذي يلزم إضمار ناصبه. وقد ذهب بعض المتأخرين إلى أَنَّ هذا موقوف على السماع ، وزعم بعضهم أَنَّ هذا مقيس عند سيبويه وحمل نصب الصفة في نحو هذا ، على الحالية المؤكدة لعاملها الملتزم إضماره (٢).

والظاهر أن سيبويه يقيس ذلك ويجعله بمنزلة المصدر المنصوب بفعل مقدر من سياق الحال المشاهدة. والحال يُوكَّدُ بها كما يُوكَّدُ بالمصدر (٣).

٤- مطرنا بنوء كذا

أخرج البخاري بإسناده عن زيد بن خالد الجهني أَنَّهُ قَالَ: (صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيثِ عَلَى أَثَرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ. فَلَمَّا انصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ. فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي ، وَكَافِرٌ بِالْكَوَاكِبِ. وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنُوءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوَاكِبِ (٤).

(١) صحيح البخاري ، كتاب الفتن ، باب التَّعُوذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ فِي الْكُفُوفِ.

(٢) انظر في ذلك همع الفواعل شرح جمع الجوامع لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ج ١ عني بتصحيحه محمد

بدر الدين الغساني ط/دار المعرفة بيروت ص ١٩٣- ١٩٤ .

(٣) انظر كتاب سيبويه ١ : ٢٤١ وشرح السيرافي بهامشه.

(٤) صحيح البخاري ، كتاب المغازي باب غزوة الحديبية.

وقد ورد الاحتجاج بعبارة من هذا الحديث في كتاب سيويه. وذلك أَنَّ الخليل ذهب إلى أَنَّ قوله تعالى: ﴿كُلُّ فِيهِ فَلَكَ يُسَبِّحُونَ﴾^(١). ونحوه من الآيات ، بمنزلة ما يعقل ويسمع (لأنَّها جُعِلت في طاعتها ، وفي أَنَّهُ لا ينبغي لأحد أن يقول: مُطِرنا بنوء كذا ، ولا ينبغي لأحد أن يعبد شيئاً منها بمنزلة مَنْ يعقل مِنَ المخلوقين وييصر الأمور)^(٢).

فهذا احتجاج بالحديث لَأَنَّ قولهم: مُطِرنا بنوء كذا جار على اعتقادهم من أَنَّ الأنواء هي التي تمطرهم ، ولهذا كانوا يعاملونها معاملة العاقل. فجاء النهي عن ذلك. وفي النصِّ أيضاً دليل على احتجاج شيوخ سيويه بالحديث في مباحث اللغة.

(١) الأنبياء: ٣٣.

(٢) كتاب سيويه ٢: ٤٧.

المبحث الثاني: الأمثال والحكم في كتاب سيويه والاحتجاج بها في النحو:
في كتاب سيويه طائفة من الأمثال والحكم احتجّ بها في النحو واللغة. وبعض
هذه الأمثال والحكم قديم ، وبعضها مستحدث في الإسلام.

وأصل المثل : كما يقول أبو هلال العسكري: (التمائل بين الشيئين في الكلام ، كقولهم: كما تدين تدان. وهو من قولك: هذا مثلُ الشيء ومثله ، كما تقول شِبْهُهُ وشَبَّهُهُ ، ثم جُعِلَ كُلُّ حِكْمَةٍ سَائِرَةٍ مَثَلًا. وقد يأتي القائل بما يحسن أن يتمثل به إلا أنه لا يتفق أن يسير فلا يكون مثلاً^(١)).

هذا يعني أنّ المثل والحكمة قد يلتقيان إذا أصبح كلٌّ منهما قولاً سائراً على ألسنة الناس. فالأمثال أقوال مختصرة بليغة تصدر عن سبب معين ، أو حادثة معلومة ، ثم يستعملها الناس بعد ذلك في المواقف المشابهة للمورد. ولهذا قالوا: لأبْدُ أن يجتمع في المثل ثلاث خصال: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه^(٢).

أما الحكمة فهي أيضاً قول مختصر بليغ ، يصدر عن تجربة ، وخبرة واسعة بأحوال الناس وطبائعهم. فالحكيم أشبه بالواعظ أو المرشد الذي يقدم للناس خلاصة تجربته في الحياة حتى يكونوا على بينة من أمرهم.

وللأمثال ميزة ، وهي أنها أقوال ثابتة لا يتغيّر لفظها ، وإنما تحكى على هيئتها الأولى التي سُمِعَتْ عليها. وسنرى أنّ لهذه الميزة أثراً واضحاً في الاحتجاج بها في النحو.

ولا أزعم أنني أحصي هنا كلَّ الحكم والأمثال التي أوردها سيويه في كتابه ، ولكنني جمعت من ذلك أمثلة مختارة رتبتها على حروف الهجاء ، مبيّناً مصادرها في كتب الأمثال وغيرها. وذلك على النحو الآتي:

(١) جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش ط/٤ ١٣٨٤ هـ/١٩٦٤ - القاهرة ، ص ٧.

(٢) الزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ١ : ٤٨٦ .

١- ادفع الشرَّ ولو إصبعاً

أورد سيويه هذه العبارة على أنها من أقوال العرب^(١). وهذا لا يتعارض مع اعتبارها حكمة من حكمهم. وقريب من رواية سيويه ما ورد في أمثال الميداني: ادفع الشرَّ عنك بعود أو عمود^(٢).

واحتج سيويه بهذا على حذف الفعل جوازاً ، والتقدير: ولو كان إصبعاً. وحذف كان واسمها بعد إن ولو الشرطيتين كثير.

٢- استنوق الجمل

جاء هذا المثل في كلام سيويه عن معني الزيادة في صيغة استفعل. ومن ذلك التحول كما في هذا المثل^(٣)

واستنوق الجمل أي صار ناقة يضرب في الخلط بين الأمور وعدم التمييز بينها. ونُسب المثل إلى طرفة ابن العبد في قول المتلمس:

وَقَدْ أَتَنَسَى الْهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بِنَاجٍ عَلَيْهِ الصَّيْعَرِيَّةُ مَكْدَمٌ

والصيعرية سمه في النوق و لا تكون في الذكور ، ولهذا قال طرفة: استنوق

الجمل ، فذهبت مقالته مثلاً^(٤).

٣- أسمنت وأكرمت فاربط

أورده سيويه في زيادة الهمزة لمعنى الاستحقاق ، والمعنى صرت صاحب هذا فاكتف به^(٥).

(١) انظر كتاب سيويه ١: ٢٧٠ .

(٢) انظر مجمع الأمثال للميداني ، ١: ٤٧٠ .

(٣) انظر كتاب سيويه ٤: ٧١ .

(٤) انظر جمهرة الأمثال للعسكري ١: ٥٤ وفصل المقال شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد البكري الأوني ، تحقيق

الدكتورين: عبد المجيد عابدين وإحسان عباس ص ١٦٢ .

(٥) انظر كتاب سيويه ٤: ٦٠ .

وقد وَرَدَ المثل في الجمهرة: استكرمت فاربط^(١). وفي أمثال الميداني: أكرمت
فاربط^(٢).

٤- أصبح ليل

هذا مثل يُضرب لمن يظهر الكراهة للشيء. وقد ذكر الميداني قصته وملخصها: أنَّ
امراً القيس الشاعر تزوج امرأة من طيء فأبغضته في ليلتها تلك لخصال لم تحبها فيه ،
فطلعت إلى الصبح ، فكانت تقول: أصبح ليل. فذهب مثلاً للأمر المكروه يتمنى
الإنسان الخلاص منه^(٣).

وأورده سيويه في حذف حرف النداء من اسم الجنس وهذا قليل^(٤). وذهب
بعض النحويين إلى قياس حذف حرف النداء مع اسم الجنس لكثرتة ، وقصر حذف
حرف النداء مع اسم الإشارة لقلته^(٥).

٥- أطرق كرا

وهذا مثل يُضرب لمن تكبر وقد تواضع مَنْ هو أشرف منه. وأصل هذا
المثل رجز مشطور:

أطرق كرا إنَّ النعامَ في القرى

ولكن غلب في الاستعمال بالتفعيلة الأولى منهوكاً. والأخفش الأوسط يجعل
المشطور والمنهوك من هذا الوزن من قبيل السجع ، والكلمة الواقعة على وزن قطعة
من المشطور لا تكون شعراً عند بعض العروضيين^(٦).

(١) جمهرة الأمثال للعسكري ١: ٧٣.

(٢) مجمع الأمثال للميداني ٣: ٢٠.

(٣) انظر مجمع الأمثال للميداني ٢: ٢٣٢.

(٤) انظر كتاب سيويه ٢: ٢٣١.

(٥) انظر التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى ٢: ١٦٥.

(٦) انظر العيون الغامزة على حبايا الرامزة لمحمد بن بكر الدماميني ط/المكتبة الأزهرية ١٤١٢هـ/١٩٩٢ مصر

وقيل: كرا مرخم ياكروان ، ولكن في أمثال الميداني: (قال الخليل: الكرا الذكر من الكروان ، ويقال له أطرق كرا إنك لن ترى ، يصيدونه بهذه الكلمة ، فإذا سمعها يلبد في الأرض...) (١). فعلى قول الخليل لا ترخيم فيه. وقد ورد هذا المثل في كتاب سيبويه والكلام فيه كما مضى في قولهم: أصبح ليل (٢).

٦- أَطْرِيَّ إِنَّكَ نَاعِلَةٌ وَاجْمَعِي

ورد هذا المثل في أثناء تفسير سيبويه لقول العرب: مَنْ أَنْتَ زَيْدًا ، وَمَا أَنْتَ صَبٌّ بِفَعْلٍ مَحذُوفٍ بِتَقْدِيرٍ: مَنْ أَنْتَ تَذَكَّرُ زَيْدًا. والمثل ليس من قبيل النصب بفعل مضمر ، وإنما أورده سيبويه ليقرر أن قولهم: مَنْ أَنْتَ زَيْدًا أصبح كالمثل لا يتغير ، حتى إنهم ليسألون الرجل عن غيره فيحكون هذه العبارة كما تقول للرجل: أَطْرِيَّ إِنَّكَ نَاعِلَةٌ وَاجْمَعِي أَي أَنْتَ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا هَذَا (٣).

وقد ورد المثل في بعض كتب الأمثال بدون قوله (واجمعي) وذُكِرَ في مورده أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِرَاعِيَةٍ كَانَتْ تَرَعَى لَهُ فِي السَّهْلِ وَتَدْعُ الْحَزْنَ: أَطْرِيَّ إِنَّكَ نَاعِلَةٌ ، أَي خِذِي طَرْرَ الْوَادِي وَهِيَ نَوَاحِيهِ ، وَإِنَّمَا قَالَ لَهَا ذَلِكَ لِأَنَّهَا كَانَتْ ذَاتَ نَعْلَيْنِ. فَذَهَبَ قَوْلُهُ مَثَلًا لِمَنْ يُكَلِّفُ بِالْأَمْرِ الْعَسِيرَ لِقُدْرَتِهِ عَلَيْهِ (٤).

٧- افْتَدِيَ مَخْنُوقٌ

(١) مجمع الأمثال للميداني ٢: ٢٨٥.

(٢) انظر كتاب سيبويه ٢: ٢٣١.

(٣) انظر السابق نفسه ١: ٢٩٢.

(٤) انظر مجمع الأمثال للميداني ٢: ٢٨٢ وجمهرة الأمثال للعسكري ١: ٥٠ وفصل المقال لأبي عبيد البكري ص ١٤٧ ولسان العرب (طرر).

وهذا مثل (يضرب لكلّ مشفوقٍ عليه مضطّر)^(١). وقيل (يضرب لكلّ مضطر وقع في شدّة وهو يبخل بافتداء نفسه بماله)^(٢).

والشاهد فيه حذف حرف النداء من اسم الجنس ، وهذا عند سيويه قليل^(٣). وقد مضى نحوه في قولهم: أصبح ليل وأطرق كرا.

٨- أفلا قماص بالغير

قماص بكسر القاف وضمها: الوثب. والغير: الحمار الوحشي. ويُروى ما بالغير من قماص^(٤).

والمثل - كما شرحه السيرافي - يُضرب للرجل المعيب الذي لاحرك به^(٥). واحتجّ به سيويه على أنّ (لا) النافية للجنس إذا دخلت عليها همزة الاستفهام لم تُغيّر عملها وسائر ما كان لها من أحكام قبل دخول الهمزة ، باستثناء أن يكون المعنى للتمني كقولهم: ألا ماءً بارداً ، كأنه قال: أتمنّى ماءً بارداً^(٦).

٩- أمرٌ مبكياتك لا أمرٌ مضحكاتك

أورد سيويه هذا المثل في الإضمار الجائز استغناء بالحال المشاهدة عن ذكر عامل النصب. وتقديره: عليك أمرٌ مبكياتك^(٧).

وأصل المثل أنّ فتاةً كانت تزور عمّاتها فتجد عندهنّ ما يُلهيها ، فإذا زارت بحالاتها أغلظنّ في نصحتها وإرشادها. فشكت ذلك إلى أبيها ، فقال لها: أمرٌ مبكياتك

(١) مجمع الأمثال للميداني ٢: ٤٥١. و المعروف: مشفقه عليه

(٢) التصريح على التوضيح للشيخ خالد ٢: ١٦٥

(٣) انظر كتاب سيويه ٢: ٢٣١

(٤) انظر لسان العرب (قمص).

(٥) انظر شرح السيرافي بهامش كتاب سيويه ٢: ٣٠٧.

(٦) انظر كتاب سيويه ٢: ٣٠٦ - ٣٠٧.

(٧) انظر السابق نفسه ١: ٢٥٦.

لا أمرَ مضحكاتك. فذهب قوله مثلاً في الحثِّ على اتباع أمرٍ من يرشدك إلى ما فيه صلاحك وإن كان في ذلك ما يولمك^(١).

١٠- إن لا حظيةً فلا أليّة

ذكر سيويه هذا المثل شاهداً على جواز إضمار الرفع أو الناصب. فالرفع بتقدير: إن لاتكن له حظيةٌ في الناس فإنني غير أليّة ، أي مقصّرة. والنصب على تقدير: إلا أكن عندك حظيةً فلا أكون مقصّرة. وعلى هذا المعنى فهي تعنى بالحظية نفسها. وحذف كان واسمها بعد إن الشرطية كثير^(٢).

وقد ورد هذا المثل في كتب الأمثال ، وأصله في المرأة ينصرف عنها زوجها فتحبُّ إليه لتنال الخطوة عنده^(٣).

والأليّة هنا بمعنى التقصير.

١١- أو فرقاً خيراً من حبّ

هذا مثل للعرب ، وقد احتجَّ به سيويه في الإضمار الجائز. والنصب بتقدير: أو أفرقك فرقاً خيراً من حبّ. والرفع بتقدير: أو أمري فرقاً خيراً من حبّ^(٤).

ونسب هذا المثل إلى الحجاج ، قاله للغضبان بن القبعثري. وكان الغضبان حرّض أهل العراق على خلع الحجاج ، فلما ظفر به الحجاج قال له: أأنت قلت لأهل العراق تعشوا الجدي قبل أن يتغداكم؟ فقال الغضبان: ما نعتت قائلها وما ضرت من قلت فيه. فقال الحجاج: أو فرقاً خيراً من حبّ. فأرسلها مثلاً. يعني لأنّ تهابني خيراً لي من أن تحبني^(٥).

(١) انظر فصل المقال لأبي عبيد البكري ص ٢٥٥ - ٢٥٦. وجمهرة الأمثال للعسكري ١: ٨٢.

(٢) انظر كتاب سيويه ١: ٢٦٠ - ٢٦١.

(٣) انظر جمهرة الأمثال للعسكري ١: ٦٧ وفصل المقال للبكري ص ١٩٧ ولسان العرب (أب) (حظا).

(٤) انظر كتاب سيويه ١: ٢٦٨ - ٢٦٩.

(٥) انظر مجمع الأمثال للميداني ٢: ٤٤٩ وللمثل روايات أخرى تنظر في فصل المقال ٤٩ - ٥١.

١٢- أيادي سبأ

في أمثال الميداني: (ذهبوا أيدي سبأ ، وتفرقوا أيدي سبأ ، أي تفرقاً لا اجتماع معه)^(١).

والشاهد في المثل بناء أيادي سبأ ، لأنها حال مركبة من شيئين بمنزلة خمسة عشر. والظاهر من كلام سيويه أن الإضافة في أيادي سبأ قليلة بخلاف نحو: كفة كفة ، فقد حكى يونس: لقيته كفة كفة .

والإضافة في هذه الأحوال المركبة موقوفة على السماع ، وإن كانت سائغة في القياس^(٢).

١٣- بألم ما تُخْتَنِنُه - بعين ما أَرَيْنَكَ

ورد المثلان في باب النون الثقيلة والخفيفة ، وقد احتج سيويه بهما على جواز تأكيد الأفعال المضارعة الواقعة بعد ما الزائدة^(٣).

وقوله بألم ما تُخْتَنِنُه ، فَسَّرَه في التصريح بأنه: (يُقال لمن يفعل فعلاً يتألم به ولا بُدَّ له منه ، وهو خطاب لامرأة في الأصل)^(٤). والمثل - عموماً - يُضرب لمن يطلب أمراً لا يناله إلا بمشقة^(٥).

وقوله: بعين ما أَرَيْنَكَ معناه - كما فَسَّرَه أبو هلال العسكري: أعجل ، وقال: (هو من الكلام الذي عُرف معناه سماعاً من غير أن يدلَّ عليه لفظه)^(٦).

١٤- يَبِعَ المَلْطَى لِعَهْدٍ وَلَا عَقْدٍ

(١) مجمع الأمثال للميداني ٢: ٤ .

(٢) انظر كتاب سيويه ٣: ٣٠٤ .

(٣) انظر كتاب سيويه ٣: ٥١٧ .

(٤) التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى ٢: ٢٠٥ .

(٥) انظر شرح كافية ابن الحاجب للرضي ٢: ٤٠٣ .

(٦) جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ١: ٢٣٦ . وانظر حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ٢: ٩٣ .

ذَكَرَ سيبويه هذا المثل في الإضمار الجائز. فقد انتصب بيع المَلطَى بفعل مضمر يجوز إظهاره ، وإنما أُضْمِرَ لعلم المخاطب استغناء بالحال المشاهدة. وتقدير ذلك أن يكون المشتري في حال مساومة مع البائع ، فيقول: يِيعَ المَلَطَى ، أي أبايَعُكَ يِيعَ المَلَطَى^(١).

وَالْمَلَطَى البيع لا تَوَقَّفُ فيه أو رجوع عنه. وَرُوِيَ المثل: المَلَسَى لا عهدة له. يضرب في كراهة المعايب ، أي أَنَّهُ خَرَجَ مِنَ الأَمْرِ سَالِمًا لا عَلَيْهِ ولا لَه^(٢).

١٥- تَسْمَعُ بِالْمُعِيدِي لا أَنْ تَرَاهُ

ورد هذا المثل عرضاً أثناء كلام سيبويه عن اسم الهيئة ودلالته المعنوية. فقد بين أن هذه الصيغة قد تجيء لغير هذا المعنى نحو شِدَّةٌ وشِعْرَةٌ وليت شِعْرِي بمعنى ليتني أشعر أو أعلم ، وإنما اختصروا تخفيفاً لكثرة استعمال هذه العبارة في كلامهم. ومثل ذلك: تَسْمَعُ بِالْمُعِيدِي لا أَنْ تَرَاهُ ، صَغَّرُوا بالتخفيف لكثرة استعمال هذا المثل. والأصل في تصغيره مُعِيدِيٌّ ، بتشديد الدال^(٣).

وَيُنَسَبُ هذا المثل إلى النعمان بن المنذر. وَرُوِيَ في قصته أَنَّ شُقَّةَ بنِ ضُمرة التميميَّ كان يغير على أموال النعمان فأغراه بمائة من الإبل كي يدخل في طاعته. فلما مَثَلَ بين يديه ازدراه لقبحه ، وقال: تَسْمَعُ بِالْمُعِيدِي خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ. فذهب قوله مثلاً^(٤).

ويظهر من سياق هذه القصة أَنَّ المثل يُضْرَبُ للشخص يناقض مظهره مخبره.

(١) انظر كتاب سيبويه ١: ٢٧٢ .

(٢) انظر فصل المقال ٢٥٧ وجمع الأمثال ٣: ٢٧٩ وانظر أساس البلاغة للزمخشري ط/١/ ١٤١٢ هـ /١٩٩٢ م دار صادر بيروت ، مادة مَلَسَ .

(٣) انظر كتاب سيبويه ٤: ٤٤ .

(٤) انظر جمهرة الأمثال ١: ٢٦٦ ويروى أن النعمان قاله للضقب بن عمرو النهدي ، انظر فصل المقال ص ١٢١ .

والمثل شاهد أيضاً عند النحويين على الإسناد إلى تسمع باعتباره مع أن المضمرة اسماً ، والأصل: أن تسمع ، أي سماعك. وذُكر أَنَّ الكسائي كان يروي هذا المثل بأن ، وحذف أن والرفع أشهر فيه^(١).

١٦- ذهبَ أمسٍ بما فيه

ذهب الخليل إلى أَنَّ لقيته أمسٍ أصله لقيته بالأمس ، ولكنهم حذفوا الجار والألف واللام تخفيفاً. وعلى قوله فالكسرة إعراب لابناء.

ولم يوافق سيويه شيخه في هذا المذهب ، واحتجَّ بأنك تقول ذهب أمسٍ بما فيه ، بكسر السين. فلو كان على قول الخليل لكان قياسه: ذهب أمسٌ ، بضم السين^(٢).
والعبارة مثل مضربه: أَنَّ ما ذهب لا يعود^(٣).

١٧- سواءٌ والعدمُ

ذهب سيويه إلى قبح العطف على الضمير المرفوع من غير فصل ، ولهذا استقبح: سواءٌ والعدم حتى تقول سواء هو والعدم^(٤)، وورد هذا القول في كتاب الأمثال بالفصل قالوا: سواء هو والعدم ، ويقال: العدمُ ، بضم العين. وَيُرَوَى سواء هو والعدم ، أي كَانَ مَنْ ينزل به ينزل بقفر. ومضربه على هذا المعنى للبخيل^(٥).
ويحتمل أن يكون مضربه لشدة الفقر ، كَانَ مَنْ يُوصف بذلك لا فرق بينه وبين العدم ، مبالغة في وصف فقره.

١٨- شرُّ أهرَّ ذاناب

(١) انظر فصل المقال ص ١٢١ والتصريح على التوضيح ٢ : ٢٤٥ .

(٢) انظر كتاب سيويه ٢ : ١٦٢ - ١٦٤ .

(٣) انظر مجمع الأمثال للميداني ٢ : ٣ .

(٤) انظر كتاب سيويه ٢ : ٣١ .

(٥) انظر مجمع الأمثال ٢ : ١١٥ والتمثيل والمحاضرة لأبي منصور الثعالبي تحقيق عبد الفتاح محمد الحلوة ، ط/

القاهرة ١٣٨١ / ١٩٦١ ص ٤٤١ وجمهرة الأمثال ١ : ٥١٨ .

ذكره سيبويه في الابتداء بالنكرة ، ومسوغ ذلك ما فيه من معنى الحصر كأنه قال: ما أهرَّ ذاناب إلا شرٌّ^(١).

ويمكن أن يُحمَل على تقدير صفة محذوفة ، أي شرٌّ عظيمٌ أهرَّ ذاناب^(٢).
ويقال أهرَّه إذا حمَّله على الهريس ، وذو الناب السَّبُع. ويضرب المثل في ظهور أمارات الشرِّ ومخاييله^(٣).

١٩- طامرُ بن طامر

يذهب سيبويه إلى أن التنوين يُحذف من كلِّ اسمٍ غالبٍ وصِفٍ بابنٍ وأُضيف إلى اسمٍ غالبٍ نحو: هذا زيدٌ بنُ عمرو. وعِلَّة الحذف كثرة الاستعمال ، والتقاء الساكنين. والكنية بمنزلة الاسم.

واعتبر سيبويه قولهم: طامرُ بن طامر معرفة كقولك زيدٌ بن زيد ، لأنَّه بمنزلة علم الجنس كأمرٍ للضَّبُع وأبي الحارث للأسد^(٤)

وطامرُ ابن طامر من أمثال العرب ، من قولهم طَمَر إلى بلد كذا إذا ذهب إليها كأنهم يعنون به: بعيد بن بعيد. ويضرب هذا المثل لمن يثبُّ على الناس وليس له أصل ولا قديم^(٥).

ومثل ذلك قولهم: خياب بن هياب ، للنخسران. وهيان بن ييان ، للمجهول شخصاً ونسباً^(٦).

٢٠- الطَّبَاءُ على البقر

(١) انظر كتاب سيبويه ١: ٣٢٩.

(٢) انظر حاشية الصبان على شرح الأعموني ج١ ط/دار إحياء الكتب العربية - الحلبي ، القاهرة ص ٢٠٥.

(٣) انظر مجمع الأمثال ٢: ١٧٢.

(٤) انظر كتاب سيبويه ٣: ٥٠٧.

(٥) انظر مجمع الأمثال ٢: ٢٨٦.

(٦) انظر همع الموامع للسيوطي ١: ٧٣.

وهذا عند سيبويه من الإضمار الجائر. فكأنه قال: خلّ الطباء على البقر^(١).

وقد مضى نحو هذا المثل في قولهم: أمرَ مبكياتك لا أمرمضحكاتك. وذكر الميداني أن هذا المثل يضرب عند انقطاع الصلة بين شخصين . وكان الرجل في الجاهلية إذا قال ذلك لامرأته بانته منه. وفسّر البقر بأنها كناية عن النساء^(٢).

وروي المثل: الكلاب على البقر^(٣). وربما يكون هذا أوضح كأن معناه قلة المبالاة بالأمر ، أي خلّ بين الكلاب وبقر الوحش تفعل بها ما تريد. أو يكون معناه: أرح نفسك ودع الكلاب على البقر.

وروي هذا المثل بالرفع: الكلاب على البقر ، والخبر عند السيوطي واجب التأخير لأنه ورد في المثل على هذه الصورة. والأمثال لا تُغيّر^(٤).

٢١- عسى الغوير أبوساً

احتجّ سيبويه بهذا المثل في ثلاثة مواضع من كتابه ، والشاهد فيه أفراد خبر عسى إجراء لها مجرى كان سماعاً في هذا المثل^(٥).

والغوير- بهيئة التصغير- علم على ماء بين العراق والشام. والأبوس جمع بأس أو بوس وهو الشدة. وأصل المثل - كما جاء في كتب الأمثال - أنّ الزبّاء لما رجعت قصير من العراق ومعه الرجال بات بالغوير على طريقه ، فارتابت في أمره ، وقالت لقومها:

(١) انظر كتاب سيبويه ١: ٢٥٦ .

(٢) انظر مجمع الأمثال للميداني ٢: ٣١٠ .

(٣) انظر فصل المقال لأبي عبيد البكري ص ٣١٦ .

(٤) انظر همع المرامع للسيوطي ١: ١٠٢ .

(٥) انظر كتاب سيبويه ١: ٥١ ، ١٥٩ ، ٣: ١٥٨ .

عسى الغوير أبوساً ، أي لعل الشرر يأتيكم من قِبَل الغار. فذهب قولها مثلاً للقريب منك لا يؤمن جانبه^(١).

وَيُرَوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه) - تمثل بهذا القول معرضاً برجل جاءه يحمل لقيطاً كأنه يقول: لعلك صاحبه^(٢)

ويظهر من كلام سيبويه. أَنَّ للأمثال وضعاً خاصاً ، لأنها عبارات تُحكى على هيئتها التي وردت بها من غير تعديل. ولهذا كان لعسى في قولهم عسى الغوير أبوساً حال لا تكون في سائر الأشياء^(٣).

وربما تكون هذه الحال إشارة من سيبويه إلى لهجة حجازية قديمة لم يَبْقَ من آثارها إلا بعض الظواهر القليلة .

وذهب المبرد في تعليل هذا المثل إلى أَنَّ الأصل فيه: عسى أن يكون الغوير أبوساً^(٤).

وتعليل سيبويه - في تقديري - لا تكلف فيه ، لأنَّ معنى إجراء عسى مجرى كان أَنَّ بعض العرب أثير عنهم أفراد خبر عسى ، ولهذا شواهد من الشعر قليلة ذكرها بعض المتأخرين من النحويين^(٥).

٢٢- عليها مثلها زُبدًا

ورد هذا المثل في باب ما يُنصب نصب كم إذا كانت منونة في الخبر والاستفهام (وذلك ما كان من المقادير ، وذلك قولك: ما في السماء

(١) انظر تفصيل قصة المثل في جمع الأمثال ٢ : ٣٤١ .

(٢) انظر المرجع نفسه ٢ : ٣٤١ .

(٣) انظر كتاب سيبويه ١ : ١٥٩ .

(٤) انظر المقتضب للمبرد ٣ : ٧٠ .

(٥) انظر هذه الشواهد في شرح ابن عقيل على الألفية ١ : ٣٢٤ - ٣٢٥ وخزانة الأدب للبغدادي ٤ : ٧٧ وغيرهما .

موضعُ كَفٍ سحَاباً ، ولي مثله عبداً ، وما في الناس مثله فارساً ، وعليها مثلها زُبْداً^(١).

المنصوبات في هذه الأمثلة تمييز وهو تمييز المفرد ، ويكون في أربعة أشياء: المقادير ، وشبه المقادير ، والعدد ، وما كان فرعاً للتمييز نحو: خاتمٌ حديداً^(٢). وأجاز سيويه: عليها مثلها زبداً بالرفع على البدل ، أو أنه خبر لمبتدأ محذوف ، أي هو زبداً. ولم يُجزِ الرفع على الصفة لأنه لا يُوصف بالجماد^(٣). ورُوي المثل: على التمرة مثلها زبداً^(٤).

٢٣- غضبَ الخيلِ على اللّحم

المثل في كتاب سيويه من قبيل الإضمار الجائز (كأنه قال: غضبت ، أو رآه غضبان فقال: غضبَ الخيل ، فكأنه بمنزلة قوله: غضبت غضبَ الخيل على اللحم. ومن العرب من يرفع فيقول: غضبُ الخيل على اللحم)^(٥).

والكلام على هذا المثل كما مضى في (بيع الملقى) و(الظباء على البقر) وموجزه إضمار الناصب جوازاً لعلم المخاطب استغناء بالحال المشاهدة. والمثل يضرب (لمن غَضِبَ غضباً لا يُتَفَعُّ به ولا موضع له)^(٦).

٢٤- كجالبِ التمرِ إلى هَجَرَ

(١) كتاب سيويه ٢: ١٧٢.

(٢) انظر حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل ١: ٢٢٣ .

(٣) انظر كتاب سيويه ٢: ١٨١ - ١٨٢ .

(٤) انظر شرح الكافية للرضي ١: ٢١٦ .

(٥) كتاب سيويه ١: ٢٧٣ .

(٦) مجمع الأمثال للميداني ٢: ٤١٢ .

ذكر سيبويه هذا المثل في مبحث المنوع من الصرف ، باب أسماء الأرضين .
والشاهد فيه منع صرف هَجَرَ على إرادة البقعة أو البلدة . وقد يذكر على إرادة
المكان^(١) .

وهذا المثل يُضرب في الجهد يذهب هباءً لأنَّ صاحبه لم يختَر المكان المناسب الذي
يمكن أن يُثمر فيه عمله . وَيُرَوَّى: كمستبضع التمر إلى هَجَرَ ، والمعنى واحد^(٢) .

٢٥- كليهما وتمرأ

ذكر سيبويه هذا المثل في باب ما يُحذف منه الفعل لكثرتِه في كلامهم حتَّى صار
بمنزلة المثل (ومن ذلك قول العرب كليهما وتمرأ ، فهذا مثل قد كَثُرَ في كلامهم
واستعمل ، وتُرِكَ ذكر الفعل لما كان قبل ذلك من الكلام ، كأنه قال: أعطني كليهما
وتمرأ)^(٣) .

أوروي في قصة هذا المثل أنَّ بعض الخلفاء عرض على رجل خلتين ، فقال:
كلاهما وتمرأ ، فغضب عليه ولم يوله شيئاً . وقيل إنَّ أولَّ مَنْ قال هذا عمرو بن
حمران الجعدي ، وكان له إبل يرعاها ، فمرَّ به رجل قد جهده الجوع وبين يدي
عمرو زيد وقرص وتمر ، فسأل الرجل عمراً أن يطعمه . فقال له عمرو: كلاهما
وتمرأ^(٤) .

وأياً كان الأمر فقد يكون مضرب المثل واضحاً وربما يغمض مورده ، فيكثرُ
الرواة المذاهب فيه . وهذا لا يقلل من شأن المثل بل يزيده إيضاحاً وبياناً .

٢٦- مازِ رأسك والسيفَ

(١) انظر كتاب سيبويه ٣: ٢٤٣ - ٢٤٤ .

(٢) انظر التمثيل والمحاضرة للثعالبي ص ٢٦٨ ، وفصل المقال ص ٣٢٧ ورواه الزجاجي كما في كتاب سيبويه ،
انظر الجمل في النحو للزجاجي ، تحقيق د. علي توفيق الحمد ط ١ / ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م بيروت ص ٢٢٦ .

(٣) كتاب سيبويه ١: ٢٨٠ - ٢٨١ وذكر رواية الرفع أيضاً .

(٤) انظر فصل المقال ص ٩٩ ، وجمع الأمثال ٣: ٣٨ .

ورد المثل في مبحث ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك اظهاره استغناء عنه (باب ما جرى منه على الأمر والتحذير) (ومن ذلك قولهم: مازِ رأسك والسيفَ ، كما تقول رأسك والحائط وهو يحذره كأنه قال: اتقِ رأسك والحائط^(١)). فالتكرار أو العطف ومراعاة الحال المشاهدة تعني عن ذكر الفعل. ويروى في أصل المثل: أن رجلاً يقال له مازن أسر رجلاً ، وكان هناك مَنْ يطلب الأسير في زحل. فقال الطالب: مازِ - مرحماً - رأسك والسيفَ. فخلى بينه وبين الأسير فقتله^(٢).

٢٧- ما كلُّ سوداءَ تمرَّةً ولا بيضاءَ شحمةً

أجاز سيبويه في هذا المثل نصب شحمة ، وهذا ربما يوهم أنه عطف على معمولي عاملين مختلفين ، أي أن بيضاء معطوف على سوداء والعامل فيها (كل) وشحمة معطوف على تمرّة خبر ما ، ولهذا تأوّل سيبويه المثل على أن بيضاء مجرور بكلٍ أخرى^(٣).

والمثل الذي ذكره سيبويه يتضمن حكمة. ومضربه للشئ يكون مظهره خادعاً فيختلط الأمر على طالبه^(٤).

٢٨- متعرّضاً لعننٍ لم يعنه

والمثل في مبحث الإضمار الجائز. قال سيبويه: (ومن ذلك أن ترى رجلاً قد أوقع أمراً أو تعرّض له فتقول: متعرّضاً لعننٍ لم يعنه. أي دنا من هذا الأمر متعرّضاً لعننٍ لم يعنه ، وترك ذكر الفعل لما يرى من الحال)^(٥).

(١) كتاب سيبويه ١: ٢٧٥.

(٢) انظر مجمع الأمثال للميداني ٣: ٢٧١.

(٣) انظر كتاب سيبويه ١: ٦٥ - ٦٦.

(٤) انظر التمثيل والمحاضرة للنعالي ص ٢٦٨ ، ومجمع الأمثال للميداني ٣: ٢٧٥.

(٥) كتاب سيبويه ١: ٢٧٢.

فالنصب هنا على الحال وحذِفَ العاملُ استغناءً بعلم المخاطب لما وقع أمامه من الأمر.

والعنن الشأن والأمر. ويضرب المثل لمن يدخل في أمر لا يعنيه^(١).

٢٩- لم يُحرّم من فُصد له

ورد هذا المثل في باب: ما يسكن استخفافاً وهو في الأصل متحرك. وقد تكلم سيويه في هذا الباب عن تسكين الحرف الثاني المتحرك أصلاً طلباً للخفة نحو قولهم في فَعَجِدَ فَحَدَّ ، وفي كَبِدَ كَبِد. وهي لغة بكر بن وائل وكثير من بني تميم. ومن ذلك قولهم: لم يُحرّم من فُصد له ، بسكون الصاد والأصل فيه الكسر^(٢).

وأصل المثل كما ورد في مظانّه: أَنَّ الضيفَ يَقدِّمُ على الرجل في شِدَّةِ الزمان فلا يكون عنده قرىً فيضطر أن يفصد راحلته حتى إذا خرج الدم وضعه على النار وعالجه ثم قدّمه إلى ضيفه ، فَضُرِبَ بذلك المثل لمن حَظِيَ ببعض ما كان يطلبه^(٣).

٣٠- مُذْ شُبَّ إلى دُبِّ

ورد هذا المثل في باب تسميتك الحروف بالظروف وغيرها من الأسماء ، وذكر سيويه في هذا الباب جواز حكاية اللفظ ومن ذلك قولهم: مُذْ شُبَّ إلى دُبِّ. ويجوز مذ شُبَّ إلى دُبِّ معرباً^(٤).

وهذا مثل من أمثال العرب. قالوا: أعييتني من شُبِّ إلى دُبِّ ، محكياً ومعرباً. ويضرب لمن يكون في أمر عظيم غير مُرَضٍ ويستمر فيه ، أو يأتي بما هو أعظم منه^(٥).

(١) انظر مجمع الأمثال للميداني ٣: ٣٤٧ ورواه بالرفع: معترض الخ وفي لسان العرب (عنن): مُعْرِضٌ الخ.

(٢) انظر كتاب سيويه ٤: ١١٣ - ١١٤.

(٣) انظر مجمع الأمثال للميداني ٣: ١١٣.

(٤) انظر كتاب سيويه ٣: ٢٦٩.

(٥) انظر مجمع الأمثال ٢: ٣٢٥.

٣٩١- مَنْ كَذَبَ كَانَ شَرًّا لَهُ

ذكر سيويه هذه العبارة في باب: ما يكون فيه هو وأنت وأنا ونحن وأخواتهن فصلاً. والعبارة ليست من هذا الباب وإنما أوردها سيويه في بيان الحذف في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ﴾^(١). فالتقدير عنده: وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ الْبَخْلَ، أضمر البخل استغناءً بعلم المخاطب، ونظير هذا في الحذف: مَنْ كَذَبَ كَانَ شَرًّا لَهُ، أي كان الكذب شراً له.

ومقصد سيويه من ذلك أن ضمير الفصل بمنزلة ما كان لغواً (زائداً للتأكيد) لا يغير إعراب ما بعده عن حاله قبل أن يُفصل بهذا الضمير^(٢).

والظاهر من سياق هذه العبارة أنها حكمة من حكم العرب في ذم الكذب وبيان سوء عاقبته، فجرت بجرى المثل.

فهذه طائفة من الأمثال والحكم اخترتها من كتاب سيويه ويمكن من خلالها ملاحظة ما يأتي:

أ. أثرى سيويه الدرس النحوي واللغوي بلون من الأدب العربي وهو الأمثال والحكم.

ب. التزم سيويه بحكاية المثل بهيئته التي ورد بها، وبين بعض رواياته وعلل لوجوه الإعراب فيها. مما يجعل الكتاب - من هذه الناحية - مصدراً هاماً لهذا اللون من الأدب.

ج. أغلب الأمثال ورد في أبواب الإضمار الجائز والواجب، وهي أبواب أساسها الاختصار.

(١) آل عمران: ١٨٠.

(٢) انظر كتاب سيويه ٢: ٣٩١.

د. لم يخرج سيبويه في الاحتجاج بالأمثال والحكم عن منهجه العام وهو التركيز على المادة المروية نفسها دون اعتبار لتخصيص قائلها.
هـ. الأمثال على صيغة (أَفْعَلْ مِنْ) لم ترد في كتاب سيبويه. ربما تكون هذه الصيغة غير شائعة في الأمثال القديمة^(١).

(١) انظر الأمثال في الشعر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى ، د. عبد المجيد عابدين ط/دار مصر للطباعة ١٩٥٦ ص ٨٩.

المبحث الثالث: الأقوال العامة المروية عن العرب في كتاب سيبويه: أنماطها والاحتجاج بها.

في كتاب سيبويه عدد وافر من الأقوال المروية عن العرب. وهذه الرواية لا تخلص كلها لسيبويه ، لأنه حكى كثيراً من هذه الأقوال عن طريق شيوخه أو غيرهم. وقد بينت في الفصل الأول من هذا الباب طرق الرواية عن العلماء في كتاب سيبويه بما يعني عن الإعادة هنا.

ويلاحظ أن سيبويه لم يُعَنَ بنسبة هذه الأقوال إلى أصحابها ، وهذا على مذهبه في الاختصار والعناية بالنص نفسه ، والاكتفاء بنسبة الأقوال إلى العرب. ويلاحظ كذلك أن معظم الأقوال رُوِيَتْ بنصّها عن العرب. غير أن هناك طائفة منها رُوِيَتْ بالمعنى. ومن أمثلة ذلك في كتاب سيبويه:

١- (وقال قوم من العرب تُرضى عربيتهم: هذا الضاربُ الرجلِ. شَبَّهوه بالحسن الوجه)^(١).

الوجه عند سيبويه: هذا الضاربُ الرجلُ ، لأن الألف واللام مانع من الإضافة ، ولكن أضافه قوم تشبيهاً بالحسنِ الوجهِ وإن كان الضاربُ ليس وصفاً لازماً. وقد يشبّهون الشيء بغيره وإن لم يكن مثله في جميع أحواله^(٢).

٢- (واعلم أن من العرب من يقول: ضربوني قومك ، وضرباني أخواك)^(٣).

فهذه إشارة إلى لغة من يلحقون علامة .. الثنية أو الجمع بالفعل المسند إلى الفاعل الظاهر.

٣- (وروى الخليل رحمه الله أن ناساً يقولون: إن بك زيداً مأخوذة)^(٤).

(١) كتاب سيبويه ١: ١٨٢.

(٢) السابق نفسه ١: ١٨٢.

(٣) السابق نفسه ٢: ٤٠.

(٤) السابق نفسه: ٢: ١٣٤.

يعني على الإضمار في إن.

٤- (واعلم أنهم يقولون: إن زيداً لذهاباً)^(١).

وهذا على اللغة الكثيرة الشائعة في تخفيف إن وإهمالها وزيادة اللام في الخبر للفرق بينها وبين إن النافية.

ومما يدل على أن هذا المثال ليس مروياً بلفظه قول سيبويه في موضع آخر من كتابه: (وحدثني من لا أتهم ، عن رجل من أهل المدينة موثوق به أنه سمع عربياً يتكلم بمثل قولك: إن زيداً لذهاباً)^(٢).

٥- (وحدثنا من نثق به ، أنه سمع من العرب من يقول: إن عمراً لمنطلقاً)^(٣).

أي أنه سمعهم يخففون إن ويعملونها ، وهذا قليل. وليس بالضرورة أن يكونوا قالوا العبارة نفسها.

٦- (وزعم لي بعض العرب أن يا هذا زيداً كثير في كلام طيء)^(٤).

أي أن الكثير في كلام طيء عطف الاسم في نحو هذا عطف بيان ، والنصب على الموضوع جائز . فالمراد هنا رواية اللغة لا المثال بعينه.

٧- (وبعض العرب يقول: ما أتاني القومُ خلا عبدِ الله)^(٥).

وهذا مثال للحجر بخلا ، وهو لغة لبعض العرب ، ولا يتعين أنهم قالوا المثال نفسه.

٨- (بلغنا أن رؤبة كان يقول: أظنُّ زيداُ هو خيرٌ منك)^(٦).

والمعنى أنه كان يجعل الضمير مبتدأ ولا يفصل به.

(١) كتاب سيبويه ٢: ١٣٩.

(٢) السابق نفسه ٣: ١٥٢.

(٣) السابق نفسه ٢: ١٤٠.

(٤) السابق نفسه ٢: ١٩٢.

(٥) السابق نفسه ٢: ٣٤٩.

(٦) السابق نفسه ٢: ٣٩٢.

والراجح أن يكون المبلِّغ يونس بن حبيب لاختصاصه برؤبه^(١). وربما يكون يونس لاحظ هذا في بعض رجز رؤبة ولكنه لم يستظهر الشاهد. أو يكون رؤبة حكى نحو هذا من كلام العرب.

٩- (وسألت الخليل - رحمه الله - عن قولهم: اضربْ أَيْهَمُ أفضل؟ فقال: القياس النصب ، كما تقول: اضرب الذي هو أفضل)^(٢).

السؤال عن أيّ إذا أضيفت وحذف صدر صلتها. والوجه عند سيويه البناء خلافاً لشيخه^(٣).

١٠- (واعلم أنّ من العرب مَنْ يقول: عسى يفعلُ يشبهها بكاد يفعل)^(٤).

والمقصد هنا تجريد خبر عسى من أن ، وهذا قليل بالنسبة إلى اقترانه بها. فهذه الأمثلة ونحوها محكيّة بالمعنى عن العرب. وهي تقريب وتمثيل لبعض لغاتهم ومذاهبهم في الكلام. وهي مع ذلك مطابقة لما كانوا يتكلمون به.

وهناك أقوال محكيّة بنصها عن العرب ولكن كنى الراوي عن بعض أجزائها التي لا تؤثر في الاحتجاج بها. ومن أمثلة ذلك في كتاب سيويه:

١- (أكلتُ أرض كذا وكذا ، وأكلت بلدة كذا وكذا)^(٥). وهذا من المجاز والاتساع في الكلام.

٢- وحدّثنا مَنْ يُوثق به أنّ بعض العرب قيل له: أمّا بكذا وكذا وجدّ؟ وهو موضع يمسك الماء. فقال: بلى وجاذاً^(٦).

(١) انظر مراتب النحويين واللغويين لأبي الطيب اللغوي ص ٢٢ .

(٢) كتاب سيويه ٢ : ٣٩٨ .

(٣) انظر السابق نفسه ٢ : ٤٠٠ .

(٤) السابق نفسه ٣ : ١٨٥ .

(٥) السابق نفسه ١ : ٢١٤ .

(٦) السابق نفسه ١ : ٢٥٥ - ٢٥٦ .

فهذا بني إعراب الإجابة على صيغة السؤال ، فكأنه قيل له: أما تعرف بها
وجذا؟ فقال: بلى ، أعرف بها وجذاً.

٣- ومن ذلك في كتاب سيويه (انته يا فلان أمراً قاصداً)^(١). إنما يريدُ انتَه
وأنتِ أمراً قاصداً. وقد صنّف سيويه هذا القول من قبيل الإضمار الجائز ولعله سمع
إظهار الفعل فيه^(٢).

٤- (أخذ بنو فلان من بني فلان إبلاً مائة)^(٣).

وهذا مما سُمِعَ فيه الوصف بالعدد ، كأنه قال: إبلاً كثيرةً ونحو ذلك.

ومن الأمثلة المروية أقوال أرجح أنها مقتطعة من كلام أو نصوص لبعض العرب
، لم يوردها الراوي كاملة وإنما اقتصر على عبارة منها. ومن ذلك في كتاب سيويه:
١- الله أكبر دعوة الحقّ

ذكر سيويه هذه العبارة في باب ما يكون المصدر فيه توكيداً لنفسه نصياً ،
وذلك أنه لما قال الله أكبر عُلِمَ أنه دعاء الحق ، وما بعده توكيد له ، فكأنه قال:
دعاء حقاً^(٤).

٢- اللهم أشركنا في دعوى المسلمين

نسب سيويه هذا القول إلى بعض العرب. والشاهد فيه بيان ما جاء من المصادر
مختوماً بألف التانيث المقصورة نحو دعوى ورُجعى ويُشرى^(٥).

٣- أما البصرة فلا بصرة لكّ

(١) كتاب سيويه ١: ٢٨٤.

(٢) انظر السابق نفسه ١: ٢٨٤.

(٣) السابق نفسه ٢: ٢٨.

(٤) انظر السابق نفسه ١: ٢٨١ - ٢٨٢.

(٥) انظر السابق نفسه ٤: ٤٠.

الوجه عند سيويه في نحو هذا الرفع ، لأنَّ البصرة ليست مصدرًا يُنصبُ يفعل مقدر من اللفظ ، وإنما هو اسم معروف ومعلوم . ورفعه بالابتداء^(١) .
 وأورد سيويه بعض هذه العبارة في عمل لا النافية للجنس في ما ظاهره أنه معرفة نحو: لا بصره لكم . فهذا ونحوه في تأويل النكرة^(٢) .
 ٤- المرءُ مقتولٌ بما قتل به إن خنجرًا فخنجرٌ وإن سيفاً فسيفٌ .

وردت هذه العبارة في باب ما يضم في الفعل المستعمل إظهاره بعد حرف . والشاهد فيها حذف كان واسمها بعد إن الشرطية ، وهذا كثير في كلام العرب^(٣) . وقد سبق هذه العبارة قوله: الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌ ، وقد ذكرتها في قائمة الأحاديث التي احتجَّ بها سيويه^(٤) .
 أما قوله: المرءُ مقتولٌ بما قتل به فلم أعثر عليه في فهارس الحديث التي اطّعتُ عليها .

٥- أما ابنُ مُزَيَّةَ فإنا ابنُ مُزَيَّةَ

قال سيويه: (وسمنا من العرب من يقول: أما ابنُ مُزَيَّةَ فإنا ابنُ مُزَيَّةَ ، كأنه قال: أما ابنُ مُزَيَّةَ فإنا ذلك)^(٥) .

وإنما اختار الرفع على الابتداء ، لأنَّ ابنُ مُزَيَّةَ اسم وليس بمصدر فيقدر له فعل من لفظه ينتصب به . وأجاز سيويه نصبه على الحال قياساً على قولك: أما صاحباً فإنا صاحبٌ^(٦) .

٦- أما أن أسير إلى الشام فما أكرهه ، وأما أن أقيم فإن فيه أجراً .

(١) انظر كتاب سيويه ١ : ٣٨٩ .

(٢) انظر السابق نفسه ٢ : ٢٩٦ .

(٣) انظر السابق نفسه ١ : ٢٥٨ .

(٤) انظر ص ١٠٤ من هذا البحث .

(٥) كتاب سيويه ٦ : ٣٨٨ .

(٦) انظر السابق نفسه ١ : ٣٨٨ .

أورد سيويه هذا القول في الكلام على أن المصدرية وتقديره: أما السرورة فما أكرهها ، وأما الإقامة فلي فيها أجر^(١).

٧- إنكم لتنتظرون في نُحُو كثيرة

الشاهد فيه جمع نحو على نُحُو ، والوجه أن يجمع على نُحِي. كقولك: تُدِي وعُصِيّ والعبارة أوردتها سيويه على أنها قول لبعض العرب^(٢).

٨- إنه لمنحارٌ بوائكها

والشاهد في هذه العبارة إعمال صيغة مفعال^(٣). والبوائك كرائم الأبل الممتلعة.

٩- ما شأن قيسٍ والبيرِ تسرقه

الوجه هنا الجرّ عطفاً على الاسم الظاهر بعد الشأن ، بخلاف نحو: ما شأنك وزيداً فالوجه فيه النصب بفعل مضمر على معنى: ما شأنك وتناولك زيداً. والجرُّ قبيح لأنه لا يعطف على المضمر المحرور من غير إعادة الجار. والرفع أيضاً قبيح لأنَّ الشأن لا يلتبس بزید إذا قلت: ما شأنك وزيد^(٤).

وَضُبِطَ في النسخة التي حَقَّقَهَا هارون: والبرُّ بالفتح ولعله خطأ مطبعي ، لأنَّ سيويه قال بعد هذه العبارة: (لما أظهروا الاسم حسن عندهم أن يحملوا عليه الكلام الآخر)^(٥). وهذا يؤيد أن الكلمة مجرورة عطفاً على قيس كما في طبعة بولاق^(٦).

١٠- نهاره صائمٌ وليله قائمٌ

أسند الصوم إلى النهار ، والقيام إلى الليل مجازاً واتساعاً^(٧).

(١) انظر كتاب سيويه ٣: ١٥٥.

(٢) انظر كتاب سيويه ٤: ٣٨٤ ، وأساس البلاغة: نحو.

(٣) انظر كتاب سيويه ١: ١١٢.

(٤) انظر السابق نفسه ١: ٣٠٧-٣٠٩.

(٥) السابق نفسه ١: ٣٠٩.

(٦) انظر كتاب سيويه (بولاق) ١: ١٥٦.

(٧) انظر كتاب سيويه ١: ١٦٠.

١١- هو حديثٌ عهدٌ بالوَجع

أجاز سيبويه إضافة الصِّفة المشبهة إلى نكرة على تقدير الألف واللام وحذفهما ،
اختصاراً كما في هذا القول^(١).

١٢- وا مَنْ حَفَرَ بئر زمزماه

أجاز الخليل نذب الموصول المجرد من أداة التعريف إذا اشتهر بالصلة ، لأنه في
هذه الحال بمنزلة العلم^(٢).

ورمما تكون العبارة مقتطعة من نص يندب عائلة عبد المطلب بن هاشم لأنه حفر
بئر زمزم بعد إسماعيل عليه السلام^(٣).

١٣- وا جُمَّمَتِي الشَّامِيَّتِيْناه

أجاز يونس نذب الصفة نحو وا زيد الظريفاه وذكر من ذلك: وا جُمَّمَتِيْ
الشَّامِيَّتِيْناه^(٤).

وتوقف السيرافي في مذهب يونس ، أهو قياسه أو سماعه ؟ وشرح الجمجمة
بمعنى القدح ، وذكر في تفسير العبارة أن رجلاً ضاعت له قدحان فندبهما. ويحتمل
عنده أيضاً أن يكون نذب رجلين من جماجم العرب ، أي ساداتهم وأشرفهم^(٥).
والراجح عندي أن يكون يونس سمع هذا القول من العرب أو نقل إليه ، ثم قاس
عليه وا زيد الظريفاه.

ومن الأقوال المروية عبارات أُثرت عن العرب في مناسبة معينة ، ثم اشتهرت
هذه الأقوال لما فيها من الحكمة والخبرة بالحياة. ومن أمثلة ذلك في كتاب سيبويه:

(١) انظر كتاب سيبويه ١: ١٩٦-١٩٧.

(٢) انظر السابق نفسه ٢: ٢٢٨.

(٣) انظر تهذيب سيرة ابن هشام ، عبد السلام هارون ، مؤسسة الرسالة ، دار البحوث العلمية الكويت ص ٣٥ -
٣٧.

(٤) انظر كتاب سيبويه ٢: ٢٢٦.

(٥) انظر شرح السيرافي بهامش كتاب سيبويه ٢: ٢٢٦.

١- شهرٌ ترى وشهرٌ ترى وشهرٌ مرعى

نسب سيويه هذا القول إلى بعض العرب ، والشاهد فيه حذف الضمير من الخبر في قوله ترى ، والمعنى ترى فيه ، فَحَذَفَ الضمير والمفعول به إذا قدرناه النبات ونحوه.

وحذف العائد في الخبر ضعيف لأن فيه تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه ولهذا خصه سيويه بالضرورة. وأمثلة منه الحذف في الصلة ثم حذف العائد في الوصف^(١). ونقل ابن هشام رواية عن يونس بن حبيب نسب فيها هذه العبارة إلى رؤية^(٢).

٢- بئس الرميَّةُ الأرنبُ

ذكر سيويه أن صيغة فعيل إذا كانت بمعنى مفعول يستوي فيها المذكر والمؤنث ، نحوك قتيل وجريح ، وتكسر على قَتَلَى وَجَرَحَى. ثم بين أن الصيغة التي على فعيل بمعنى مفعول إذا كانت معرضة لأن يقع عليها الفعل لحقتها تاء التانيث ، نحو قولك: هذه ذبيحة فلان ، تقول ذلك وهي حيَّة. ومثل ذلك ضحية ورمية.

أما إذا وقع عليها الفعل حقيقة لم تلحقها التاء غالباً نحو قولهم: امرأة جريح ، وشاة رمي. والرمية في قولهم: بئس الرميَّةُ الأرنبُ بمنزلة الذبيحة^(٣) لأن الفعل لم يقع بها بعد^(٣).

٣- دَعَهُ إلى ميسوره ودَعُ معسوره

(١) انظر كتاب سيويه ١: ٨٥ - ٨٦.

(٢) انظر مغني اللبيب لابن هشام ص ٦١٥ ، وانظر مجمع الأمثال للميداني ٢: ١٧٣.

(٣) انظر كتاب سيويه ٣: ٦٤٧ - ٦٤٨. مع شرح السراقي بهامشه ، والتعليقة على كتاب سيويه لأبي علي الفارسي جزء تحقيق د. عوض بن حمد القوزي ط/١/ ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م مطابع الحسين الرياض ص ١١٧. وانظر لسان العرب (رعى).

قد يأتي المصدر الميمي على وزنه مفعول قليلاً نحو ميسور ومعسور ومجلود ،
بمعنى اليُسْر والعُسْر والجُلْد.

وظاهر كلام سيويه أن الميسور والمعسور في هذه العبارة صفتان للزمان ، بتقدير
الزمان الذي يوسر فيه ، ويعسر فيه ، يحذف الجار ، وقد أغنتنا عن المصدر الميمي^(١).

٤- أَعْدَّةٌ كَعْدَةِ البَعِيرِ وَمَوْتاً فِي بَيْتِ سَلْوِيَّةٍ

تَسَبَّ سَيُويهِ هَذَا القَوْلُ لِبَعْضِ العَرَبِ ، وَأوردَهُ فِي نَصْبِ المَصْدَرِ بِفَعْلٍ مضمَرٍ
جَوَازاً ، وَتَقْدِيرِ الكَلَامِ: أَعْدُّ عُدَّةً كَعْدَةِ البَعِيرِ وَأَمُوتَ مَوْتاً فِي بَيْتِ سَلْوِيَّةٍ^(٢).
فَهَذَا عَلَى أَنَّ القَائِلَ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَخْبِرَ أَنَّ ذَلِكَ حَدِثَ لَهُ وَانْقَضَى ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ
يَبَيِّنَ الحَالِ المُنكَرَةَ الَّتِي هُوَ فِيهَا.

وَقَدْ أوردَ البُخَارِيُّ هَذَا القَوْلَ لِعَامِرِ بنِ الطَّفِيلِ ، وَرَوَى الخَيْرُ بِإِسْنَادِهِ عَنِ أَنَسِ
(رضي الله عنه). وَروايته بالرفع: عُدَّةٌ كَعْدَةِ البَكْرِ فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ آلِ فلان^(٣).

وذكر الميداني قول عامر بن الطفيل بالرفع وأشار أيضاً إلى رواية النصب^(٤).

٥- إِذَا بَلَغَ الرَّجُلُ السِّتِينَ فَيَأْهُوَ وَإِيَّا الشَّوَابِ

هَذَا القَوْلُ رَوَاهُ الخَلِيلُ عَنِ بَعْضِ الأَعْرَابِ ، وَهُوَ مِمَّا وردَ شذوذاً فِي تَحْدِيرِ
الغائب^(٥).

٦- إِنَّ الفُكَاهَةَ لَمَقْوَدَةٌ إِلَى الأَذَى

(١) انظر كتاب سيويه ٤: ٩٧ وشرح شافية ابن الحاجب للرضي ١: ١٧٤ - ١٧٥.

(٢) انظر كتاب سيويه ١: ٣٣٨.

(٣) انظر صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان.

(٤) انظر مجمع الأمثال ٢: ٤١٣ وانظر كذلك: التمثيل والحاضرة للثعالبي ص ٣٣٥.

(٥) انظر كتاب سيويه ١: ٢٧٩ ، ولسان العرب (أيا) وشرح الأشموني ٣: ١٩٢.

وردت هذه العبارة في باب ما اعتلّ من أسماء الأفعال المعتلة على اعتلالها. والشاهد فيه مجيء مقودة على الأصل ، وهذا قليل ، والقياس فيه أن تنقل حركة الواو إلى الساكن الصحيح قبلها ^١ ونقل الواو ألفاً ^(١)

وبعض الأقوال المروية عن العرب تعبر عما يجري في حياتهم اليومية من معاملات أو مجاملات. ومن ذلك:

١. حُباً ونعامَ عين ^(٢).

٢. راشداً مهدياً ^(٣).

٣. ما جاءت حاجتك ^(٤).

٤. خير ما ردّ في أهل ومال ^(٥).

٥. بايعته يدا بيد ^(٦).

٦. أفعال ذلك وكرامة ^(٧).

٧. بعته داري ذراعاً بدرهم ^(٨).

وفي كتاب سيبويه طائفة من الأقوال المروية عن العرب مما ورد في الدعاء فمن ذلك:

^(١) انظر كتاب سيبويه ٤ : ٣٥٠ والتكملة لأبي علي الفارسي ص ٢٥٦. تحقيق د. حسن شاذلي فرهود ط/١

الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م ص ٢٥٦.

^(٢) كتاب سيبويه ١ : ٣١٩.

^(٣) السابق نفسه ١ : ٢٧١.

^(٤) السابق نفسه ١ : ٥٠.

^(٥) السابق نفسه ١ : ٣٢٧. وخير بالنصب أيضاً.

^(٦) السابق نفسه ١ : ٣٩١.

^(٧) السابق نفسه ١ : ٣١٨.

^(٨) السابق نفسه ١ : ٣٩٢.

١- خيبةً ، جدعاً وعقرأ ، بعداً وسحقاً ، جوعاً وجوساً^(١).

وهذه مصادر نابت عن أفعالها في الدعاء. وبعض هذه المصادر سُمِعَ بالاتباع نحو:
جوعاً وجوساً ، ولهذا لم يَجْزِ سيبويه: عولك حتى تقول: ويلك وعولك^(٢).

٢- فاها لفيك

هذا القول للعرب في الدعاء على الشخص ذكره سيبويه في باب ما جرى من
الأسماء مجرى المصادر التي يُدعى بها. وهي أسماء جامدة لا فعل لها من لفظها ، ولهذا
قَدَرُوا لها فعلاً متصيِّداً من المعنى. ومن ذلك قولهم فاها لفيك ، أي جعل الله فم
الداهية لفيك^(٣).

٣- اللهم ضُبِعاً وذئباً

وهذا قول للعرب في الدعاء على غنم رجل ، كأنه قال اللهم أجمع فيها ضُبِعاً
وذئباً ، أضمر الفعل جوازاً لأنهم أظهروه في كلامهم حتى صار معلوماً^(٤).

وسمع المبرد أن هذه العبارة دعاء لصاحب هذه الغنم لا دعاء عليه ، لأن الضُبِعَ
والذئب إذا التقيا تقاتلا فأفنت الغنم ، وتأول كلام سيبويه على معنى: ذئباً من ها
هنا وَضُبِعاً من ها هنا. وقيل: المعنى أن يقتل الذئب الأحياء عبثاً ، وتأكل الضبع
الأموات^(٥).

٤- أمتٌ في الحجر لافيك

علل سيبويه لبعض النكرات التي رُفِعَت على الابتداء نحو: شئٌ ما جاء بك ،
وشرٌّ أهرَّ ذا ناب ، ثم قال بعد ذلك: (وقد ابتدئ في الكلام على غير ذا المعنى ،

(١) انظر كتاب سيبويه ١ : ٣١١.

(٢) انظر السابق نفسه ١ : ٣١٨.

(٣) انظر كتاب سيبويه ١ : ٣١٥ ، وانظر فصل المقال لأبي عبيد البكري ص ٨٩.

(٤) انظر كتاب سيبويه ١ : ٢٥٥.

(٥) انظر شرح السيرافي بهامش كتاب سيبويه ١ : ٢٥٥.

وعلى غير ما فيه معنى المنصوب وليس بالأصل ، قالوا في مثل: أمتٌ في الحجر لا فيك^(١).

وظاهر كلام سيويه أن هذا القول إخبار محض ليس من قبيل ما كان أصله مصدرًا منصوبًا. ويشكل على هذا مسوِّغ الابتداء بالنكرة. ورُبَّما كان المسوِّغ عند سيويه أنه قول جرى مجرى المثل ، والأمثال تحكي على صورتها ولا تتغير. ويحتمل أيضاً أن يكون مراد سيويه أن ما كان فيه معنى المنصوب لا يطرد في جميع الدعاء كقولهم: ويلٌ لك ، فليس معناه ويلي لك كما تقول في نحو: سلامٌ عليك أن معناه سلامي عليك^(٢).

وقد ذهب المرّدد إلى أن قولهم أمتٌ في الحجر لا فيك خبرٌ في معنى الدعاء ، والمعنى: جعل الله اعوجاجاً في الحجر لا فيك^(٣).

ومذهب المرّدد - في تقديري - واضح وجلي ، لأنه جعل مسوِّغ الابتداء بالنكرة الدعاء وسياق العبارة يؤيد ذلك.

٥- سقياً ورعياً

وهذه من المصادر المنصوبة بفعل مضمر لا يظهر في الكلام^(٤).

٦- هنيئاً مرثياً

وهذه من الصفات التي أجزيت مجرى المصدر في الدعاء ، كأنك قلت: ثبت لك هنيئاً مرثياً^(٥).

(١) كتاب سيويه ٣٢٩.

(٢) انظر شرح كافية ابن الحاجب للرضي ج ١ طبع دار الكتب العلمية - بيروت ص ٩٠.

(٣) انظر شرح السمراني بهامش كتاب سيويه ١: ٣٢٩ وانظر لسان العرب لابن منظور (أمت).

(٤) انظر كتاب سيويه ١: ٣١١.

(٥) السابق نفسه ١: ٣١٦.

والأمثلة التي رواها سيوييه ، أو شيوخه ، عن العرب لا تخلو طائفة منها من جمال العبارة والتأنيق فيها ، مما يدل على اعتناء العرب بكلامهم وانتخاب التراكيب الفصيحة ، وتخير الألفاظ الجيدة للتعبير عن المعنى. ومن أمثلة ذلك:

١- إني مما أن أصنع

ما في هذا التعبير اسم ، والمعنى: إني من الأمر أن أصنع. ومثل ذلك غسلته غسلًا نعيمًا ، أي نعم الغسل^(١).

٢- إنك ما وخيراً

المعنى: إنك مع خير ، عطف على منصوب إن مع أن الواو للمعية. ونظير ذلك: إني وزيداً منطلقان^(٢).

٣- كرماً وطولاً أنفياً

انتصب المصدر في هذا التعبير بفعل مضمر ، والمعنى للتعجب ، أي أكرم بك وأطول بأنفك^(٣).

٤- ما زاد إلا ما نقص ومانفَع إلا ماضراً

ما والفعل في هذه العبارة بمنزلة المصدر ، والمعنى: ما زاد شيء إلا النقصان أمره ، ومانفَع شيء إلا الضرر أمره^(٤).

٥- انتظرني كما آتيك

الكاف في هذه العبارة للتشبيه وصلت بما ، وهما عند الخليل بمنزلة حرف واحد ، والمعنى: انتظرني لعلِّي آتيك^(٥).

(١) انظر كتاب سيوييه ١: ٧٣.

(٢) انظر كتاب سيوييه ١: ٣٠٢.

(٣) السابق نفسه ١: ٣٢٨.

(٤) انظر كتاب سيوييه ٢: ٣٢٦ وشرح السمراني بهامشه

(٥) انظر كتاب سيوييه ٣: ١١٦.

٦- كما أنه لا يعلم فتجاوزَ اللهُ عنه

الكاف عند الخليل عاملة في أَنَّ ، وما زائدة ، وزيادتها هنا لازمة ، لأنَّ حذفها يوهم أنَّ المراد كَأَنَّ التي للتشبيه^(١).

٧- ظلَّ يفرسها السبع ويوكّلها

المعنى أنَّ السبع أكثر فيها الافتراس والأكل ، لأنَّ من معاني فَعَّل الدلالة على كثرة الفعل^(٢).

٨- ما رأيته مذ أنَّ اللهُ خلقتني

أنَّ ومعمولاها في موضع اسم ، كأنَّه قال: ما رأيته مذ ذاك^(٣).

٩- أهلك والليل

وردت هذه العبارة في باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره ، استغناء عنه - ما جرى منه على الأمر والتحذير. قال سيبويه: (ومثل ذلك: أهلك والليل ، كأنَّه قال: بادر أهلك قبل الليل)^(٤).

وإضمار الفعل ملتزم في العطف والتكرار ، لأنَّ العطف كالبديل من اللفظ بالفعل ، والتكرار بمنزلة العطف. وهذا معنى قول سيبويه: (وإنما حذفوا الفعل في هذه الأشياء حين ثنوا لكثرتها في كلامهم ، واستغناء بما يرون من الحال ، وبما جرى من الذكر)^(٥).

(١) انظر كتاب سيبويه ٣: ١٤٠.

(٢) انظر السابق نفسه ٤: ٦٤.

(٣) انظر السابق نفسه ٣: ١٢٢.

(٤) انظر السابق نفسه ١: ٢٧٥.

(٥) السابق نفسه ١: ٢٧٥.

قال الرضي: (إن كانت الواو بمعنى مع فالمعنى الحق أهلك مع الليل ، أي لا يسبقك الليل إليهم ، وإن كانت للعطف انتصب الليل بفعل آخر غير ناصب أهلك أي: الحق أهلك واسبق الليل)^(١).

والعطف - في تقديري - أقوى من تفسير الواو بمعنى المعية لأنَّ المخاطب محذَّر أن يدركه الليل في غير أهله ، ولهذا قدره سيبويه: بادر أهلك قبل الليل. كأنه قال: واسبق قدوم الليل.

وقد نَبَّه ابن جنيّ إلى الفرق بين تفسير المعنى وتقدير الإعراب فقال: (ومنهم قولهم: أهلكَ والليلَ ، وهذا لعمري تفسير المعنى لا تقدير الإعراب ، فإنه على: الحق أهلك وسابق الليل)^(٢)

(١) شرح كافية ابن الخاحب للرضي ١: ١٣٠.

(٢) الخصائص ، لابن جنيّ ٣: ٢٦١

الباب الثالث:

أمثلة سبويه غير المروية قياسها وأثرها في تصحيح أساليب الجملة ، ومنهج سبويه في عرضها .

الفصل الأول: أسس القياس من خلال أمثلة سبويه

الفصل الثاني: أساليب الجملة وتصحيح المعنى من خلال أمثلة سبويه غير المروية.

الفصل الثالث: منهج سبويه في عرض الأمثلة غير المروية.

ملهيند:

المقصود بالأمثلة غير المروية الأمثلة التي أنشأها سيبويه أو من نقل عنهم قياساً على كلام العرب. والهدف من هذه الأمثلة توضيح القاعدة العامة وفروعها ، أو تيسير عرض الأحكام واستيعاب تفاصيلها تمهيداً لتقرير القاعدة الكلية التي تتبع غالباً بالشواهد من القرآن الكريم أو النصوص المروية عن العرب شعراً أو نثراً. وقد وضحت في مقدمة هذه الرسالة الفرق بين المثال والشاهد والتداخل بينهما بما يعني عن إعادة الكلام هنا^(١).

وإذا كان سيبويه وشيوخه قد عاصروا بعض من يحتجّ بكلامهم - فإنّ هذا يضيف بُعداً جديداً لهذه الأمثلة ، ويظهر أثر ذلك جلياً في كتب النحويين المتأخرين. فقد نقل هؤلاء العلماء طائفة من أمثلة سيبويه غير المروية وقدموا لها بعبارة: (حكى سيبويه) وحكى من معانيها المماثلة والمشابهة. تقول: حكيتُ فلاناً وحاكيتُه إذا فعلت مثل فعله أو قلت مثل قوله سواء لم يتجاوزوه^(٢).

وبهذا المعنى حكى سيبويه أساليب العرب ولغاتهم. بمعنى أنّه قال مثل قولهم سواء لم يتجاوزوه.

أما المواد المنقولة نصّاً عن العرب فيعبر عنها غالباً بالفعل (روى) وربما تجاوزوا فسموا النقل عموماً رواية ، وإن كان المنقول مثلاً من الأمثلة غير المروية. ومما يؤكد قيمة الأمثلة غير المروية أنّ بعض النحويين استأنسوا بطائفة منها ثقة في سيبويه وشيوخه. وهذه نماذج من استئناسهم بالأمثلة غير المروية:

(١) انظر مقدمة البحث ص : ٥

(٢) انظر لسان العرب لابن منظور (حكى)

١- يقول الأشموني في مبحث أفعال التفضيل: (ولا يرفع اسماً ظاهراً ولا ضميراً

بارزاً إلا قليلاً ، حكى سيويه: (مررتُ برجلٍ أكرمُ منه أبوه) (١).

٢- يقول ابن هشام إنَّ مميَّزَ كَأَيِّ (بجورٍ بمن غالباً حتى زعم ابن عصفور

لزوم ذلك ، ويردّه قول سيويه: وكأَيِّ رجلاً رأيت ، زعم ذلك يونس ، وكأَيِّ قد

أنا رجلاً. إلا أن أكثر العرب لا يتكلمون به إلا مع من) (٢).

٣- اشترط الفراء في جواز نصب المستثنى الذي يختار فيه الإتيان أن يكون

المستثنى منه معرفة ، وردَّ بحكاية سيويه: (ما مررتُ بأحدٍ إلا زيداً ، وما أتاني أحدٌ

إلا زيداً) (٣).

٤- استدللَّ ابن عقيل على لزوم اقتران خبر اخلولق بأن بنحو: اخلولقت السماء

أن تمطر ، ثم قال: وهو من أمثلة سيويه (٤).

٥- ذهب بعض النحويين إلى أنه يشترط في الاشتغال أن ينتصب الضمير والاسم

المتقدم من جهة واحدة ، فلم يميزوا: زيداً قمت إجلالاً له ، لاختلاف جهة النصب

، لأنَّ الأوَّل مفعول به والثاني مفعول له. وقد ردَّ هذا المذهب بمثال سيويه: أعبدُ

الله كنت مثله ، انتصب الأوَّل مفعولاً به والثاني خبراً لكان (٥).

والدرس النحوي في كتاب سيويه يقوم على الأمثلة والشواهد. فقد احتجَّ

سيويه بعدد وافر من آيات الذكر الحكيم. كما احتجَّ بأكثر من ألف بيت من الشعر

(١) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٣: ٥٣ ولم أعثر على هذا المثال في الكتاب ، ولكن ورد فيه: مررتُ برجلٍ خيرٍ منه أبوه. انظر كتاب سيويه ٢: ٢٦.

(٢) مغني اللبيب لابن هشام ص ٢٤٦ - ٢٤٧ وانظر كتاب سيويه ٢: ١٧٠.

(٣) انظر همع الموامع للسيوطي ١: ٢٢٤ وكتاب سيويه ٢: ٣١٩ .

(٤) انظر شرح ابن عقيل على الألفية ١: ٣٣٢ وكتاب سيويه ٣: ١٥٧ .

(٥) انظر همع الموامع للسيوطي ٢: ١١٤ وكتاب سيويه ١: ١٠٢ .

، وعدد كبير من الأمثلة المروية عن العرب ، ولكنه حشد في كتابه أضعاف ذلك من الأمثلة غير المروية. يُضاف إلى ذلك الأمثلة الفرعية التي تدور حول الأمثلة الرئيسة. ومن العسير على باحث مثلي أن يُخضع كل هذه الأمثلة للدراسة والتحليل في مدى زميني محدود. ولهذا رأيت أنه من المناسب أن أختار نماذج من أمثلة سيبويه غير المروية تكون كافية - إن شاء الله - لتحقيق الأهداف المرجوة^(١).

ولا شك أن كتاب سيبويه كتاب جامع لم يقتصر على الدراسات النحوية والصرفية ، وإنما شمل أيضاً دراسات لغوية أخرى ، منها ما يتعلق بالأدوات ومعانيها ، ومنها ما يتعلق بالأصوات ومخارج الحروف ، ومنها ما يدخل في دائرة علم العروض والقوافي ، ومنها ما يختص بلهجات العرب ، إلى غير ذلك من موضوعات الكتاب.

وسُعيّ هذا الباب بثلاثة محاور:

الأول: أسس القياس من خلال الأمثلة غير المروية.

الثاني: أساليب الجملة من خلال أمثلة سيبويه غير المروية.

الثالث: منهج سيبويه في عرض الأمثلة غير المروية.

(١) انظر أهداف البحث في المقدمة ص ١٠٤

الفصل الأول:

أسس القياس من خلال أمثلة سيويه:

المبحث الأول: التمييز بين مستويات الأداء اللغوي في كتاب سيويه
المبحث الثاني: القياس في كتاب سيويه في ضوء لغات العرب

المبحث الأول: التمييز بين مستويات الأداء اللغوي في كتاب سيويه
نشأت اللغة العربية في بلاد الحجاز ونجد ، غير أنّ المراحل الأولى لنمو هذه اللغة
ليست واضحة. ومن الآثار التي خلفتها هذه اللغة البائدة نقوش يرجع تاريخها إلى
القرن الأول الميلاديّ.

أمّا اللغة العربيّة الباقية فإنّ أقرب آثارها المعروفة يرجع إلى القرن الخامس
الميلاديّ. ونشأت هذه اللغة في الحجاز ونجد أيضاً. ويمثل الأدب الجاهليّ مرحلة من
مراحل نمو هذه اللغة. وقد بقي هذا الأثر مرويّاً لفترة طويلة إلى أن تمّ تدوينه في
القرون الأولى للعصر الإسلاميّ^(١).

وقد تميّزت اللغة الحجازيّة التي يتحدّث بها سكّان الحجاز ونجد وما حولهما ،
بالفصاحة وحسن البيان. ومن أشهر قبائل الحجاز قريش ، إذ كانوا أصحاب تجارة
رايحة ، ومكانة دينية كبيرة ، ولهذا كانت القبائل الأخرى تهوي إليهم لأداء مناسك
الحجّ ، وتبادل السلع التجارية.

وقد تحقّق لقريش - إلى جانب النفوذ الدينيّ والاقتصاديّ - نفوذ سياسيّ مكّنها
من السيطرة على كثير من القبائل المجاورة ، فازدهرت لذلك تجارتها وعلا سلطانها ،
وأصبح لسانها لسان الشّعير والخطابة حين يلتقي الأدباء في الأسواق. وقد مهّد هذا
كلّه لأن تصبح اللغة الحجازيّة قاسماً مشتركاً بين قبائل العرب ، وبخاصة في الأدب
وفنونه.

وعندما بدأ جمع اللغة خلال القرنين الأوّل والثاني من الهجرة كان أمام الرواة
ثروة كبيرة من المادة اللغوية شعراً ونثراً. غير أنّ هذه الثروة كانت موزّعة بين القبائل. وكان
الرواة أنفسهم من قبائل متعددة ، ورُبّما اختلف لذلك مستوى الرواية. ومع ذلك كلّ جُمِعَتْ
المادة وعكّف العلماء على دراستها وتصنيفها وتبويبها واستنباط القواعد الكلية منها.

(١) انظر فقه اللغة د. علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر للطباعة ط/٧ ص ١٠٧ - ١٠٨. والأنسب أن يقال
إنّها نشأت بجزيرة العرب دون تخصيص.

ومَّا يُرَوَى فِي الْجَمْعِ وَالتَّدْوِينِ أَنَّ عَيْسَى بْنَ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ حِينَ وَضَعَ كِتَابَهُ فِي اللُّغَةِ قِيلَ لَهُ: أَيْدْخُلْ فِيهِ كَلَامَ الْعَرَبِ كُلَّهُ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَالَ السَّائِلُ: فَمَنْ تَكَلَّمَ بِمُخْلَافِكَ وَاحْتَدَى مَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَكَلَّمُ بِهِ أَفْتَرَاهُ مَخْطِئًا؟ فَقَالَ لَا: فَقَالَ السَّائِلُ: فَمَا يَنْفَعُ كِتَابُكَ؟^(١)

وَالسُّوَالُ الَّذِي يَفْرَضُ نَفْسَهُ هُنَا: هَلْ تَمَكَّنَ جَامِعُ اللُّغَةِ الْأَوَّلُ أَنْ يَمَيِّزَ بَيْنَ مَسْتَوِيَاتِ الْأَدَاءِ اللُّغَوِيِّ الْمَخْتَلِفَةِ؟ وَهَلْ كَانَ اسْتِقْرَاءُ اللُّغَوِيِّينَ وَالتَّحْوِيلِ لِلْمَادَةِ الْمَرْوِيَةِ شَامِلًا لِكُلِّ هَذِهِ الْمَسْتَوِيَاتِ؟

يَحْسُنُ أَوَّلًا أَنْ أَعْرَضَ بَعْضَ الْآرَاءِ الَّتِي تَفْضَلُ بِهَا بَعْضُ الْبَاحِثِينَ الْمَعَاصِرِينَ. فَقَدْ ذَهَبَ الدُّكْتُورُ عَفِيفُ دِمَشْقِيَّةَ إِلَى أَنَّ اللُّغَوِيِّينَ وَالتَّحْوِيلِ لَمْ يَحَاوِلُوا التَّمْيِيزَ بَيْنَ مَا هُوَ مُسْتَعْمَلٌ فِي لُغَةِ التَّخَاطَبِ الْيَوْمِيِّ، وَمَا هُوَ جَارٍ فِي الْفَصْحَى التَّمُوذَجِيَّةِ الْمَشْرُوكَةِ بَيْنَ الْعَرَبِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ السَّبِيلَ الَّتِي سَلَكَوْهَا لِاسْتِقْرَاءِ الظُّوَاهِرِ اللُّغَوِيِّةِ اخْتَلَطَتْ عَلَيْهِمْ لِأَسْبَابٍ أَمَّهَا فِي رَأْيِهِ:

أَنَّ التَّرَاثَ الْمُسْتَهْدَفَ كَانَ مَحْفُوظًا فِي الصَّدُورِ، وَرُبَّمَا تَعَرَّضَ إِلَى التَّحْرِيفِ وَالتَّغْيِيرِ، وَأَنَّ الْحَقْبَةَ الزَّمْنِيَّةَ الَّتِي تَفْصَلُ بَيْنَ عَصْرِ التَّدْوِينِ وَذَلِكَ التَّرَاثِ كَافِيَةٌ لِحُدُوثِ تَطَوُّرٍ لُغَوِيِّ مَهْمَا ضَوَّلَ شَأْنَهُ.

وَيُضِيفُ الدُّكْتُورُ دِمَشْقِيَّةَ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ الرِّوَاةَ بِحُكْمِ انْتِمَائِهِمْ لِقَبَائِلِهِمْ، كَانَتْ لَهُمْ لِحَاجَاتِهِمْ الْخَاصَّةُ، وَأَنَّ تَعَدُّدَ الْبَيْتَاتِ اللُّغَوِيَّةِ الَّتِي كَانَ يَعِيشُ فِيهَا أَوْلَئِكَ الرِّوَاةِ لِأَبَدٍ أَنْ يُوَدِّيَ بِالنَّاقِلِينَ إِلَى عِدَّةِ نَمَازِجٍ لُغَوِيَّةٍ^(٢).

وَقَدْ تَنَاوَلْتُ بَعْضَ النُّقَاطِ الَّتِي أَثَارَهَا الدُّكْتُورُ دِمَشْقِيَّةَ فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ مِنَ الْبَابِ الثَّانِي. مِمَّا يَغْنِي عَنِ إِعَادَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهَا

(١) انظر أخبار النحويين للسمرائي ص ٥٠

(٢) انظر المنطلقات التأسيسية والفنية إلى النحو العربي معهد الإفتاء العربي ليبيا - فرع لبنان ط/١ ١٩٧٨ م بيروت ص ٣٥ وما بعدها.

هنا^(١). غير أنني أقف هنا عند بعض النماذج التي اقتبسها من كتاب سيويوه واستدل بها على آثار الخلط في مستويات الأداء اللغوي على الدرس النحوي ومن ذلك:

١- في (باب ما أجري مجرى ليس في بعض المواضع بلغة أهل الحجاز ثم يصير إلى أصله)^(٢).

استخلص الدكتور دمشقية من هذا العنوان أمرين:
الأول: أن سيويوه اعتمد في هذا الباب اللغة الحجازية.
الثاني: أن القياس لم يكن مع أصحاب المستوى الذي اختاره سيويوه بل مع بني تميم^(٣).

٢- في مبحث الاستثناء المنقطع التزم الحجازيون النصب كراهية أن يُبدلوا من المستثنى منه ما ليس من جنسه. وبنو تميم رفعوا المستثنى المنقطع لأن المستثنى منه لم يذكر إلا توكيداً أو لأنهم أبدلوه من المستثنى^{هنا} على سبيل التوسع والحجاز. وقد لاحظ الدكتور دمشقية أن مثال سيويوه: ما فيها أحدٌ إلا حماراً أو حمارٌ يجعل المستثنى ضدّاً صارخاً للمستثنى منه ، وهذا لا يُلاحظ في شواهد الباب كقول جران العود:

وَبَلَدَةٌ لَيْسَ بِهَا أَنْيْسٌ إِلَّا الْيَعْفِيرُ وَإِلَّا الْعَيْسُ

فاليعافير والعيس من مظاهر الحياة ومقومات نفي الوحشة عن البلدة إلى جانب من يسكنها من البشر ، فهي بهذا الاعتبار يمكن أن تكون من جنس الأنيس^(٤). ولا أرى في النماذج التي عرضها الدكتور دمشقية دليلاً على خلط مستويات الأداء في كتاب سيويوه.

(١) انظر ص ٥٩ من هذا البحث.

(٢) كتاب سيويوه ١: ٥٧.

(٣) انظر المنطلقات التأسيسية والفنية إلى النحو العربي ص ٤٠.

(٤) انظر السابق نفسه ص ٤١ - ٤٢ ، والمثال في كتاب سيويوه ، ٢: ٣١٩ والبيت من شواهد الكتاب ٢: ٣٢٢.

فقد وَصَفَ سيبويه - في النموذج الأول - لغة التميميين في إهمال (ما) بأنها القياس ، وذلك لأنَّ (ما) حرف ليس له قُوَّة الفعل وتصرفه ، ومع ذلك فقد أجرى أغلب أمثلة الباب على (ما) الحجازية^(١).

وكثرة الاستعمال ركن من أركان القياس في كتاب سيبويه ، ولهذا اعتدَّ سيبويه باللغة الحجازية لأنها (اللغة الأولى القُدَمَى)^(٢).

وهي فوق ذلك اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، واللغة المشتركة بين جميع القبائل العربية حين يلتقي الأدباء في الأسواق والمواسم. وهي كذلك لغة المستوى الرسمي حين تبعث القبائل وفودها إلى قريش.

والأصل - بهذا الاعتبار - مُقَدَّم على القياس المجرد. والدليل على ذلك أنَّ سيبويه حين عرض لكسر حرف المضارعة - باستثناء الياء - في لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز ، عَقَّبَ على ذلك بقوله: (وجميع ما ذكرتُ مفتوح في لغة أهل الحجاز وهو الأصل)^(٣).

ويؤيد ذلك أنَّ بني تميم يلتزمون القراءة بالنصب في قوله تعالى: ﴿مَا هَذَا

بَشَرًا﴾^(٤) مع أنَّهم يهملون (ما) في كلامهم. فإذا انتقض النفي نحو: ما زيد إلا منطلق استوت اللغتان^(٥).

وإعمال (ما) في لغة الحجازيين له أيضاً ما يبرره عند سيبويه ، وهو تشبيه (ما) بـ(ليس) وإن كانت الأولى حرفاً والثانية فعلاً لأنَّ (من كلامهم أن يشبهوا

(١) انظر كتاب سيبويه ١ : ٥٧ - ٦٦.

(٢) السابق نفسه ٣ : ٢٧٨.

(٣) السابق نفسه ٤ : ١١١.

(٤) يوسف: ٣١.

(٥) انظر كتاب سيبويه ١ : ٥٩.

الشيء بالشيء وإن لم يكن مثله في جميع الأشياء^(١).

فالقياسُ المجردُ مع اللغة التميمية في هذا الموضع ، وكثرة الاستعمال مع الحجازية .
ولكلٍّ من اللغتين وجه من القياس (ألا ترى أنّ لغة التميميين في ترك إعمال (ما)
يقبلها القياس ولغة الحجازيين في إعمالها كذلك ، لأنّ لكل واحد من القومين ضرباً
من القياس يُؤخذ به ، ويُخلدُ إلى مثله وليس لك أن تردّ إحدى اللغتين
بصاحبته^(٢) .

أمّا التأويلُ الذي ذكره الدكتور دمشقية فإنه لم يغب عن سيويه . فقد علّق على
بيت جرّان العود بقوله : (جعلها أنيسها ، وإن شئت كان على الوجه الذي قسّرته في
الحمار أول مرة)^(٣) .

فأحد وجوه الرفع أن يجعل اليعافير والعيس أنيس هذه البلدة على الاتّساع والمجاز
، وبهذا يسوغ البدل . وهذا التأويل المجازي سائغ في المثال أيضاً (لا أحد فيها إلا
حمار) فقد أجاز سيويه أن يكون على البدل اتّساعاً ومجازاً كأنّ القائل جعل الحمّاز
إنسانها^(٤) .

وأنشد سيويه :

عَشِيَّةٌ لَا تُغْنِي الرَّمَاحُ مَكَانَهَا وَلَا النَّبْلُ إِلَّا الْمَشْرِفِيُّ الْمَصْمُمُ

وقاس عليه : ما أتاني زيدٌ إلا عمرو ، وما أعانته إخوانكم إلا إخوانه^(٥) . فهذا
عند سيويه على الاتّساع والمجاز ، لأنّ المشرفي - وهو السيف - ليس من جنس

(١) كتاب سيويه ٣ : ٣٧٨ ، وقد تكررت هذه العبارة بنحو هذا في مواضع من الكتاب انظر مثلاً : ١ : ١٨٢ ،

٢٥٩ ، ٢ : ٣٧٧ ، ٣ : ٢٣٤ ، ٣٠٢ .

(٢) الخصائص لابن جني ٢ : ١٠ .

(٣) كتاب سيويه ٢ : ٣٢٢ .

(٤) انظر السابق نفسه ٢ : ٣٢٠ .

(٥) انظر كتاب سيويه ٢ : ٣٢٥ ، ولم ينسب الشاهد ، ونسبه البغدادي إلى ضرار بن الأزور . خزنة الأدب

الرِّمَاحَ والنَّبَلِ ، وعمرو في المثال ليس زيداً ، ولكن يقربُ البَدلَ أَنَّ الرِّمَاحَ والنَّبَلِ
والسِّوْفَ أسلحةَ الحربِ ، وزيداً وعمراً من بني آدم.

والبيت الشاهد ورد في قصيدة أخرى منسوبة إلى الحصين بن الحمام المري
منصوبة الروي:

عَشِيَّةٌ لَا تُغْنِي الرِّمَاحُ مَكَانَهَا وَلَا النَّبْلُ إِلَّا الْمَشْرِفِيُّ الْمَصْمَمًا^(١)

وقد احتج سيويه ببيت من هذه القصيدة في نصب الفعل المضارع بأن مضمرة
بعد أو. والبيت هو:

ولولا رجالٌ من زُرَّامٍ أَعَزَّةٌ وَأَنْ سَبِيحٍ أَوْ أَسْوَعِكَ عَلَقَمًا^(٢)

وهذا قد يرجح أن الرواية الأصلية بالنصب على القياس الشائع في المستثنى
المنقطع ، وإنما يقع الاختلاف في الرواية إذا أنشِدَ البيت مفرداً ، وكأنه في هذه الحال
على لغة المنشد لا الشاعر ، ومع ذلك فإن سيويه يلتمس العلة للإنشاد ، لأنَّ المنشد
قد يروي البيت مفرداً على لغته. ويحتمل الأمر أيضاً تداخل الروايات والخلط بينها.

ويمكن أن نخلص من ذلك إلى أن سيويه لم يخلط بين مستويات الأداء اللغوي في
كتابه ، وإنما صنّف هذه المستويات تبعاً للاستعمال الشائع في لسان العرب. وقد اعتدّ
باللغة الحجازية لاعتبارات ذكرتها في مستهل هذا المبحث.

ومع هذا كله كان سيويه حريصاً على تعليل الظواهر اللغوية التي تخرج عن
إطار الاستعمال الشائع. ومن ثمَّ صنّف هذه الظواهر من قبيل الشاذ أو النادر أو
القليل أو القبيح أو الخبيث أو الردي من نحو قوله: (وقد قال بعض العرب كُدت
تكاد ... وهذا شاذ من بابه)^(٣). وقوله: (وقال ناس من العرب: وَجَدَ يَجْدُ ... وهذا

(١) انظر المفضليات ، للمفضل الضبي . تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ط/ه دار المعارف
١٩٧٦م - مصر ص ٦٥.

(٢) انظر كتاب سيويه ٣ : ٥٠ والمفضليات ص ٦٦ وروايته: ولولا رجالٌ من زُرَّامٍ بن مازن

(٣) كتاب سيويه ٤ : ٤٠.

لايكاد يوجد في الكلام^(١). وقوله: (واعلم أنّ قوماً من ربيعة يقولون: منهم ... وهذه لغة رديئة)^(٢). وقوله: (وتقول: إن أحداً لا يقول ذلك...) وهو ضعيف خبيث)^(٣). وقوله: (وزعم يونس أنّ قوماً من العرب يقولون: أمّا العبيد فذو عبيد ، وأمّا العبد فذو عبيد ، يجرونه مجرى المصدر سواء ، وهو قليل خبيث)^(٤). إلى غير ذلك من العبارات التي يتحو بها هذا النحو.

وهذه النعوت ليست طعناً في لغات العرب ، وإنما القصد منها تصنيف هذه اللغات من حيث قربها أو بعدها عن القياس العام الشائع.

ومن أهداف سيويه أن يبصر القارئ بأساليب العرب ، وحرّري به أن يعرض لطالب اللغة في هذا المقام نماذج رفيعة مما يشيع استعماله ويكثر تداوله حتى يحتذي على مثالها.

ورُتّما عرض سيويه أكثر من أسلوب في الموضوع الواحد وترك لطالب اللغة الخيار في أن يحتذي أيها شاء ، لأنّها كلّها عربيّة جيّدة. ومثال ذلك ، ما انتصب على التعظيم والمدح نحو: الملك لله أهل الملك ، إن شاء طالب اللغة جرّ أهلاً صفة لله تعالى وإن شاء قطع إلى النصب مدحاً وتعظيماً ، وإن شاء قطع إلى الرفع استئنافاً^(٥).

وتقول: (لامثله رجلٌ إذا حملته على الموضع ... وإن شئت حملته على لا فتوته ونصبته ، وإن شئت قلت: لامثله رجلاً على قوله: لي مثله غلاماً)^(٦).

وقد ذهب الدكتور دمشقيّة إلى أنّ الاضطراب إلى التأويل والتخريج جعل طالب القاعدة الأساسيّة يكاد ينحرف عن بغيته الأصليّة ويصرف جُلّ اهتمامه إلى الفروع ،

(١) كتاب سيويه ٤ : ٥٢ .

(٢) السابق نفسه ٤ : ١٩٦ .

(٣) السابق نفسه ٢ : ٣١٨ .

(٤) السابق نفسه ١ : ٢٨٩ .

(٥) السابق نفسه ٢ : ٦٢ .

(٦) كتاب سيويه ٢ : ٢٩٢ .

وَأَنَّ النحويين أوقعوا المشتغلين في البحث اللغوي والنحوي من طلاب العربية في وهم فاضح ، وهو أَنَّ عليهم أن يقيسوا كلامهم في عصرهم على ما صدر منذ عدّة عصور عن بعض الأعراب البداة ، لا لشيء إلاَّ لأنَّ اللغويين والنحويين وثقوا بهم ومنحوهم صلَّ الفصاحة ، وأنَّ طالب اللغة وُضع في موقف محرِّج لما يرى أمامه من معطيات القاعدة النحوية لا يدري أيّ معطى يتبنّى وكلّها فصيحة^(١).

وهذا الرأي يبدو مناقضاً لدعوى الخلط بين مستويات الأداء اللغوي ، لأنَّ التمييز بين هذه المستويات يعني أنماطاً وأساليبَ متعددة لكلِّ وجهٍ من القياس. ولعلَّ الفكرة التي يذهب إليها أصحاب هذا الرأي هي تيسير النحو العربي. وهي فكرة مقبولة من حيث المبدأ إذا كان الهدف منها بلوغ الغاية بأسهل الطرق. وهذه الفكرة - بهذا القيد - ليست مطلباً جديداً ، فقد سبق إليها بعض الأئمة - من النحويين كالفرّاء وابن مالك وابن هشام وغيرهم.

ولا أحسب أنَّ القياس مهما ضرب في القدم يمكن أن يكون عائقاً أمام تجدد الأساليب وانطلاقها. وإذا كانت المعطيات المتاحة إلى طالب اللغة كلّها فصيحة ، فعلى أيّ أساس نفترض أنه في موضع محرِّج؟ ولماذا لا يختار طالب اللغة من بين هذه المعطيات الفصيحة ما يراه مناسباً؟

ولا خطر على اللغة من ثبات القياس ما دامت الأساليب متجدّدة ، والأمثلة متنوّعة ومبتكرة ، وإمّا الذي يخشى منه هو أن يفصل طالب اللغة عن تراثه حتى لا تبقى بينه وبين هذا التراث وشيجة ، وفي هذا خطر عظيم لا يخفى على أحد. إنَّ النماذج الآتية ستكشف لنا أنَّ سيويه نجح في تطوير المادة المرويّة الثابتة ، وأنّه استنبط منها أمثلة حيّة متجدّدة ، معتمداً على السماع الموثق ، والقياس المحكم. وسيوضح لنا كذلك أنه نظر في لغات العرب واختار من أساليبهم ما كثر استعماله

(١) انظر المنطلقات التأسيسية والفنية إلى النحو العربي . د. عفيف دمشقية ص ٤٩ - ٥٠.

وشاع. ومع ذلك لم يهمل سيبويه اللغات القليلة ، بل التمس لها العِللَ والوجوه ، إلا ما كان منها يَبْنُ الشذوذ ، لا يليق بطالب اللغة أن يحتدي على مثاله.

المبحث الثاني: القياس النحوي في كتاب سيويه في ضوء لغات العرب

يُمثّل كتاب سيويه خلاصة الدرس النحوي واللغوي قبل القرن الثالث الهجري. وقد استلهم سيويه جهود مَنْ سبقه من العلماء في وضع أسس للقياس ، منها القياس على الكثير الشائع في لغات العرب وأساليبهم ، والاعتداد بالسماع ، والاجتهاد في حدود ما يقبله القياس.

ويؤكد هذا المبحث أنّ سيويه لم يخلط بين مستويات الأداء اللغوي ، وإنّما قدّم للقارئ نماذج متعدّدة من لغات العرب ، ونَبّه إلى الأساليب والصيغ التي يكثر استعمالها ، والأساليب الضعيفة التي تشدّد عن القاعدة العامة المستنبطة من الكثير الشائع. ومن ثمّ عرض كلّ الوجوه الإعرابية التي يمكن أن يحتملها المعنى. وخيّر القارئ في أساليب أخرى تتساوى في الجودة والحسن. كما أنّه نَبّه إلى بعض الأقيسة الفاسدة التي لا سند لها في كلام العرب. وهذه نماذج من كتاب سيويه تُوضّح ما سبق إجماله:

١- يقول سيويه: (وقد جاء في الكلام فَعِلَ يَفْعُلُ في حرفين بنوه على ذلك كما بنوا فَعِلَ يَفْعُلُ ، لأنّهم قد قالوا: يَفْعِلُ في فَعِلَ كما قالوا في فَعَلَ ، فأدخلوا الضمّة كما تدخل في فَعَلَ ، وذلك فَضِلَ يَفْضُلُ ، ومِتَّ تَمُوتُ ، وَفَضَلَ يَفْضُلُ ومُتَّ تَمُوتُ أقيس)^(١).

يفهم من هذا النص أن فَعِلَ يَفْعُلُ (بكسر العين في الماضي وضمّها في المضارع) قليل جداً في أبواب الفعل الثلاثي. ولكن كيف استطاع سيويه أن يخلّص إلى هذه النتيجة؟ وهل يعني هذا أنّه تتبع كلّ لغات العرب حتّى حصر هذا الوزن في مثالين؟ هناك - بلا شك - مستوى من الاستعمال شائع في لسان العرب. ولا يمكن بطبيعة الحال أن نتصور أنّ سيويه أو غيره من الرواد الأوائل قد تتبعوا كلّ لغات

(١) كتاب سيويه ٤ : ٤٠.

العرب وحصروها ، وإِنَّمَا يمكن أن نتصور أَنَّ بعض العرب قد تتداخل لهجاتهم بحكم انتقال البدو من موقع إلى آخر.

وإذا كان سيبويه قد حصر هذا الوزن في مثالين فَإِنَّ هذا يعني أَنَّ هذا الوزن قليل جداً في كلام العرب ، وَأَنَّ ما تسرَّب منه لا يعدر مثالين أو نحو ذلك. والدليل على ذلك أَنَّ ابن خالويه حَصَّر هذا الوزن في خمسة أمثلة بما في ذلك مثالي سيبويه^(١).

وقد ألمح سيبويه إلى هذا التداخل أو الاشتراك بين فَعِل (بكسر العين) وفَعَل (بفتحةها). وكَأَنَّ الذين قالوا فَضِيلَ يَفْضُلُ داخلوا بين وزنين فتولَّد منهما هذا الوزن الشاذ. وهذا تعليل لظاهرة نادرة كان يمكن أن يستغنى عنه سيبويه ، ولكنه - مع ذلك - آثر أن يلتبس وجهاً يترر به عدول بعض العرب عن اللغة الشائعة.

٢- يقول سيبويه: (وَذُو صَبَاحٍ بِمَنْزِلَةِ ذَاتِ مَرَّةٍ. تقول: سير عليه ذا صباح ، أخبرنا بذلك يونس عن العرب ، إِلَّا أَنَّهُ قد جاء في لغة الخثعم مفارقاً لذات مرّة وذات ليلة. وَأَمَّا الْجِدِيدَةُ الْعَرَبِيَّةُ فَإِنَّ تَكُونَ بِمَنْزِلَتِهَا)^(٢).

يذهب سيبويه - تبعاً لشيخه يونس - إلى أَنَّ ذا صباح في كلام العرب من الظروف التي تلازم النصب على الظرفية. ولكن مَنْ هم العرب الذين عناهم يونس؟ الراجح أَنَّهُ يعني الاستعمال الشائع عند أكثر العرب أو معظمهم لا كلَّهم ، بدليل أَنَّ خثعم أجازت التصرف. قال شاعرهم:

عَزَمْتُ عَلَى إِقَامَةِ ذِي صَبَاحٍ لِشَيْءٍ مَا يُسْوَدُ مِنْ يَسْوَدٍ^(٣)

(١) انظر ليس في كلام العرب ، لابن خالويه - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ط/٢/١٣٩٩/١٩٧٩ م مكة المكرمة ص ٩٥. والأمثلة هي: دمت أدوم ، رمت أموت ، وفضل يفضل ، ونعم ينعم ، ونقط يقنط.

(٢) كتاب سيبويه ١: ٢٢٦.

(٣) من شواهد سيبويه ١: ٢٢٧ ونسبه البغدادي إلى أنس بن مدركة الخثعمي ، انظر خزائن الأدب ١: ٤٧٦.

فلغة خثعم شدت عن الاستعمال الشائع ، لأنَّ الغالب إلحاق ذي مضافة إلى زمان بالظروف الملازمة للنصب على الظرفية. ولغة خثعم محدودة في نطاق القبيلة ، وقد سمّاها السيوطي لُغِيَّةً إشارة إلى قِلَّة استعمالها (١).

والظاهر من عبارة سيويه أنَّ ذا مضافة إلى زمان هي وحدها المتصرِّفة في لغة خثعم دون (ذات) المضافة إلى زمان. وإلى هذا الفهم ذهب السهيلي (٢).

ويحتمل أنَّ (ذا) مضافة إلى صباح هي المتصرِّفة في لغتهم لكثرة استعمالها. وفي النصِّ عموماً دليل على اعتداد الرواد الأرائل بالكثير الشائع ، وليس في هذا المذهب إخلال بالاستقراء الشامل ، لأنَّه لا يمكن عملياً أن يُقاس على الشاذ الذي يتكلَّم به عدد محدود من العرب. ومع ذلك كان سيويه دقيقاً في عبارته حين قال: وأما الجيدة فإن تكون بمنزلتها ، وكأنَّه يحتفظ لهذه اللغة القليلة بخصوصيتها في نطاقها المحدود.

٣- يقول سيويه: (وزعموا أنَّ ناساً يقولون: كيف أنتَ زيداً ، وما أنتَ زيداً ، وهو قليل في كلام العرب ، ولم يحملوا الكلام على ما ولا كيف ، ولكنَّهم حملوه على الفعل ، على شئ لو ظهر حتَّى يلفظوا به لم ينقض ما أرادوا من المعنى حين حملوا الكلام على ما وكيف. كأنَّه قال: كيف تكون أنتَ وقصعة من تريد ، وما كنتَ زيداً ، لأنَّ كنتَ وتكون يقعان هاهنا كثيراً ولا ينقضان ما تريد من معنى الحديث) (٣).

يلاحظ أنَّ سيويه لم يهمل هذه اللغة وإن كانت قليلة ، وإتّما التمس لها وجهاً من القياس. ورُبَّما تكون القِلَّة نسبية ، بمعنى أن تكون اللغة كثيرة في نفسها ولكنها قليلة بالنسبة إلى الاستعمال الشائع.

(١) انظر همع الهوامع للسيوطي ١: ١٩٧.

(٢) همع الهوامع للسيوطي ١: ١٩٧.

(٣) كتاب سيويه ١: ٣٠٣.

وتعليل سيبويه مبني على أَنَّ المفعول معه يجب أن يُسَبَقَ بفعل أو ما يشبه الفعل ، وهذا لا يتحقق في المثالين إلا بتأويل كَأَنَّ يُقال: كيف تكون أنت وزيداً ، وما كنت زيداً ، وهذا لا ينقض المعنى.

وذهب بعض العلماء إلى أَنَّ سيبويه قصد أن يقدر تكون مع كيف ، وكنت مع ما ، وذلك لِأَنَّ كيف على بابها في الاستفهام وهو مستقبل ، وفي ما معنى الإنكار ، ولا يُنكر إلا ما ثبت واستقر^(١).

٤- يقول سيبويه : (وإذا أضفت إلى أخت قلت: أَخَوِيّ ، وهكذا ينبغي أن يكون على القياس. وذا القياس قول الخليل ، من قَبْلَ أَنَّك لما جمعت بالتاء حذفت تاء التانيث كما تحذف الهاء ورددت إلى الأصل. فالإضافة تحذفه كما تحذف الهاء ، وهي أَرَدَ له إلى الأصل ... وأما يونس فيقول: أَخَيّ ، وليس بقياس)^(٢).

أخت عند الخليل محذوف اللام ، والتاء عوض من اللام المحذوفة ، بدليل تصحيحه على أخوات بحذف التاء منه بعد ردّ اللام إليه لِأَنَّهُ لا يُجمع بين العوض والمعوّض عنه. وقياس النسب على ذلك: أَخَوِيّ.

وهذا القياس مبني على أَنَّ التاء في أخت - وإن كانت عوضاً - فيها رائحة التانيث لاختصاصها بالموث في هذه الأسماء ، فإذا حذفت التاء رجعت الكلمة إلى صيغة المذكر وهو الأصل^(٣).

وأما يونس فيقول: أَخَيّ ، وظاهر كلام سيبويه أَنَّ هذا قياس يونس لا سماعه. وقد اضطربت أقوال العلماء من بعد في توجيه مذهب يونس ، فقال بعضهم: (إنَّ التاء وإنَّ أشعرت بالتانيث تشبه تاء جبت وسحت في سكن ما قبلها والوقف

(١) انظر همع الفوامع للسيوطي ١ : ٢٢١.

(٢) كتاب سيبويه ٣ : ٣٦٠ - ٣٦١.

(٣) انظر شرح شافية ابن الحاجب للرضي ٢ : ٦٨.

عليها بالتاء وكتابتها مجرورة ، فكأنها من بنية الكلمة. ويردُّ حذفها في الجمع كناء التانيث فيقال: بنات وأخوات دون بنات وأختات^(١).

وربما اعتبر يونس أنَّ لزوم تاء أخت ونحوها وصلاً ووقفاً جعل هذه التاء كأنها من بنية الكلمة ، فينسب إلى أخت على لفظها ، وإنما حذفت التاء في الجمع لأنها أشعرت بالتانيث.

هـ يقول سيبويه: (وتقول ما زيدٌ ذاهباً ولا محسنٌ زيدٌ ، الرفع أجود وإن كنت تريد الأول ، لأنك لو قلت: ما زيدٌ منطلقٌ زيدٌ لم يكن حدًّا الكلام ، وكان ههنا ضعيفاً ، ولم يكن كقولك: ما زيدٌ منطلقاً هو ، لأنك قد استغيت عن إظهاره وإنما ينبغي لك أن تضمه)^(٢).

يلاحظ أنَّ سيبويه اختار هذا المثال على إعمال ما في لغة أهل الحجاز ، لأنه يريد أن يبين من خلال ذلك وجوه إعادة المظهر بلفظه أو الاستغناء عنه بضميره.

فالوجه في هذا المثال رفع محسن ، فهذا يُسوِّغ إعادة زيد بلفظه قصدت به الأول أو لم تقصد. ومبني ذلك أنَّ جملة محسن زيدٌ - المشتملة على وصف وفاعله جملة مستقلة عن الأولى ، وإعادة الاسم الظاهر بلفظه في جملة ثانية سائغ ومقبول.

ولا يحسن أن تقول: ما زيدٌ ذاهباً ولا محسناً زيدٌ ، لأنَّ محسناً في هذه الحال تابع لما قبله .. فالكلام جملة واحدة ولا يحسن حينئذٍ إعادة الاسم الظاهر بلفظه. والوجه أن تستغني عنه بضميره فتقول: ولا محسناً هو ، كما تقول: ما زيدٌ منطلقاً هو.

وإنما استحسِن سيبويه إعادة الظاهر في جملة ثانية مستقلة عن الأولى دفعاً للتوهم ، لأنك إذا أضمرت فقلت: زيدٌ ضربته وهو أهنته فربما توهم المخاطب أن المهان شخص آخر غير المضروب.

(١) حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ٢: ١٧٤ وانظر حاشية الصبان على شرح الأشموني ٤: ١٩٤.

(٢) كتاب سيبويه ١: ٦٢.

أما الإضمار في الجملة الواحدة فلا يُتوهم فيه ذلك ، لأنك إذا قلت: زيدٌ أكرمته
انصرف الكلام إلى زيد ، لأنه لا يُقال: زيدٌ أكرمتُ عمراً^(١).

فالضمير في الجملة الواحدة على بابهِ في الإغناء عن إعادة الاسم الظاهر بلفظه
اختصاراً للكلام. وهذا كله يُؤكِّد اعتناء سيويه بالمعنى وربط الإعراب باستقامة
الأسلوب دفعاً للالتباس بين المعاني. ولم يجز سيويه إعادة الظاهر موضع المضمرة إلا
في ضرورة الشعر كقول سواد بن عدي:

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْئٌ نَغَّصَ الْمَوْتَ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَ^(٢)

٦- يقول سيويه: (ومما يبطل القلب قوله: زيدٌ أخو عبد الله مجنونٌ به ، إذا
جعلت الأخ صفةً والجنون من زيد بأخيه ، لأنه لا يستقيم: زيدٌ مجنونٌ به أخو عبد
الله)^(٣).

هذا المثال يُؤكِّد عناية سيويه بالمعنى ، وأنَّ القياس الصحيح يجب أن يكون
مقترناً بصحة المعنى واستقامته. وقد نبه سيويه إلى بعض الأقيسة الفاسدة التي أجازها
بعض النحويين في عصره دون أن يكون لهم في ذلك سند قوي يُعتمد عليه.

ومن هذه الأقيسة الفاسدة القلب ، فقد ادَّعوا أنَّ الصفة الثانية إذا لم يجز قلبها –
أي وضعها مكان الصفة الأولى مع استقامة المعنى – وجب نصبها. ومثال ذلك أن
تقول: مررت برجلٍ حسنٍ الوجهِ جميله ، بنصب جميل على مذهبهم ، وذلك
لاستحالة القلب إذا قلت: مررت بجميلة حسن الوجه^(٤).

وقد بين سيويه فساد هذا المذهب ورَجْحَ حُجَّةِ الْقَائِلِينَ بِهِ ، وذلك أنك إذا
قلت: زيدٌ أخو عبد الله مجنونٌ به ، لزم على مذهب أصحاب القلب أن يُقال: مجنوناً

(١) انظر شرح الشواهد للشنتمري في طبعة بولاق لكتاب سيويه ١: ٣٠.

(٢) انظر كتاب سيويه ١: ٦٢.

(٣) كتاب سيويه ٢: ٥٢.

(٤) انظر التعليقة على كتاب سيويه لأبي علي الفارسي ج١ ، تحقيق د. عوض بن حمد القوزي ط/١ مطبعة
الأمانة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م القاهرة ص ٢٤٨ - ٢٥٠.

به بالنصب ، لأنَّ القلب في هذا المثال يغيّر المعنى المراد إذا قلت: زيدٌ مجنونٌ به أخو عبد الله. فإن نصبوا على مذهبهم لزمهم نصب خبر المبتدأ وهذا لا يجوز.

٧- يقول سيبويه في باب الأفعال التي تُستعمل وتُلغى: (فإذا ابتدأ كلامه على ما في نيته من الشكّ أعمل الفعل قَدَم أو أَخَّر كما قال: زيداً رأيتُ ، ورأيتُ زيداً. وكلّما طال الكلام ضَعَف التأخير إذا أعملت ، وذلك قولك: زيداً أخاك أظنُّ. فهذا ضعيف كما يضعف زيداً قائماً ضربتُ لأنَّ الحدَّ أن يكون الفعل مبتدأ إذا عمل^(١). زيداً أخاك أظنُّ أسلوب ضعيف ، لأنَّ قياس الفعل إذا عَمِلَ أن يتصدر جملة ، ولهذا كان الإلغاء في هذا المثال ونحوه أحسن لتأخر الفعل عن المفعولين.

ولم يفت سيبويه أن ينبّه إلى أثر المتكلم في إعراب الجملة إذا قصد معنى بعينه كأن يبيّن كلامه على الشكّ ابتداءً ، فيعمل الفعل وإن تأخر نحو: زيداً أظنُّ ذاهباً ، إلا أن الإعمال يضعف إذا طال التأخير ، لأنّه جاء بالشكّ بعد أن مضى كلامه على اليقين.

فالقياص ليس آلة جامدة ، وإنما يُراعى فيه المعاني التي تتوارد في ذهن المتكلّم ، فيتغيّر الإعراب تبعاً لصحة هذه المعاني واستقامتها.

٨- يقول سيبويه: (وَمَنْ قَالَ: مررتُ برجلٍ أسدٍ أبوه ، قال: مررتُ برجلٍ مائةِ أبله. وزعم يونس أنه لم يسمعه من ثقة ، ولكنهم يقولون: هو نارٌ حمرة^(٢)).

ساغ الوصف بالجامد في المثالين - وإن كان على خلاف الأصل - لتأويله بالمشقّ ، كأنّه قال: شديد أبوه ، وكثيرة إبله. إلا أن يونس لم يسمع ذلك من ثقة ، ولكنه سمع العرب يخبرون بالجامد كقولهم: هو نارٌ حمرة.

(١) كتاب سيبويه ١: ١٢٠.

(٢) السابق نفسه ٢: ٢٩.

ومن هذا الباب عند سيبويه: مررتُ بجيَّةٍ ذراعٌ طولها ، ومررتُ برجلٍ مائةً إبله . فهذه يمكن أن تجري صفة . حكى سيبويه عن العرب: أخذ بنو فلانٍ من بني فلانٍ إبلاً مائةً ، على الرصف بالعدد ، ومنه قول الأعشى:

لَئِنْ كُنْتَ فِي جُوبٍ ثَمَانِينَ قَامَةً وَرَقَيْتَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلْمٍ
كَأَنَّهُ قَالَ: فِي جُوبٍ طَوِيلٍ أَوْ عَمِيقٍ . والمختار في هذا كله الرفع^(١)

٩- يقول سيبويه: (فإن قلت ضُربَ زيدٌ اليَدُ والرجلُ ، جاز على أن يكون بدلاً ، وأن يكون توكيداً . وإن نصبته لم يحسن ، لأنَّ الفعل إنما أنفَذَ في هذه الأسماء خاصة إلى المنصوب إذا حُذِفَ منه حرف الجرِّ ، إلا أن تسمع العرب تقول في غيره . وقد سمعناهم يقولون: مَطَرْتُهُمْ ظَهراً وبطناً)^(٢) .

في هذا النصِّ دليل على أنَّ للقياس حدوداً لا يتخطاها . فالعرب لم تنصب في غير السهل والجبل والظهر والبطن ، وفي غير ذلك رفعوا على البدل أو التوكيد الدال على الشمول^(٣) .

١٠- أكلوني البراغيث لغة تنسب إلى بني الحرث بن كعب^(٤) . وقد حكاه سيبويه نقلاً عن شيخه الخليل في مواضع من كتابه بعبارة أكلوني البراغيث^(٥) . وفي موضع آخر مثل لها سيبويه بقوله: (واعلم أنَّ من العرب مَنْ يقول: ضربوني قومك ، وضرباني أخواك ، فشبهوا هذا بالناء التي يظهرونها في قالت فلانة ، وكأنَّهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة ، كما جعلوا للمؤنث علامة ، وهي قليلة . قال الشاعر وهو الفرزدق:

(١) انظر كتاب سيبويه ٢: ٢٨ والبيت من شواهد.

(٢) السابق نفسه ١: ١٦٠ .

(٣) انظر السابق نفسه ١: ١٥٨ - ١٥٩ .

(٤) انظر شرح ابن عقيل على الألفية ٢: ٨٠ وحاشية الخضري ١: ١٦١ .

(٥) انظر كتاب سيبويه ١: ١٩ ، ٢٠ ، ٧٨ ، ٢: ٤١ .

ولكن دِيَافِيٌّ أَبُوهُ وَأُمُّهُ بِحُورَانَ يَعْصِرُونَ السَّلِيْطَ أَقَارِبُهُ^(١)
والشاهد في هذه اللغة إلحاق علامة التثنية أو الجمع بالفعل المسند إلى فاعله
الظاهر. وهي - كما قال سيويه - لغة قليلة.

وإذا كان بعض العلماء قد نسب هذه اللغة إلى بني الحرث بن كعب ، فإنَّ بعض
شواهدها في كتب النحو لشعراء لا ينتمون إلى هذه القبيلة ، كالفرزدق في شاهد
سيويه ، وعبد الله بن قيس الرقيّات في قوله:

تَوَلَّى قِتَالِ المَارِقَيْنِ بِنَفْسِهِ وَقدَ أَسْلَمَاهُ مُبْعَدًا وَحَمِيمًا^(٢)

وربما تكون هذه اللغة - بحسب التعليل الذي ذكره سيويه - من اللهجات العربية
القديمة التي بقيت آثارها في بعض القبائل العربية كبني الحرث بن كعب. ولكن لا
يُسَلَّمُ أَنَّ كُلَّ مَنْ تَكَلَّمَ بهذا الأسلوب مِن القبائل الأخرى قصد أن يلحق علامة
التثنية أو الجمع باعتبارها علامات للفاعل الظاهر. يُؤيِّد هذا أَنَّ بعض النحويين ذهب
إلى أَنَّ الألف والواو والنون في هذه اللغة ضمائر ، وَأَنَّ ما بعدها بدل منها. ونُسبت
بهذا التحريك إلى طيء وأزد شنوءة^(٣).

وقد ذهب سيويه إلى هذا التحريك فقال: (وَأَمَّا قَوْلُهُ جَلًّا ثَاوَهُ: ﴿وَأَسْرُوا

النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾^(٤). فَإِنَّمَا يَجِيءُ عَلَى البَدَلِ ، وَكَأَنَّهُ قَالَ: انْطَلَقُوا فَعَقِلَ
لَهُ: مَنْ ؟ فَقَالَ: بَنُو فَلانٍ^(٥).

فالآية عند سيويه ليست من هذه اللغة القليلة ، لَأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى مُنْزَهُ مِنْ
كُلِّ نَقْصٍ. وَلِهَذَا حَمَلَهَا عَلَى الكَثِيرِ الشَّائِعِ.

(١) كتاب سيويه ٢ : ٤٠

(٢) انظر الشاهد في شرح ابن عقيل ٢ : ٨١.

(٣) انظر همع الموامع للسيوطي ١ : ١٦٠.

(٤) الأنبياء: ٣.

(٥) كتاب سيويه ٢ : ٤١.

ويمكن أن يُفسَّر بيتُ الفرزدق على هذا المعنى أيضاً ، كأنّه حمل الأقارب على الجماعات ، ثمَّ أبدل الأقارب من الضمير . ونحو ذلك يمكن أن يقال في غيره من شواهد المسألة .

وقد تكون القلة التي وُصِفَتْ بها هذه اللغة نسبية بالقياس إلى أفراد الفعل المسند إلى الفاعل الظاهر المثني أو المجموع . وهذا هو الاستعمال الكثير الشائع . فهذه نماذج من كتاب سيبويه تدلُّ على أنَّ النحويين المتقدمين - وبخاصة سيبويه - لم يخلطوا بين مستويات الأداء اللغويِّ ، وإنَّما كان لهم منهج واضح في تصنيف لغات العرب والحكم عليها تبعاً للاستعمال الشائع والسماع الموثوق به .

والقياس على الكثير الشائع منهج سليم في تعلُّم اللغة ، واحتذاء نماذجها وأساليبها الفصيحة . ومع ذلك لم يهمل المتقدمون من اللغويين والنحويين اللغات الأخرى القليلة ، فالتمسوا لها العللَ والوجوه ، وميّزوا بين التراكيب والأساليب ، ونهَّجوا إلى القويِّ منها والضعيف . واخطأوا بذلك منهجاً فريداً في القياس له قواعده وأحكامه .

وإذا كان سيبويه أو شيوخه قد شدَّدوا في القياس والسماع ، فذلك لأنَّ اللغة ما لم تُحط بسياج منيع تسرَّب إليها التحريف والضعف على مرِّ الحقب والأجيال . وسيؤكِّد الفصل التالي - بإذن الله - أنَّ سيبويه نجح في إنشاء أمثلة حيَّة قدَّمت من خلالها دراسة وافية للتراكيب والأساليب ، ولم يكن همُّه الوحيد ملاحقة الحركة الإعرابية ، وإنَّما نظر إلى الأساليب نظرة شاملة من حيث القوَّة والضعف ، والحسن والقبح ، مهتماً بأثر المتكلم في إعراب الجملة تبعاً لصحة المعنى واستقامته .

كما عُنِيَ سيبويه بأجزاء التراكيب باعتبارها وحدات مترابطة ، وأنَّ الكلمة عنصر من عناصر التركيب تتوارد عليها معاني الإعراب تبعاً لوضعها في الجملة ، وأنَّ تألف الأجزاء شكلاً ومعنى يتأثر بالمضمون الذي يريد المتكلم أن يعبر عنه .

الفصل الثاني:

- أساليب الجملة وتصحيح المعنى من خلال أمثلة سيويه غير المروية:
المبحث الأول: الجملة في اصطلاح النحويين وموقف الباحثين المعاصرين من ذلك.
المبحث الثاني: أمثلة الجملة الاسمية ونماذج من نواسخها
المبحث الثالث: أمثلة الفعل اللازم والمتعدي
المبحث الرابع: نماذج من أمثلة التنازع والاشتغال
المبحث الخامس: نماذج من أمثلة التوابع
المبحث السادس: عناية سيويه بالمعنى وأثر ذلك في تطور علوم البلاغة

المبحث الأول: الجملة في اصطلاح النحويين وموقف الباحثين المعاصرين من ذلك، مهّد سيبويه للجملة بالكلام على المسند والمسند إليه (وهما ما لا يُعني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بُدأً، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه. وهو قولك: عبدُ الله أخوك، وهذا أخوك. ومثل ذلك: يذهبُ عبدُ الله. فلا بدُّ للفعل من الاسم، كما لم يكن للاسم الأولُ بدُّ من الآخر في الابتداء^(١)).

حدّد سيبويه أركان الجملة وأنواعها. فالجملة لا بُدُّ فيها من مسند ومسند إليه. وبهذا الإسناد تتكوّن الجملة الاسميّة والجملة الفعلية. فالفعل لا يستغني عن الاسم كقولك: يذهبُ عبدُ الله. أمّا الاسم فقد يستغني عن الفعل نحو: الله إلهنا، وعبدُ الله أخونا^(٢).

وتقسيم سيبويه الجملة إلى اسميّة وفعلية باعتبار قرينة الإسناد فتح المجال أمام النحويين من بعده إلى تعريف الجملة والموازاة بينها وبين الكلام.

ومن الإشارات المبكرة إلى تعريف الجملة قول المرّدد في تعليل رفع الفاعل: (وإنّما كان الفاعل رفعاً لأنّه هو والفعل جملة يحسن عليها السكوت، وتجب بها الفائدة للمخاطب، فالفاعل والفعل بمنزلة الابتداء والخبر إذا قلت: قام زيدٌ، بمنزلة: قولك: القائمُ زيدٌ^(٣)).

والمرّدد لا يخرج عن الحدّ الذي رسمه سيبويه لتأليف الجملة، غير أنّه يضيف أنّ هذا الإسناد يتمُّ به المعنى، لأنّه جملة يحسن السكوت عليها وتجب بها الفائدة للمخاطب. وهذا المعنى مُضمّن في قول سيبويه: (وهما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بُدأً^(٤)).

(١) كتاب سيبويه ١: ٢٣.

(٢) انظر كتاب سيبويه ١: ٢١.

(٣) المقتضب للمرّدد ١: ٨.

(٤) كتاب سيبويه ١: ٢٣.

وقد عُنيَ بالكثير من النحويين بتعريف الكلام. وهو عند بعضهم مرادف للجملة. فالكلام عند ابن جني: (كُلُّ لفظٍ مستقلٌ بنفسه ، مفيدٌ لمعناه ، وهو الذي يسمّيه النحويون الجملة)^(١).

ويقول عبد القاهر الجرجاني: (إذا اتلف اثنان فأفادا نحو خرج زيدُ سُميَ كلاماً وسمي جملة)^(٢).

فابن جني والجرجاني يذهبان إلى أنّ الكلام يرادف الجملة. وهذا نقيض ما ذهب إليه ابن هشام الأنصاري ، لأنّه يرى أنّ الكلام لا يرادف الجملة خلافاً لما توهمه كثير من الناس على حدّ تعبيره. والكلام عنده: القول المفيد بالقصد. والجملة عبارة عن الفعل والفاعل ، والمتبداً والخبر وما كان بمنزلة أحدهما. فالجملة أعمّ من الكلام لتخصيصه بالفائدة. وقد تطلق الجملة على غير المفيد في ذاته كقولهم جملة الشرط وجملة الجواب ، وجملة الصّلة^(٣).

وقد سبق إلى هذه التفرقة رضي الدين الاسترأبادي (ت ٦٨٦هـ) فقد حدّ الجملة بأنّها ماتضمن الإسناد الأصليّ وكانت مقصوداً لذاتها أو لا. والكلام ماتضمن الإسناد الأصليّ وكان مقصوداً لذاته^(٤).

أمّا من حيث تقسيم الجملة إلى اسمية وفعلية فقد ذهب الزمخشريّ إلى إضافة قسمين آخرين ، هما: الجملة الشرطية ، والجملة الظرفية. غير أنّ شارح المفصل - ابن يعيش - لم يرتضِ هذه القسمة اللفظية ، واعتبر بما زاده الزمخشريّ لا يخرج عن نطاق التقسيم الثنائي للجملة^(٥).

(١) الخصائص لابن جني ١: ١٧ واقتبس ابن يعيش هذا التعريف. انظر شرح المفصل لابن يعيش ج ١ ط/١٩٣٠م القاهرة ص ٢٠.

(٢) الجمل لعبد القاهر الجرجاني تحقيق على حيدر ط/٩٧٢م دمشق ص ٤٠.

(٣) انظر معني البيب لابن هشام ص ٤٩٠.

(٤) انظر شرح الكافية للرضي ج ١ طبع دار الكتب العلمية بيروت ص ٨.

(٥) انظر شرح المفصل لابن يعيش ١: ٨٨ - ٨٩.

والقسم الثالث من أقسام الجملة عند ابن هشام هو الجملة الظرفية (المصدرية
بظرف أو مجرور نحو أعنذك زيداً ، وأفي الدار زيداً إذا قدرت زيدا فاعلاً بالظرف
والجار والمجرور لا بالاستقرار المحذوف ، ولا مبتدأ مخبراً عنه بهما)^(١).

بنى ابن هشام كلامه على أنّ العامل هو عين الظرف والجار والمجرور لا
الاستقرار المحذوف أو الابتداء ، لأنّ زيدا إذا أعرب مبتدأ تقدّم عليه خبره ، أو فاعلاً
أغنى عن الخبر فالجملة اسمية.

وقد يلزم على مذهبه أن يقال في نحو: أقائم الزيدان إنّه جملة وصفية ، لأنّ قائماً
وصف. وقد ذهب إلى هذا بعض الباحثين المعاصرين^(٢).

وفكرة توسيع أقسام الجملة قديمة. فقد ذهب أبو بكر بن السراج (ت ٣١٦هـ)
إلى أنّ نحو: زيداً في الدار تركيب مستقل. واستحسن تلميذه أبو علي الفارسي (ت
٣٧٧هـ) هذا المذهب ، لأنّ له حكماً يميّزه عن أصله وذلك قولك: إنّ في الدار
زيداً. فالمضمّر لا يخلو من أن يكون اسماً (مستقرّاً) أو فعلاً (استقرّاً) فإن كان فعلاً لم
يجز دخوله إنّ عليه إلّا في الاضطرار. وإن كان اسماً لم يجز أن تنخطاه إنّ فتعمل فيما
بعده. فإذا ثبت أنّه ليس فعلاً ولا اسماً دلّ على أنّ هذا التركيب نوع غير ما تقدّم^(٣).

وينبغي أن يُلاحظ أنّ هذا الاستقلال شكليّ ، لأنّ أصله - كما يرى الفارسي -
أن يكون في حيّز الفعل والاسم ، أو الاسم والاسم^(٤).

(١) مغني اللبيب لابن هشام ص ٤٩٢.

(٢) انظر العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث د. محمد حماسة عبد اللطيف (بدون إشارة لتاريخ الطبع
أو مكانه) ص ٨٤.

(٣) انظر المسائل العسكرية لأبي علي الفارسي ، تحقيق إسماعيل أحمد عمارة - منشورات الجامعة الأردنية
١٩٨١ م ص ٤٢ - ٤٣.

(٤) انظر المسائل العسكرية لأبي علي الفارسي ص ٤٢.

أما الباحثون المعاصرون فقد نظروا إلى هذا التقسيم من ناحيتين:

الأولى: تقسيم النحويين الكلمة إلى اسم وفعل وحرف. وهو التقسيم الذي اعتمده سيبويه ومن جاء بعده من النحويين على وجه العموم.

والثانية: تقسيم الجملة إلى اسمية وفعلية باعتبار الإسناد.

ودليل النحويين على حصر أقسام الكلمة في الاسم والفعل والحرف الاستقراء والقسمة العقلية. فقد تتبع النحويون كلام العرب فلم يجدوه يخرج عن هذه الأقسام ، حتى إن الزجاجي طالب من يدعي قسماً رابعاً أن يأتي به^(١).

والقسمة العقلية تقتضي أن تكون الأقسام ثلاثة ، لأن الكلمة إما أن تدلّ على معنى في نفسها أو لا ، فإن دلت على معنى في نفسها مقترنة بزمن فهي فعل ، وإن لم تقترن به فهي اسم. وإن لم تدلّ على معنى في نفسها فهي حرف^(٢).

وقد زاد بعض النحويين قسماً رابعاً سماه الخالفة ، والمقصود أسماء الأفعال. وهي أسماء قامت مقام الأفعال عند البصريين ، وأفعال عند الكوفيين لدلالاتها على الحدث والزمان^(٣).

وقد وجد تقسيم الكلمة إلى ثلاثة أقسام نقداً من بعض الباحثين المعاصرين ، لأن هذا التقسيم - في رأيهم - لا يشمل كل أنواع الكلمة ، ومن ثمّ دعوا إلى تقسيم جديد يستوعب كل الأنواع^(٤).

(١) انظر الإيضاح في علل النحو للزجاجي ، تحقيق د. مازن المبارك دار العروبة ١٩٥٩ مصر ص ٤٣.

(٢) انظر همع النواع للسيوطي ١ : ٤.

(٣) انظر السابق نفسه ٢ : ١٠٥.

(٤) انظر آراء وأحاديث في اللغة والأدب لمساطع الحصري ، دار العلم للملايين - بيروت ص ١٠١.

وقد انتهى الدكتور تمام حسان إلى تقسيم الكلمة إلى سبعة أقسام هي: الاسم ، والصفة ، والفعل ، والضمير ، والخوالف ، والظروف ، والأداة. وبين ما يندرج تحت كل قسم من هذه الأقسام. فالاسم مثلاً يشمل الاسم المعين ، والمصادر وأسماء الزمان والمكان والآلة. والخوالف تشمل أسماء الأفعال ، والأصوات ، وصيغتي التعجب ، وأفعال المدح والذم^(١).

وقد أدى هذا التصور إلى التفكير في تقسيم جديد للجملة. ومن ثم اقترح الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف أن تقسم الجملة العربية إلى ثلاثة أقسام هي:

أ. الجمل التامة ، وهي الجمل الإسنادية ، وتشمل الجمل الاسمية والفعلية والوصفية. والإسناد فيها جميعاً مقصود لذاته.

ب. الجمل المرجزة ، والمقصود بذلك الجمل ذات الطرف الواحد ، وليس المراد إيجاز الحذف اختصاراً بدليل.

ج. الجمل غير الإسنادية ، والمقصود الجمل الإفصاحية أي التي تكون في أول أمرها تعبيراً انفعالياً عن التعجب أو المدح أو الذم وغير ذلك من المعاني التي أخذ التعبير عنها صورة محفوظة (جامدة)^(٢).

هذا ملخص الشكل العام للتصور الذي اقترحه الدكتور حماسة ، وقد بذل فيه جهداً مقدراً مستفيداً من تجارب ودراسات بعض العلماء المعاصرين مثل الدكتور تمام حسان وغيره. وسأشير إلى بعض تفاصيل هذا التصور متى كان ذلك ضرورياً. وهذه بعض الملاحظات حول هذا التقسيم المقترح:

(١) انظر اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٣ القاهرة ص ٨٦ وما بعدها.

(٢) انظر تفاصيل هذا المقترح في: العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث د. محمد حماسة ص ٧٨ - ١١٠.

١- قوله: (إنَّ النحاة الأول كسيويه والمبرد وغيرهما ينظرون إلى (كان) على أنّها أداة تفيد الزمن وليست فعلاً تامّ الفعلية)^(١).

ما نسبه إلى سيويه غير دقيق ، لأنّ سيويه ذكر أنّ (كان) إذا دخلت على جملة المبتدأ والخبر دلّت على أنّ الخبر فيما مضى ، ولم يقل إنّها أداة ، وإنما صرّح أنّها في التعدي مثل ضرب ، تقول كناههم كما تقول ضربناهم^(٢).

٢- يميل الدكتور حماسة إلى أنّ الخبر مفرد في نحو: الوردُ لونه جميلٌ ، باعتبار أنّ لونه بدل من الورد. فهذا - في رأيه - يعفينا من مشقّة الإعراب المحليّ فضلاً عن التعقيد في الإعراب^(٣).

وقد صنّف الدكتور حماسة هذا المثال في قائمة الجمل التامة (الإسنادية) التي يكون الإسناد فيها مقصوداً لذاته ويلزم فيها تضام عنصرَي الإسناد^(٤).

وتبعاً للإعراب الذي اقترحه فالمسند إليه الورد ، والمسند الجمال. وينبغي على هذا أن يكون معنى: الوردُ لونه جميلٌ مساوياً لمعنى: الوردُ جميلٌ. وهذا لا يستقيم.

٣- اعتبر الدكتور حماسة الوصف مع مرفوعة جملة مستقلة وسمّاها الجملة الوصفية ، ومثّل لها بنحو: أناجحُ أخواك ، وما حاضرٌ أنتم، وما محبوبٌ الخائنون. وذكر أنّ النحاة ينظرون إليها على أنّها تتألّف من مبتدأ وفاعل (أو نائب فاعل) وكلاهما مسند إليه^(٥).

(١) انظر العلامة الإعرابية للدكتور حماسة ص ٣٥.

(٢) انظر كتاب سيويه ١: ٤٥ - ٤٦.

(٣) انظر العلامة الإعرابية للدكتور حماسة ص ٨٢.

(٤) انظر السابق نفسه ٧٩.

(٥) انظر العلامة الإعرابية للدكتور حماسة ص ٨٢.

والحقّ أنّ أكثر النحويّين ذهبوا إلى أنّ المرفوع في هذا الأسلوب مغن عن الخبر ، لأنّ هذا الأسلوب شبيه بإفراد الفعل مع فاعله الظاهر المثني أو المجموع. والمعنى يؤيد إسناد النجاح في مثاله إلى الأخوين. ولم يعربوا الوصف خيراً لعدم التطابق ، وليس هناك سبيل إلى إعراب ناجح فعلاً ، فلم يبق بعد ذلك إلا إعراب المرفوع فاعلاً أو نائب فاعل أغنى عن الخبر.

وقد ذهب بعض النحويّين إلى أنّ الخبر في هذه الصورة محذوف. وأنكر الرضي هذا المذهب ، لأنّ هذا المبتدأ لا خير له أصلاً ، وإنّما تمّ بمرفوعه كلاماً من بين جميع اسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة^(١).

٤- فرغ الدكتور حماسة بعض الجمل من الإسناد وسمّاهما الجمل غير الإسنادية. ومن ذلك جملة الخالفة (اسم الفعل) نحو: هيهات العقيقُ ، واقترح أن يعرب اسم الفعل خالفة وما بعده ضميمة للخالفة مرفوع. وعلى هذا النسق يجري إعراب بقية الأنواع مع مراعاة معنى الخالفة التي قد تكون للتعجب أو المدح أو الذمّ ونحو ذلك^(٢).

والإعراب الذي ذكره سهل ويسير ، ولكن يشكل عليه أن الإسناد في بعض هذه الصيغ نحو: هيهات العقيقُ ظاهر من المعنى ولا مبرّر لأنّ نفرّق بين: بُعد العقيقُ ، وهيهات العقيقُ والمعنى واحد.

(١) انظر شرح الكافية للرضي ١ : ٨٦.

(٢) انظر العلامة الإعرابية للدكتور حماسة ص ٩٧ - ١١٠.

٥- يرى الدكتور حماسة أنَّ الجملة الندائية مستقلة بنفسها^(١). وقريب من هذا ما نقله السيوطي عن أبي عليّ الفارسيّ من أنَّ (الاسم مع الحرف يكون كلاماً في النداء نحو: يا زيد)^(٢).

والحقُّ أنَّ ما نقله السيوطي لا يعبرُ تماماً عن رأي أبي عليّ الفارسيّ. وقد رجعتُ إلى بعض كتبه فوجدته يقول: (فأما قولهم في النداء: يا زيدُ ، واستقلال هذا الكلام مع أنه مؤتلف من اسم وحرف ، فذلك لأنَّ الفعل هاهنا مراد عندهم. يدلُّك على ذلك حكاية سيويه يا إِيَّاكَ)^(٣).

ومضمون هذا النصُّ أنَّ يا زيدُ ونحوه كلام تامّ مستقل مع أنه مؤتلف من اسم وحرف في الظاهر ، ولكنه في حقيقة الأمر مؤتلف من فعل مضمّر واسم. والدليل على ذلك حكاية سيويه: يا إِيَّاكَ. وإِيَّاكَ من ضمائر النصب ولا يجوز أن يكون العامل فيها حرفاً يشبه الفعل نحو إنَّ وما ، لأنَّ هذه الحروف لا تعمل مضمرة. ولا يجوز أن يكون إِيَّاكَ منصوباً على التمييز لأنَّه معرفة ، فثبت أنَّ العامل في إِيَّاكَ فعل مضمّر^(٤).

وبهذا يظهر أنَّ أبا عليّ الفارسيّ لم يذهب إلى معنى الاستقلال الذي يعنيه الدكتور حماسة ، وإنما تابع سيويه واحتجَّ بحكايته عن العرب.

(١) انظر العلامة الإعرابية للدكتور حماسة ص ١٠٧.

(٢) همع الهوامع للسيوطي ١: ١٢.

(٣) المسائل العسكرية لأبي عليّ الفارسي ص ٤٤ وانظر حكاية سيويه: يا إِيَّاكَ في الكتاب ١: ٢٩١.

(٤) انظر السابق نفسه ٤٤ - ٤٥.

المبحث الثاني: أمثلة الجملة الاسمية وغاذج من نواسخها:

١-الابتداء بالمعرفة:

الأصل أن يكون المبتدأ معرفة ، ولهذا استقبح الخليل: قائمٌ زيدٌ ، إذا اعتبرت قائماً مبتدأ خبره زيد. فإذا جعلت قائماً خبراً مقدماً فهذا عربيٌّ جيّدٌ كقولهم تميميٌّ أنا^(١).

وقياساً على هذا الأصل لم يجز سيبويه: كان حليمٌ زيداً ، ويُنَّ ما يميّز هذا الأسلوب عن قولك: ضَرَبَ رجلٌ زيداً. فهذا إنّما جاز لأنَّ الفاعل والمفعول يقوم كلُّ منهما بنفسه ، والمبتدأ والخبر مرتبطان في المعنى كأنَّهما شيءٌ واحد^(٢).

٢- مسوغات الابتداء بالنكرة:

مجيئ المبتدأ نكرة على خلاف الأصل ، لأنك إذا قلت: (كان رجلٌ ذاهباً فليس في هذا شيءٌ تعلمه كان جهله ، ولو قلت: كان رجلٌ من آلِ فلانٍ فارساً حسنٌ ، لأنَّه قد يحتاج إلى أن تعلمه أنّ ذلك في آلِ فلانٍ وقد يجهله. ولو قلت: كان رجلٌ في قومٍ عاقلاً ، لم يحسن ، لأنَّه لا يُستنكر أن يكون في الدنيا عاقلٌ وأن يكون من قوم)^(٣).

بهذا النصُّ حدُّ د سيبويه الضابط العام لمسوّغ الابتداء بالنكرة ، وهو أن تكون النكرة مفيدة ، وهذا يقربها من المعرفة.

(١) انظر كتاب سيبويه ٢: ١٢٧.

(٢) انظر السابق نفسه ١: ٤٧ - ٤٨.

(٣) انظر السابق نفسه ١: ٥٤.

أما المتأخرون من النحويين فقد رأوا أن يفصلوا الضابط العام الذي أجمله سيبويه ، فتبعوا مواضع الفائدة حتى أنهاها بعضهم إلى نيف وثلاثين موضعاً^(١).

ولا شك أن في هذا شيئاً من المبالغة ، لأن أكثر هذه المواضع متفرّع عن بعضه أو داخل فيه.

ويُضاف إلى هذه المواضع النكرة المبدوء بها في بعض أمثال العرب كقولهم: أمت في الحجر لا فيك. فقد ذهب سيبويه إلى أن هذا إخبار محض ، مع أن معنى الدعاء فيه ظاهر^(٢). وعلى قوله فلا مسرغ للابتداء بالنكرة في هذه العبارة إلا أن يقال إن الأمثال تُحكى كما سُمعت^(٣).

٣- أساليب التقديم والتأخير في باب كان:

الأصل في هذا الباب أن يتقدّم الاسم ويتأخّر الخبر. وقد يتقدّم الخبر على الاسم نحو:

كان حليماً زيداً.

أسفياً كان زيداً أم حليماً.

أرجلاً كان زيداً أم صيباً^(٤).

فالاسم في هذه الأمثلة متأخّر ، ولم يؤثر تقديم الخبر في إعراب المعرفة اسماً لكان.

(١) انظر شرح ابن عقيل على الألفية ١ : ٢٢٧.

(٢) انظر كتاب سيبويه ١ : ٣٢٩.

(٣) انظر مع الفواعل للسيوطي ١ : ١٠١.

(٤) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيبويه ١ : ٤٧ - ٤٨.

وبعض العرب يجعلون النكرة في هذا الأسلوب مبتدأ ، وهذا ضعيف عند سيبويه لا يجوز إلا في الضرورة. وإنما حملهم على هذا أن كان فعل بمنزلة ضَرْبَ فإذا نصبوا المعرفة عَلِمَ أَنَّ الصفة (أي الخبر) لها^(١).

ومن شواهد سيبويه في ذلك قول الفرزدق:

أَسْكَرَانُ كَانَ ابْنُ الْمِرَاغَةِ إِذْ هَجَا تَمِيمًا يَجُوفِ الشَّامِ أَمَّ مُتَسَاكِرُ

وثبه سيبويه إلى أن الكثير في رواية البيت نصب سكران ورفع متساكر على القطع بتقدير: أم هو متساكر^(٢).

وذكر ابن النَّحَّاسِ أَنَّ رَفْعَ النِّكَرَةِ اسْمًا لِكَانَ لُغَةً بَنِي دَارِمٍ ، وَبَنِي نَهْشَلٍ . يَقُولُونَ : قَائِمٌ كَانَ عَبْدًا لِلَّهِ ، لِأَنَّ النِّكَرَةَ أَشَدُّ تَمَكُّنًا مِنَ الْمَعْرِفَةِ^(٣).

أما إذا كان الاسم والخبر معرفتين فمذهب سيبويه أن المتكلم بالخيار أيهما شاء جعله الاسم والآخر الخبر. ومن أمثلة ذلك:

كان أخوك زيداً.

كان زيدٌ صاحبك .

كان هذا زيداً.

كان المتكلمُ أخاك.

(١) انظر كتاب سيبويه ١ : ٤٨ .

(٢) انظر كتاب سيبويه ١ : ٤٩ .

(٣) انظر شرح أبيات سيبويه لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس ، تحقيق زهير غازي زائد ط / ١ ١٩٧٤م النصف ص ٤١ .

مَنْ كَانَ أَخَاكَ.

مَنْ كَانَ أَخَاكَ^(١).

وهذا مذهب يسير ترك سيبويه الخيار فيه للمتكلم بحسب القرائن والمقاصد المتعلقة بالمخبر عنه. وللنحويين في هذا الخيار مقال طويل لكنه لا يخرج كثيراً عن حدود ما أوجزه سيبويه^(٢).

وقد يستوي الاسم والخبر في التثنية والتعريف نحو:

ما كان أحداً مثلك.

ما كان أحداً خيراً منك.

ما كان أحداً مجترماً عليك^(٣).

ولهذا الأسلوب فائدة لأنك إذا قلت: ما كان أحداً مثلك ، نفيت أن يكون في مثل حاله شيء ، وقد يحتاج المخاطب أن تخبره بهذه الحقيقة.

ويوازن سيبويه بين هذا الأسلوب وبين قولك: كان رجلاً ذاهباً. فليس في هذا المثال فائدة للمخاطب ، لأنه لا يُستنكر أن يكون أحداً الرجال ذاهباً^(٤).

(١) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيبويه ١: ٥٠.

(٢) انظر همع الموامع للسيوطي ١: ١٠٠ - ١٠١.

(٣) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيبويه ١: ٥٤.

(٤) السابق نفسه ١: ٥٤.

٤- أسلوب ظنّ وأخواتها:

يُلاحظ أنّ سيبويه أقحم باب ظنّ وأخواتها في أثناء كلامه على مباحث الاشتغال. ورُتّباً يُفسّر ذلك على أساس أنّه نظر إلى بعض الخواص بين البابين. ومن ذلك ، قولك: زيدٌ أظنّه ذاهباً ، كما تقول: زيدٌ ضربته. ومَن قال: عبدُ الله ضربته ، قال: عبدُ الله أظنّه ذاهباً. وتقول: أظنُّ عمراً منطلقاً وبكراً أظنه خارجاً ، كما قلت: ضربت زيدا وعمراً كَلَمْتُهُ^(١).

فالأمثلة التي ذكرها سيبويه من صور الاشتغال ، ولا فرق في ذلك بين ظنّ وغيرها من الأفعال. إلا أنّ ظنّ وأخواتها من الأفعال التي تُستعمل وتُلغى. ومن أمثلة إعمال ظنّ وأخواتها:

أظنُّ زيدا منطلقاً.

زيداً أظنُّ أحاك.

عمراً زعمتُ أباك^(٢).

وقد تلغى ظنّ وأخواتها ، والإلغاء ترك العمل لفظاً ومعنى لا لمانع^{لفظاً} ، وحكمه الجواز^(٣). ومن أمثلة الإلغاء:

عبدُ الله أظنُّ ذاهباً.

هذا إخال أحوك.

(١) انظر كتاب سيبويه ١: ١١٩.

(٢) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيبويه ١: ١١٩.

(٣) انظر شرح ابن عقيل على الألفية ٢: ٤٥.

فيها أرى أبوك^(١).

ويقوى الإلغاء إذا تأخر الفعل نحو: زيدٌ أخوك أظنُّ. ويضعف: زيدا أخاك أظنُّ ، لأنَّ حدَّ الفعل إذا تصدرَّ جملته أن يعمل ، فإن تأخر ضَعْفَ عمله^(٢). ومع ذلك فقد ورد إهمال الفعل المتقدم كقول كعب بن زهير:

أَرْجُو وَأَمَلُ أَنْ تَدُنُو مَوَدَّتُهَا وَمَا إِحْصَالُ لَدَيْنَا مِنْكَ تَنْوِيلُ

وهذا جائز عند الكوفيين والأخفش ، ومنعه البصريون ، وتأولوا ما ورد منه على نية ضمير الشأن وهو المفعول الأول ، والجملة بعده في موضع المفعول الثاني^(٣).

وسيويبه يذهب إلى أنه على نية اللام. فقد قال في: (باب آخر من أبواب إن): (ومثل ذلك في الضعف: علمت إن زيدا ذاهبٌ ، كما أنه ضعيف: قد علمت عمروٌ خيرٌ منك ، ولكنَّه على إرادة اللام)^(٤).

يعني كأنه أراد: قد علمت عمروٌ خيرٌ منك ، فيكون الفعل قد عمل ولكنَّه علَّق عن التأثير اللفظي باللام. وقد علَّل الرضي لإهمال الفعل المتقدم بقوله: (وإنما جاز ذلك مع ضعفه لأنَّ أفعال القلوب ضعيفةٌ إذ ليس تأثيرها بظاهر كالعلاج ، وأيضاً معمولها في الحقيقة مضمون الجملة لا الجملة)^(٥).

يعني بالعلاج الأفعال المحسوسة نحو ضَرَبَ وَقَتَلَ ، فهذه الأفعال أقوى من أفعال القلوب التي تدلُّ على معان كالعلم والظنُّ.

(١) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيويبه ١: ١١٩.

(٢) انظر كتاب سيويبه ١: ١٢٠.

(٣) انظر شرح الأشموني ٢: ٢٨ - ٢٩ وجمع الفواعل ١: ١٥٣.

(٤) كتاب سيويبه ٣: ١٥١.

(٥) شرح الكافية للرضي ج ٢ طبع دار الكتب العلمية بيروت ص ٢٨٠.

وأفعال القلوب - كما يرى الرضي - لا تتعدى في الحقيقة إلا إلى مفعول واحد وهو مضمون الجز الثاني مضافاً إلى الأول. فإذا قلت: علمتُ زيداً قائماً ، فالمعنى علمتُ قيامَ زيدٍ ، وإنما نصبهما الفعل معاً لأنه تَعَلَّقَ بمضمونيهما مجتمعين ، فكأنهما كلمة واحدة مع أنَّهما في الأصل مبتدأ وخبر^(١).

وأرى أنَّ مذهب الرضي قويٌّ ومقنع ، لأنَّ تقدير اللام - كما يرى سيويوه - أو ضمير الشأن كما ذهب إليه الجمهور تحكُّم في النصِّ من غير دليل يُثبِتُ أنَّ المتكلم نوى هذا الحذف. ولو اكتفوا بأنَّها لغة قليلة لكان أمثل.

أما الظاهرةُ الثانية التي تَعَلَّقَ بأفعال القلوب المتصرِّفة فهي التعليق ، ومعناه ترك عمل الفعل في المفعولين أو أحدهما لفظاً دون معنىٍ لمانع ، وحكمة الوجوب^(٢).

والكلام على الإلغاء والتعليق مُتَّصِلٌ في معظم كتب النحو المتأخِّرة. غير أنَّ سيويوه لم يتكلم على التعليق إلا بعد أربعة عشر باباً من كلامه على الأفعال التي تُستعمل وتُلغى. وعنوان هذا المبحث في كتاب سيويوه: (هذا باب ما لا يعمل فيه ما قبله من الفعل الذي يتعدى إلى المفعول ولا غيره)^(٣).

وقد يرجع فصل هذا المبحث عن الإلغاء إلى أنَّ موجب التعليق وجود مانع يحول دون العمل الظاهر في لفظ المفعولين أو أحدهما. ومن المناسب أن يذكر سيويوه هذا المبحث بعد أبواب شبيهة بالتعليق من حيث وجود مانع مثل: (باب صار الفاعل فيه بمنزلة الذي فعل في المعنى وما يعمل فيه. وذلك قولك: هذا الضاربُ زيداً)^(٤).

(١) انظر شرح الكافية للرضي ١: ١٢٧.

(٢) انظر شرح ابن عقيل ٢: ٤٤ - ٤٥.

(٣) كتاب سيويوه ١: ٢٣٥.

(٤) السابق نفسه ١: ١٨١.

فالآلف واللام منعنا الإضافة ، ومثل ذلك إثبات النون في نحو: هم الطيبون
الأخبار ، فإن كفت النون جررت نحو: هم الطيبو أخبار ، وإن شئت نصبت على
رنية النون (١).

فهذه كلها موانع ، ولا بأس أن يذكر سيبويه بعد ذلك موانع أخرى كاللام
وأداة الاستفهام. ومن أمثلة التعليق في كتاب سيبويه:

قد علمتُ أعبدُ اللهَ ثمَّ أمَّ زيدٍ.

قد عرفتُ أبوَ مَنْ زيدٍ.

قد عرفتُ أيُّهم أبوه.

أما ترى أيُّ برق هاهنا.

ليت شعري أعبدُ اللهَ ثمَّ أمَّ زيدٍ.

قد علمتُ لعبدُ الله خيرٌ منك (٢).

ويلاحظ أن سيبويه اقتصر هنا على الاستفهام واللام لأنهما أكثر المعلقات
استعمالاً. ومن المعلقات إن النافية ، وما ولا النافيتان في جواب قسم ملفوظ به أو
مقدّر ، ولعل عند أبي عليّ الفارسي ، ولام القسم عند ابن مالك وغيره (٣).

وظاهر مذهب سيبويه أن نحو: لقد علمتُ ليقومَنَّ زيدٌ ليس من باب التعليق ،
لأن علم خرجت من بابها إلى معنى القسم كأنه قال: والله ليقومَنَّ زيدٌ ، فلا تقتضي

(١) انظر كتاب سيبويه: ١: ٢٠١-٢٠٢.

(٢) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيبويه ١: ٢٣٦.

(٣) انظر شرح الأشموني ٢: ٣٠ وهمع الموامع ١: ١٥٤.

علم معمولاً ، لأنَّ الجملة جواب القسم لا محل لها من الإعراب. وبهذا المعنى فسَّر قول لييد:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَتَأْتِيَنَّ مِنِّيَّ إِنَّ الْمَنَايَا لَا تَطِيْشُ سِهَامُهَا^(١)

ويلاحظ أنَّ سيويه عرض نماذج مختلفة للاستفهام منها المثال الثاني: قد عَرَفْتُ أبو مَنْ زَيْدٌ ، وإنما عُلِّقَ الفعل عن العمل الظاهريِّ في لفظ الأب لأنَّه مضاف إلى الاستفهام ، والمضاف يجب أن يسبق المضاف إليه. فالأب مُسْتَفْهَمٌ عنه في المعنى. وعرف في هذا المثال بمعنى عَلِمَ ، وكذلك في المثال الذي يليه.

ومن أمثلة تعليق الفعل عن العمل اللفظيِّ في المفعول الثاني دون الأوَّل:

قد عرفتُ زيداً أبو مَنْ هو.

علمتُ عمراً أبوك هو أم أبو غيرك.

قد دريتُ عبد الله أبو مَنْ هو.

قد ظننتُ زيداً أبو مَنْ هو.^(٢)

وقد أجاز سيويه تعليق الفعل عن العمل في لفظ المفعولين في هذه الأمثلة باعتبار أنَّ المفعول الأوَّل مُسْتَفْهَمٌ عنه معنى ، وذلك قولك: قد علمتُ زيداً أبو مَنْ هو^(٣).

(١) انظر كتاب سيويه ٣ : ١١٠ .

(٢) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيويه ١ : ٢٣٧ .

(٣) انظر السابق نفسه ١ : ٢٣٧ .

٥- أسلوب إنَّ وأخواتها:

من الحروف الناسخة إنَّ وأخواتها. وقد عدّها سيويه حمسة ، لأنَّ (أَنَّ) عنده فرع من (إنَّ) مكسورة الهمزة^(١).

وقد عالج سيويه هذا الباب في قسمين: ، الأول يتعلّق بعمل هذه الحروف في جملة المبتدأ والخبر^(٢). والثاني: يتعلّق بضبط همزة إنَّ وتخفيف هذه الحروف^(٣). وسأتناول هنا عمل إنَّ وأخواتها في جملة المبتدأ والخبر. وسيلاحظُ أنّ معظم الأمثلة تجري رية على (إنَّ) لأنّها أمُّ الباب وأكثر هذه الحروف استعمالاً في الكلام. فمن أمثلة عمل إنَّ:

إنَّ زيدا منطلقاً.

إنَّ عمراً مسافراً.

إنَّ زيدا أخوك^(٤).

ومذهب الخليل وسيويه أنّ هذه الحروف عملت عملين ، كما عملت كان الرفع والنصب ، ولكن لا يجوز أن يتقدم خبر هذه الحروف على اسمها باستثناء أن يكون ظرفاً أو جاراً ومجروراً^(٥).

(١) انظر انظر كتاب سيويه ٢: ١٣١.

(٢) انظر السابق نفسه ١٣١ - ١٤٧.

(٣) انظر كتاب سيويه ٣: ١١٩ - ١٦٩.

(٤) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيويه ٢: ١٣١.

(٥) انظر السابق نفسه ٢: ١٣١.

ومذهب الكوفيّين أنّها لا تعمل في الخبر ، فهو باق على رفعه لضعف هذه الحروف عن الأفعال^(١).

ومن أساليب الباب التي عرضها سيويه الظرف الذي يتمُّ به الكلام والظرف الملغى. ومن أمثلة ذلك:

إنَّ فيها زيداً قائماً ، (قائماً) حال ، ويجوز إلغاء فيها ورفع قائم خبراً.

إنَّ بك زيداً مأخوذاً ، على إلغاء الجارّ والمجرور.

إنَّ زيداً فيها قائماً ، (قائماً) حال ، ويجوز إلغاء فيها ورفع قائم خبراً.

إنَّ لك زيداً واقفاً ، واقف الخبر ولك متعلق به.

إنَّ فيك زيداً لراغباً ، راغب خبر لدخول اللام.

إنَّ زيداً فيها لقائم ، قائم الخبر لدخول اللام.

إنَّ اليومَ زيداً منطلقاً ، (زيداً) الاسم ومنطلق الخبر ، ولا يجوز: إنَّ اليومَ زيداً منطلقاً ، لأنَّ ظرف الزمان لا يُخبر به عن الجئة^(٢).

فهذه كلّها أساليب عربيّة جيّدة يتمُّ الكلام فيها بالظرف والجارّ والمجرور أو يلغى بحسب المعنى الذي يقصد إليه المتكلّم.

(١) انظر همع الموامع للسيوطي ١ : ١٣٤.

(٢) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيويه ٢ : ١٣٢ - ١٣٤.

وَمَا شَدَّ عَنْ ذَلِكَ مَا حَكَاهُ الْخَلِيلُ أَنَّ نَاسًا مِنَ الْعَرَبِ يَقُولُونَ: إِنَّ بَكَ زَيْدًا
مَأْخُودًا. وَقَدْ أَوَّلَهُ الْخَلِيلُ عَلَى: إِضْمَارِ الْأَسْمِ ، وَهَذَا ضَعِيفٌ لَا يَجُوزُ إِلَّا فِي ضَرُورَةٍ
الشُّعْرِ لِقَبْحِ الْإِضْمَارِ فِي إِنَّ الْمَشْدَدَةَ^(١).

ومن أساليب هذا الباب حذف الخبر اختصاراً لكثرة الاستعمال وعلم المخاطب
بالمحذوف. ومن أمثلة ذلك:

إِنَّ مَالًا ، وَإِنَّ وَلَدًا ، وَإِنَّ عَدَدًا.

إِنَّ زَيْدًا ، وَإِنَّ عَمْرًا.

إِنَّ غَيْرَهَا إِبْلَاءً وَشَاءً^(٢).

فالخبر في هذا ونحوه محذوف ، والتقدير إِنَّ لَنَا مَالًا ، وَإِنَّ لَنَا غَيْرَهَا. ومن ذلك
عند سيبويه قول الشاعر:

يَا لَيْتَ أَيَّامَ الصَّبَا رَوَّاجِعًا

كَأَنَّهُ قَالَ: يَا لَيْتَ لَنَا أَيَّامَ الصَّبَا ، أَوْ يَا لَيْتَ أَيَّامَ الصَّبَا أَقْبَلْتَ رَوَّاجِعًا. فالخبر عند
سيبويه (لنا) أو الجملة الفعلية (أقبلت) وهو محذوف في الحالين^(٣).

وذهب بعض النحويين في الشاهد ونحوه مذهباً آخر ، وهو
أن يكون على لغة مَنْ ينصب الجزأين بهذه الحروف. سُمِعَ: لَعَلَّ زَيْدًا

(١) انظر كتاب سيبويه ٢: ١٣٤.

(٢) انظر السابق نفسه ٢: ١٤١.

(٣) انظر كتاب سيبويه ٢: ١٤٢ والرجز غير منسوب فيه ، وعده البغدادي في الخمسين المجهولة ، انظر الخزانة ٤: ٢٩٠ ، ونسبه ابن سلام إلى العجاج ، انظر طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ، السفر الأول - بشرح أحمد محمد شاكر ط/المدني القاهرة ص ٧٨ ، وانظر هذا الشاهد في شرح أبيات الكتاب لابن النحاس ص ١٦٧.

أخانا^(١). قال ابن سلام الجمحي: (وهي لغة لهم: سَمِعْتُ أَبَاعُونَ الْحَرَمَازِيَّ يَقُولُ: لَيْتَ أَبَاكَ مِنْطَلِقًا ، وَلَيْتَ زَيْدًا قَاعِدًا. وَأَخِيرَنِي أَبُو يَعْلَى أَنَّ مَنْشَأَهُ بِلَادِ الْعِجَاجِ ، فَأَخَذَهَا عَنْهُمْ)^(٢).

وهذه اللغة قليلة ، وَرُبَّمَا نَقَلَهَا بَعْضُ الرُّجَّازِ لِأَنَّهَمْ كَانُوا يَتَبَارَوْنَ فِي نَقْلِ غَرِيبِ اللُّغَةِ وَنَوَادِرِهَا.

وَمَا وَرَدَ فِيهِ حَذْفُ الْخَيْرِ حِكَايَةَ سَيَبِيهِ: إِنَّكَ مَا وَخَيْرًا. وَلَمْ يَوْرَدْ سَيَبِيهِ هَذِهِ الْحِكَايَةَ لِحَذْفِ الْخَيْرِ ، وَإِنَّمَا لِيُوَكِّدَنَّ أَنَّ الْغَفِيرَ فِي قَوْلِهِمْ: الْجَمَاءُ الْغَفِيرُ وَصَفُّ مَلَاذِمَ لِكَلِمَةِ الْجَمَاءِ ، كَمَا لَزِمَتْ مَا فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّكَ مَا وَخَيْرًا.

وظاهر مثال سيبويه أَنَّ مَا زَائِدَةٌ عَوْضًا عَنِ الْخَيْرِ الْمَحذُوفِ. وَبِهَذَا الْمَعْنَى فَسَّرَهُ السِّيرَافِيُّ بِتَقْدِيرٍ: إِنَّكَ وَخَيْرًا مَقْرُونَانِ^(٣).

وَمِنْ أَسَالِيبِ الْبَابِ الَّتِي عَرَضَهَا سَيَبِيهِ رَفْعُ الْمَعْطُوفِ بَعْدَ اسْتِكْمَالِ إِذَا خَيْرَهَا. وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ:

إِنَّ زَيْدًا ظَرِيفٌ وَعَمْرُوٌّ.

إِنَّ زَيْدًا مِنْطَلِقٌ وَسَعِيدٌ.

وَالرَّفْعُ عَلَيَّ وَجْهَيْنِ ، حَسَنٌ وَضَعِيفٌ. أَمَّا الْوَجْهُ الْحَسَنُ فَأَنَّ تَعَطُّفَ عَلَيَّ مَحَلُّ اسْمٍ إِنَّ. وَأَمَّا الضَّعِيفُ فَأَنَّ تَحْمِلَ الْاسْمِ عَلَيَّ الضَّمِيرِ الْمَرْفُوعِ الْمُسْتَكْتَبِ فِي الْخَيْرِ.

(١) انظر شرح الأشموني ١: ٢٦٩ وهمع الهوامع ١: ١٣٤ - ١٣٥.

(٢) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ص ٧٨ - ٧٩.

(٣) انظر كتاب سيبويه ٢: ١٠٧ وشرح السيرافي بهامته.

وسيويوه والجمهور لا يميزون هذا العطف إلا بفواصل كأن تقول: إنَّ زيداً منطلقٌ هو وعمرو.

وإن شئت عطفت على لفظ الاسم فتقول: إنَّ زيداً منطلقٌ وعمراً ظريفٌ^(١).

وذكر ابن عقيل وجهاً آخر للرفع وهو أن يكون على الابتداء وحذف الخبر ، ثم قال: وهو الصحيح^(٢).

ولا أحسب أنَّ هذا الوجه غاب عن سيويوه ، ولكنَّه ربَّما استحسَن أن يُعلَّل للرفع في جملة واحدة ليريك وجوه عطف مفرد على آخر.

والمختار في لعلَّ وكأنَّ وليت نصب المعطوف نحو ليت زيداً منطلقٌ وعمراً ، ويجوز الرفع حملاً على الضمير المستتر في الخبر إذا فصلت نحو: ليت زيداً منطلقٌ هو وعمرو. ويظهر من هذا أنَّ سيويوه لا يميز رفع الاسم المعطوف حملاً على محلِّ اسم هذه الأحرف كما أجازته في إنَّ^(٣).

وعلة ذلك أنَّ ليت ولعلَّ وكأنَّ أحدثت معنىً هو تمثيُّ المسند للمسند إليه ، أو ترجيُّه له ، أو تشبيهه به. فإذا قلت: لعلَّ زيداً منطلقٌ وبكرٌ مقيمٌ لم يكن في جملة بكرٌ مقيمٌ معنى الترجي الذي في الجملة الأولى ، فكأنك قلت: أرجو أن ينطلق زيدٌ وهذا بكرٌ مقيمٌ ، ولهذا أجاز سيويوه العطف على الضمير المستكن في الخبر مع الفصل لأنَّه عطف مفرد على مفرد لا يوصف بخبر ولا إنشاء^(٤).

(١) انظر كتاب سيويوه ٢: ١٤٤.

(٢) انظر شرح ابن عقيل ١: ٣٧٦.

(٣) انظر كتاب سيويوه ٢: ١٤٦.

(٤) وانظر حاشية الخضري ١: ١٣٧.

أما رفع المعطوف قبل أن تستكمل إن خبرها فغير جائز عند البصريين. وذهب الكوفيون إلى جوازه مطلقاً ، وقيدَه القراء بما خفي إعرابه ، نحو: إنك وزيدٌ ذاهبان^(١).

وسيبيوه لا يميز هذا الضرب من العطف ، وتأول ما ورد منه على سبيل الغلط (التوهم) من نحو قولهم: إنك وزيدٌ ذاهبان. غير أنه حين عرض للآية الكريمة ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ وَالنَّصَارَىٰ مِنْ ءَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢). تأولها على التقديم والتأخير ، كأنه ابتداء على قوله والصابغون بعد ما مضى الخبر^(٣).

ويمكن من خلال تأويل سيبويه للآية الكريمة والمثال أن نلاحظ:

• أنه نجرَّج المثال على التوهم ، ولكنه حمل الآية الشريفة على التقديم والتأخير ، لأن كتاب الله عز وجل منزّه من كل نقص .

• أن المثال يختلف عن الآية الكريمة ، لأنه لا يقال: إنك ذاهبٌ وزيدٌ ذاهبان. وتقدير الآية على قول سيبويه: والصابغون والنصارى كذلك.

• بعض العرب رفعوا الاسم المعطوف قبل استكمال الخبر كما في قول ضابئ بن الحرث:

(١) انظر الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ص ١٨٥ مسألة ٢٣.

(٢) المائدة: ٦٩.

(٣) انظر كتاب سيبويه ٢: ١٥٥.

مَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَإِنِّي وَقِيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبٌ^(١)

ورواية سيويه بالفاء (فمن) ونصب قِيَّار ، واحتجَّ به لحذف الخبر استغناء لعلم المخاطب به ، والمعنى فَإِنِّي بها لغريب وإنَّ قياراً بها لغريب ، وحذف العمدة يُقَوِّي حذف المفعول به لأنَّه فضله^(٢).

ولم يشر سيويه إلى رواية الرفع ، وخرَّجها الجمهور على التقديم والتأخير لوجود اللام في الخبر كأنَّه قال: إِنِّي بها لغريبٌ وقِيَّارٌ غريب^(٣).

ولا يلزم هذا التقدير لأنَّ فعلاً مما يستوي فيه المذكر والمؤنث ، والمفرد والمثنى والجمع.

٦- أسلوب لا النافية للجنس:

لا النافية للجنس - وتسمَّى أيضاً لا التبرئة - تنفي الخبر عن الجنس نصّاً. ويظهر هذا بوضوح حين يكون اسمها مفرداً ، فإن كان مثنى أو جمعاً كانت محتملة لنفي الجنس ، ولنفي قيد التعدد. وهذا يُلاحظ أيضاً في لا النافية العاملة عمل ليس إذا كان اسمها مثنى أو جمعاً. ويتعيَّن الفرق بينهما إذا كان الاسم في كلِّ منهما مفرداً^(٤).

(١) انظر الأصمعيات لعبد الملك بن قريش الأصمعي ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ط/ه بيروت ص ١٨٤.

(٢) انظر كتاب سيويه ١: ٧٤ - ٧٥.

(٣) انظر شرح الأشموني ١: ٢٨٦.

(٤) انظر حاشية الصبان على شرح الأشموني ٢: ٢.

ولا النافية للجنس تختص بالنكرات ، وهي مع اسمها المفرد في موضع اسم مبتدأ ، والدليل على ذلك ما حكاه سيبويه أنّ أهل الحجاز يقولون: لا رجل أفضل منك ، وحكاية يونس عن بعض العرب: ما من رجل أفضل منك ، وهل من رجلٍ خيرٌ منك كأنه قال: ما رجلٌ أفضلٌ منك ، وهل رجلٌ خيرٌ منك^(١).

وقد نصّ سيبويه على بعض شروطها كعملها في النكرة ، وعدم الفصل بينها وبين النكرة ، وذكر بقية الشروط ضمناً من خلال الأمثلة^(٢).

وفيما يلي نماذج مختاره من الأساليب التي عرضها سيبويه:

إقحام اللام في أسلوب لا النافية للجنس:

ومن أمثلة ذلك:

لا غلامَ لك.

لا أبالك.

لا غلاميُّ لك.

لا مسلميُّ لك^(٣).

ذهب الخليل وسيبويه إلى أنّ اسم لا في هذه الأمثلة مضاف إلى المحرور باللام المزيدة لتأكيد الإضافة. والدليل على ذلك سقوط النون في الإضافة نحو لا غلاميُّ لك ، وثبات الألف في نحو: لا أبالك كما ثبتت في قولك: رأيتُ أباك إذا

(١) انظر كتاب سيبويه ٢: ٢٧٤ - ٢٧٥.

(٢) انظر كتاب سيبويه ٢: ٢٧٤ - ٢٧٥ ، وانظر شروط عمل لا في همع الهوامع ١: ١٤٤ - ١٤٥.

(٣) انظر كتاب سيبويه ٢: ٢٧٦.

أضفت^(١).

والقياس أن يُقال: لا أَبَ لك ، ولا غلامين لك بالبناء على ما ينصب به. ولكن ورد قليلاً إعطاء حكم الإضافة في المثني والجمع على حده ، وفي الأب والأخ إذا وليها جميعاً لام الجرّ. وزاد سيويه لا غلامَ لك.

هذه الأسماء عند الخليل وسيويه مضافة حقيقة باعتبار المعنى. وإضافتها بمعنى اللام ، واللام الظاهرة تأكيد لتلك المقدرة. والغرض من ذلك نصب المضاف المعرفة من غير تكرير لا طلباً للحقّة^(٢).

ومذهب الخليل وسيويه لا يخلو من تعقيد ، إذ لا معنى لأن يقال إنَّ هذه الأسماء مضافة ، ثُمَّ يُقَحَّمُ لام بين المتضايقين ، ولا يعتدُّ بهذه اللام لأنها زائدة لتأكيد الإضافة.

وأسهل من هذا - في تقديري - أن تستثنى هذه العبارات من القاعدة العامة لأنها لغة قليلة ، ولا يبعد أن يكون بعضها نحو: لا أبالك مما يكثُر في الشعر ، فكأنهم زادوا الألف فراراً من المتحركات المتوالية.

العطف على اسم لا مكررة

وذلك أن يكون الاسم مفرداً مبنياً على الفتح ولا مكررة ، فيجوز في المعطوف النصب عطفاً على محل اسم لا ، ولا الثانية حينئذٍ زائدة للتوكيد نحو: لا رجلَ ولا امرأةً^(٣).

(١) انظر كتاب سيويه ٢: ٢٧٦ - ٢٧٧.

(٢) انظر شرح الكافية للرضي ١: ٢٦٥.

(٣) انظر كتاب سيويه ٢: ٢٨٥.

ويجوز بناء المعطوف باعتبار لا الثانية عاملة لا زائدة نحو: لا رجل ولا امرأة فيها^(١).

ويجوز رفع المعطوف جملاً على محل لا واسمها ، ومحلها عند الخليل وسيبويه الرفع على الابتداء. مثال ذلك: لا حول ولا قوة إلا بالله. ولا الثانية زائدة للتوكيد^(٢).

وإن رُفِعَ المعطوف عليه جاز في الثاني وجهان: الرفع كقول الراعي (عميد بن حصين):

وما صرمتك حتى قلت معلنة لا ناقة لي في هذا ولا حمل^(٣)

ومثل له سيبويه بنحو: لا غلام ولا جارية^(٤).

والوجه الثاني البناء ، ولم أعثر له على شاهد أو مثال في الباب الذي عقده سيبويه. ومثل له النحويون بنحو: لا رجل ولا امرأة^(٥).

نعت اسم لا:

ومن أمثله:

لا غلام ظريفاً لك.

(١) انظر كتاب سيبويه ٢ : ٢٨٦.

(٢) انظر السابق نفسه ٢ : ٢٩٢.

(٣) السابق نفسه ٢ : ٢٩٥.

(٤) السابق نفسه ٢ : ٣٠٧.

(٥) انظر شرح الكافية للرضي ١ : ٢٦٠ - ٢٦١. وشرح ابن عقيل ٢ : ١٥.

لا غلامَ ظريفَ لك.

لا غلامَ ظريفاً عاقلاً لك.

لا غلامَ فيها ظريفاً^(١).

يجوز نصب نعت اسم لا كما في المثال الأول ، وهذا أكثر في الكلام. ويجوز بناء النعت كما في المثال الثاني. والوجهان يجوزان في الصفة الأولى في المثال الثالث ، أما الصفة الثانية (عاقلاً) فيلتزم فيها النصب ويمتنع البناء ، لأنه لا تتركب ثلاثة أشياء منفصلة لتكون بمنزلة اسم واحد ، ما لم يتكرر الاسم نحو: لا ماء ماءً بارداً فيجوز في الثاني النصب والبناء.

ويجوز الوجهان أيضاً في المثال الأخير ، يستوي في ذلك أن تجعل (فيها) خيراً أو

لا.

ما لا يكون النعت فيه إلا منوناً:

ومن أمثلة ذلك في كتاب سيويه:

لا رجلَ اليومَ ظريفاً.

لا رجلَ فيها عاقلاً.

لا رجلَ فيك راغباً.

لا ماءَ سماءٍ لك بارداً.

(١) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيويه ٢: ٢٨٨ - ٢٨٩.

لا مثله عاقلاً^(١).

امتنع بناء الوصف في ثلاثة الأمثلة الأولى للفصل بين الصفة واسم لا.

وامتنع بناء الصفة في المثالين الأخيرين لذهاب التركيب من الاسم بسبب الإضافة.

دخول همزة الاستفهام في أسلوب لا النافية للجنس:

القاعدة العامة عند سيويه أنّ (آلا) في الاستفهام تعمل فيما بعدها كما تعمل (لا) ، فيثبت لها من الأحكام ما ثبت للاقبل أن تدخل الهمزة. ومن أمثلة ذلك في كتاب سيويه:

آلا غلامٌ وآلا جارية.

آلا غلامٌ لي.

آلا ماءً بارداً.

آلا ماءً بارداً.

آلا ماءً ولبناً^(٢).

وهذا بناء على ما جاز في لا من الأوجه والأحكام. وأنكر أبو حيان أن تكون الهمزة الداخلة على لا بمجرد الاستفهام ، وإنما هي عنده للإنكار أو التويخ أو التميي أو العرض^(٣).

(١) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيويه ٢: ٢٨٩ - ٢٩٠.

(٢) انظر السابق نفسه ٢: ٣٠٧.

(٣) انظر شرح الكافية للرضي ١: ٢٦١.

أما آلا. بمعنى أتمنى فلا تحتاج إلى خبر كما يرى الخليل ، لأنَّ التمني أغنى عنه ،
واسمها بمنزلة المفعول. ومن ذلك: آلا ماءً بارداً ، كأنه قال: أتمنى ماءً بارداً (١).

وقد يُشكل على هذا المذهب قول الشاعر:

آلا رجلاً جزاهُ اللهُ خيراً يدلُّ على مُحَصَّلَةٍ تَبَيَّتُ

فظاهر البيت أنَّ الهمزة للاستفهام ، والقياس على ذلك أن يقول: آلا رجلاً بالبناء
على الفتح. غير أنَّ الخليل فسَّره على معنى العرض أو التحضيض لأنَّ هذا يقتضي أن
يكون منصوباً بفعل محذوف تقديره عند الخليل: آلا تروني رجلاً.

أما يونس بن حبيب فيرى أنَّ الهمزة دخلت على لا للاستفهام ، ولكنَّ الشاعر
نَوَّن ضرورةً.

ولكلِّ من المذهبين وجه مقبول عند سيويه ، وربما لهذا وقف موقفاً محايداً ولم
يُرَجِّح أحدهما على الآخر (٢).

ومذهبُ يونس - وإن ذهب فيه إلى الضرورة - قَوِيٌّ ، والمعنى يُؤيِّده ، لأنَّ
الشاعر يبحث عمَّن يدلُّه على زوجة بالصفة^{التي} ذكرها. وهذا في - تقديري - أمثل من
معنى التحضيض بتقدير آلا تروني رجلاً.

ومذهب الخليل قَوِيٌّ من حيث الصنعة ، ولكنه لا يفني بالمعنى الذي قصَّد إليه
الشاعر.

(١) انظر كتاب سيويه ٢: ٣٠٧ وشرح الكافية ١: ٢٦٢.

(٢) انظر كتاب سيويه ٢: ٣٠٨ - ٣٠٩ والبيت غير منسوب فيه ، وانظر شرح الأشموني ٢: ١٦.

المبحث الثالث: أمثلة الفعل اللازم والمتعدي:

تألف الجملة الفعلية من المسند (الفعل) والمسند إليه (الفاعل أو ما ينوب عنه). وقد عرض سيويه الجملة عموماً في إطار الإسناد. فالمبتدأ لا بُدَّ له من خبر ، والفعل لا بُدَّ له من فاعل. وعلى هذه القاعدة يجري تقدير المحذوف بحسب القرينة ليتمَّ الإسناد.

حكى سيويه: (إذا كان غداً فأتني ، وهي لغة بني تميم ، والمعنى أَنَّهُ لقي رجلاً فقال له: إذا كان ما نحن عليه من السلامة ، أو كَانَ ما نحن عليه من البلاء في غدٍ فأتني ، ولكنهم أضمروا استخفافاً لكثرة كان في كلامهم^(١)).

يذهب سيويه إلى أَنَّهُم أضمروا الفاعل ، وهذا كثير في كلامهم بعد كان طلباً للتحفة ، خلافاً لما ذهب إليه الكسائي من جواز حذف الفاعل مطلقاً^(٢).

فالإسناد عند سيويه هو المحور الذي ينتظم عليه تركيب الجملة. وفي هذا الإطار يتجلى أثر العامل في الإعراب. وقد عرض سيويه للأفعال من حيث تعدّيها ولزومها. فمنها ما يلزم مرفوعةً فإذا انتهى إليه تعدّى إلى المصدر أو الظرف أو الحال فيؤثر النصب على المصدرية أو الظرفية أو الحالية. ومن الأفعال ما يتعدّى إلى مفعول واحد أو أكثر. وقد فصل سيويه الكلام على هذه التراكيب ، ووازن بينهما وفرّق بين الأساليب المتشابهة من حيث المعنى.

(١) كتاب سيويه ١ : ٢٢٤.

(٢) انظر حاشية الخضري ١ : ١٦٠ - ١٦١.

ولتسهيل دراسة الأساليب التي عرضها سيويه في مبحث التعدي والضرورة
 رمزتُ للفعل بالحرف ف ، وللفاعل ظاهراً ومضمراً بالحرفين فا ، وللمفعول
 بالحرف م ، ولما يتوب عن الفاعل بالحرف م بين قوسين. وذلك على النحو الآتي:

أولاً الفعل اللازم:

التركيب	المثال	التوجيه
ف+فا	يذهبُ عيدُ الله ^(١) ذهب زيد ^(٢) قد كان الأمر ^(٣)	كان في المثال الأخير تاماً وإنما فَصَلَ سيويه باب كان لأنَّ المعمولين فيه كالشيء الواحد.
ف+فا+مصدر	ذَهَبَ عيدُ الله الذهابَ الشديد	الظرف مشتق من لفظ الفعل الظرف مبهم
ف+فا+ظرف زمان	قعد شهرين	
ف+فا+ظرف مكان	ذهب المذهب البعيد	
ف+فا+حال	ذهب وجهاً من الوجوه ^(٤) ذهب زيدٌ راجياً ^(٥)	

(١) انظر كتاب سيويه ١: ٢٣.

(٢) انظر السابق نفسه ١: ٣٣.

(٣) انظر السابق نفسه ١: ٤٦.

(٤) انظر الأمثلة في السابق نفسه ١: ٣٥.

(٥) السابق نفسه ١: ٤٤.

ثانياً: الفعل المتعدي:

التوجيه	المثال	التركيب
ويجوز ضرب زيداً عبداً الله ومثل ذلك: كان عبداً الله أخاك ، وكان أخاك عبداً الله ، إلا أن سيويه فصل باب كان لأن الممولين فيه لشيء واحد.	ضَرَبَ عبداً الله زيداً ^(١) .	ف+فا+م
المفعولان في هذا الباب ليس أصلهما المبتدأ والخبر. واخترت الرجال على نزع الخافض أي من الرجال ، وسميته بمعنى دعوته بهذه العلامة	أعطى عبداً الله زيداً ذكرهما كسوتُ بشراً الثياب الجياد . اخترتُ الرجالَ عبداً الله . سميته زيداً ^(٢) .	ف+فا+م+م
المفعولان في هذا الباب أصلهما المبتدأ والخبر.	حسب عبداً الله زيداً بكراً . ظنَّ عمرو خالداً أباك ^(٣) . علمتُ زيداً الظريف ^(٤) .	ف+فا+م+م
ثلاثة الأفعال الأولى مما	أرى الله بشراً زيداً أباك	ف+فا+م+م+م

(١) انظر كتاب سيويه ١ : ٣٤ .

(٢) انظر الأمثلة في السابق نفسه ١ : ٣٧ .

(٣) انظر المثاليين في كتاب سيويه ١ : ٣٩ .

(٤) انظر المثال في كتاب سيويه ١ : ٤٠ .

تابع الفعل المتعدي

يتعدى إلى مفعولين ، ولكنها تعدت بالهمزة أو التضعيف إلى ثلاثة مفاعيل وعدى سرق على سبيل التوسع في الظرف. لما انتهى الفعل إلى ما يتعدى إليه تعدى إلى المصدر.	نُبأْتُ زيداً عمراً أبا فلان. أعلمَ اللهُ زيداً عمراً خيراً منك. سرقتُ عبدَ الله الثوبَ الليلةَ. أعلمتُ هذا زيداً قائماً العلمَ اليقين إعلماً ^(١) .	ف+فا+م+م+م+مصدر
---	--	-----------------

ثالثاً: نائب الفاعل:

التوجيه	المثال	التركيب
	ضربَ عبدُ الله.	ف+(م)
	كُسيَ عبدُ الله الثوبَ.	ف+(م)+(م)+م
	أُعطيَ عبدُ الله المالَ ^(٢)
تقديم ما هو مفعول في المعنى.	كُسيَ الثوبَ زيدَ.	ف+م+(م)
	أُعطيَ المالَ عبدُ الله.	...
	ضربَ زيدَ الضربَ الشديدَ.	ف+(م)+مصدر
	أُفعدَ عبدُ الله المقعدَ الكريمَ ^(٣) .	ف+(م)+ظرف
الليلة مفعول به على التوسع في الظرف.	سُرِقَ عبدُ الله الثوبَ الليلةَ.	ف+(م)+(م)+م

(١) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيبويه ١ : ٤١.

(٢) السابق نفسه ١ : ٤١.

(٣) السابق نفسه ١ : ٤٢.

تابع نائب الفاعل:

التوجيه	المثال	التركيب
لما انتهى الفعل إلى ما يتعدى إليه تعدى إلى المصدر.	أُعْطِيَ عَبْدُ اللَّهِ الثَّوْبَ إِعْطَاءً جَمِيلاً. نُبِّئْتُ زَيْدًا أَبَا فُلَانٍ تَتِيعًا حَسَنًا. نُبِّئْتُ زَيْدًا أَبَا فُلَانٍ. أُرَى عَبْدَ اللَّهِ أَبَا فُلَانٍ ^(١) .	ف+(م)+م+مصدر ف+(م)+م+م

ويمكن أن نخرج من التماذج المعروضة بالملاحظات الآتية:

١- المصدر هو المفعول الحقيقي لأنَّ صيغة الفعل تدلُّ عليه (ألا ترى أنَّ قولك: قد ذهب بمنزلة قولك قد كان منه ذهاب)^(٢).

٢- يدلُّ الفعل على الزمن بالوضع ، ومع ذلك فإنَّ ظروف الزمان أقلَّ في هذه الدلالة من المصادر ، لأنَّ الفاعل لم يحدث الزمن وإنما فعل الحدث فيه^(٣).

٣- ظروف المكان ليست بمنزلة المصادر وظروف الزمان ، لأنَّ دلالة الفعل عليها ليست من صيغة الفعل. ولهذا لم يتعدَّ الفعل إلى المختص منها إلا سماعاً كقولهم: ذهبتُ الشام ودخلتُ البيت^(٤).

(١) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيبويه ١: ٤٣.

(٢) السابق نفسه ١: ٣٤.

(٣) انظر كتاب سيبويه ١: ٣٥ وشرح كتاب سيبويه للسرافي ٢: ٢٧٩.

(٤) انظر كتاب سيبويه ١: ٣٥ - ٣٧.

٤- بقية المفعولات تشترك مع ظروف المكان في أنّ الفعل لا يدلّ عليها بالوضع ،
لأنّك إذا قلت: ضَرَبَ زيدٌ عُلِمَ أنّ الضربَ قد وقع من زيد على آخر قد يكون بكرةً
أو عمراً ونحو ذلك^(١).

٥- فرّق سيويه بين المفعول الثاني والحال في نحو: كسوتُ زيداً الثوبَ ،
وضربتُ عبدَ الله قائماً. فالثوب في المثال الأوّل ليس حالاً وقع فيها الفعل ، لأنّ
الحال لا تأتي معرفة في الأصل. والمفعول الثاني قد ينفرد عن الأول في مثل قولك:
كسوتُ الثوبَ ويفهم أنّك ألبسته شخصاً ما. ولا يجوز في الحال أن تستقل عن
صاحبها ، فلا يقال: ضربتُ قائمةً تريد مثلاً: ضربتُ هنداً قائمةً. والمفعول الثاني قد
ينوب عن الفاعل في نحو قولك: كُسيَ الثوبُ ، ولا يكون هذا في الحال. ويميّز بينهما
أيضاً أنّ الحال تأتي مع الفعل اللازم نحو: ذهبتُ ركباً ، ولا يقال: ذهبتُ زيداً ونحو
ذلك^(٢).

وهذا يريك أنّ سيويه لا يكتفي بالقاعدة أو الحكم ، وإنما يضيف إلى ذلك
التمييز بين الأساليب ويان ما يختصّ به كلّ أسلوب عن الآخر.

(١) انظر كتاب سيويه ١ : ٣٤ وشرح كتاب سيويه للميراثي ٢ : ٢٧٩.

(٢) انظر كتاب سيويه ١ : ٤٤ - ٤٥.

المبحث الرابع: نماذج من أمثلة التنازع والاشتغال:

١- أسلوب التنازع:

سَمِّيَ سيبويه هذا المبحث: (باب الفاعلين والمفعولين اللذين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل الذي يفعل به)^(١). واختصر النحويون هذا العنوان الطويل وسَمُوا الباب التنازع ، بمعنى أَنَّ العاملَيْن - وهذا هو الغالب - تجاذبا المعمول في المعنى ، ولكن يثبت العمل فيه لأحدهما ، ويعمل الآخر في ضمير الاسم المتنازع عليه. وهذا من أساليب الحذف اختصاراً للدليل ، واستغناءً بعلم المخاطب^(٢).

والأولى عند سيبويه وجمهور البصريين إعمال العامل الثاني لقربه من المعمول. واختار الكوفيون عموماً إعمال الأول لسبقه ، ولكلٍّ من الفريقين حججه وشواهد^(٣).

ومن أمثلة إعمال العامل الثاني في كتاب سيبويه:

ضربتُ وضربني زيدٌ.

ضربتُ وضربني قومك.

ضربني وضربتُ زيداً.

ضربوني وضربتُ قومك.

ضربوني وضربتهم قومك.

ضربني وضربتُ قومك^(٤).

ومن أمثلة إعمال الأول:

ضربتُ وضربوني قومك.

(١) كتاب سيبويه ١: ٧٣.

(٢) انظر السابق نفسه ١: ٧٤.

(٣) انظر الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ج ٢ ص ٨٣ - ٩٦ مسألة ١٣.

(٤) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيبويه ١: ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٩.

ضربني وضربتهم قومك.
ضربتُ وضربني زيداً.
ضربني وضربتُ قومك^(١).

ويلاحظ الإضمار قبل الذكر في هذا الباب ، وهذا من المواضع التي أجاز البصريون فيها هذا الضرب من الإضمار ومنها: رُبُّه رجلاً ، ونِعَمَ رجلاً^(٢).
وقد يكون إفراد الفعل في بعض المواضع قبيحاً يحتاج إلى تأويل نحو: ضربني وضربتُ قومك ، لأنَّ لفظ الفعل في هذا المثال (ضربني) كالواحد مع أنَّ الفاعل جمع. ومثل هذا في القبح قولهم: هو أحسن الفتيان وأجمله ، والوجه: أجملهم. ولهذا قدر سيويه المثال على معنى: ضربني مَنْ ثمَّ وضربتُ قومك^(٣).
وبهذا التقدير ردُّ البصريون مذهب الكسائي بحذف الفاعل في قول علقمة بن عبدة:

تَعَفَّقَ بِالْأَرْطَى لَهَا وَأَرَادَهَا رَجَالًا فَبَدَّتْ نِبْلَهُمْ وَكَلَيْبُ
فقد أعمل الثاني ، لأنَّه لو أعمل الأوَّل لقال: أرادوها ، ولمَّا لم يبرز الضمير في الأوَّل على حسب الظاهر (تعفَّقوا) دلَّ على حذف الفاعل.
وأجيب عن ذلك بأن المعنى: تعفَّق مَنْ ثمَّ كما مضى في تقدير مثال سيويه^(٤).
ويضعفُ إعمال الثاني إذا قلت: ضربتُ وضربوني قومك إلا على لغة من قال أكلوني البراغيث أو على إبدال الظاهر من الضمير. والوجه: ضربتُ وضربني قومك^(٥).

(١) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيويه ١: ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩.

(٢) انظر شرح الأشموني ٢: ١٠٣.

(٣) انظر كتاب سيويه ١: ٧٩ - ٨٠.

(٤) انظر شرح الأشموني بحاشية الصبان ٢: ١٠٢ - ١٠٣.

(٥) انظر كتاب سيويه ١: ٧٦.

وبعض صور هذا الأسلوب لا تخلو من الصنعة النحوية ، ولو اقتصر فيها على الأساليب السهلة لكان أمثل. فقولهم: ضربتُ وضربني زيدٌ يمكن أن نعبر عنه بقولنا: ضربتُ زيدا وضربني. ومثل ذلك يقال في نحو: ضربتُ وضربوني قومك ، تقول: ضربتُ قومك وضربوني.

وكلمة تنازع - في تقديري - لا تفي تماماً بالغرض الذي عقد له سيبويه الباب ، وإنما عقد الباب لأسلوب من أساليب الإضمار استغناء لعلم المخاطب أنَّ المعمول لا يكون مرفوعاً ومنصوباً في آن واحد. ولا يمكن أن يشترك العاملان في رفعه أو نصبه ، مع أنه - من ناحية المعنى - قابل لتأثير كل واحد منهما لو تسلط عليه^(١).
وقرينة المعنى مع الشكل الإعرابي تدلّ على العامل المؤثر في المعمول لفظاً ومعنى ، فيستتج المخاطب أنَّ العامل المهمل لفظاً يثبت له عمل معنوي بالإضمار أو حذف المعمول إن كان مما يجوز حذفه لدلالة المذكور عليه. ومن ذلك قول رجل من باهلة:

وَلَقَدْ أَرَى تَغْنَى بِهِ سَيْفَانَةً تُصْبِي الْحَلِيمَ وَمِثْلَهَا أَصْبَاهُ^(٢)

أراد: ولقد أرى سيفانَةً تَغْنَى بِهِ سَيْفَانَةً ، فحذف الأول استغناء بذكر الثاني. وبهذا التفسير يظهر أنه لا تنازع في حقيقة الأمر إلا من الناحية الشكلية. وأحسب أن هذا ما عناه سيبويه بقوله: (فالفعل الأوّل في كلّ هذا معمل في المعنى وهو غير معمل في اللفظ ، والآخر معمل في اللفظ والمعنى)^(٣).

(١) انظر كتاب سيبويه ١ : ٧٤.

(٢) من شواهد الكتاب ١ : ٧٧.

(٣) كتاب سيبويه ١ : ٧٧.

٢- أسلوب الاشتغال:

يبنى الاسم على الفعل نحو: ضربتُ زيداً ، والاسم في هذه الحال معمول للفعل ، آخرت الاسم كما في المثال المذكور ، أو قَدَّمته نحو: زيداً ضربتُ. وكلا الأسلوبين عربي جيد^(١).

ويبنى الفعل على الاسم ، بمعنى أن يكون الفعل في موضع الخبر للاسم المتقدم نحو: زيدٌ ضربته. وهذا الأسلوب الأخير هو مقصد سيبويه الذي عقد له الباب (وإنما حسن أن يُبنى الفعل على الاسم حيث كان معملاً في المضمرة وشغلته به ، ولولا ذلك لم يحسن ، لأنك لم تشغله بشيء)^(٢).

وقد عُرف هذا الأسلوب فيما بعد بالاشتغال ، وهو (أن يتقدم اسم ويتأخر عنه فعلٌ قد عمل في ضمير ذلك الاسم أو في سببهِ)^(٣).

وهذا الأسلوب عربي فصيح ، غير أن عرضه تأثر كثيراً بالقيود التي التزم بها النحويون في العوامل والمعمولات. فحقَّ الفعل إذا عمل أن يتقدم على معموله. ولا مانع من تقدم الاسم على الفعل نحو: زيدٌ ضربته ، لأنه مبتدأ. ولو قلت: زيداً ضربته فقد شغلت الفعل بضمير الاسم المتقدم ، وهنا لا بُدَّ أن يُقدَّر للمنصوب المتقدم ما يسوغ نصبه.

ويدخل في التوجيه الإعرابي لهذا الأسلوب نوع الأدوات التي قد تسبق الاسم المشغول عنه. فمنها أدوات تختص بالدخول على الأفعال ، وأدوات أخرى تختص بالابتداء ، وأدوات مشتركة بين الأفعال والأسماء ، ويغلب على بعضها الدخول على الأفعال كهيئة الاستفهام. والأفعال الطليئة تؤثر أيضاً في التوجيه الإعرابي لهذا الأسلوب ويختار معها نصب الاسم المتقدم ، لأنَّ الإخبار بالجملة الإنشائية - مع

(١) انظر كتاب سيبويه ١ : ٨٠.

(٢) انظر السابق نفسه ١ : ٨١.

(٣) شرح ابن عقيل ٢ : ١٢٩ وانظر كذلك شرح الأشموني ٢ : ٧٢.

جوازه - خلاف الأصل. ويؤثر في إعراب الاسم المشغول عنه التناسب بين جملته والجملة المتقدمة عليها. فيختار النصب في نحو: قام زيدٌ وعمراً أكرمته لعطف جملة فعلية على نظيرتها.

ويختار الرفع في نحو: زيدٌ ضربته وإن لم يكن في هذا المثال ونحوه ما يوجب الرفع أو النصب ، وإنما اختير الرفع لأنَّ عدم الإضمار أولى من الإضمار. ويستوي الرفع والنصب إذا وقع الاسم المشتغل عنه بعد عاطف تقدّمته جملة ذات وجهين (صدرها اسم وعجزها فعل) نحو: زيد قام وعمرو أكرمته ، يرتفع عمرو مراعاة للصدر ويتنصب مراعاة للعجز. ولا فرق في هذه الأحكام بين أن يكون الفعل مشغولاً بضمير الاسم المتقدّم أو بسببهِ^(١).

هذا هو الإطار العام لتوجيه الإعراب في هذا : الأسلوب إذا استثنينا التفاصيل والمسائل الفرعية. فليس الاشتغال مبحثاً مستقلاً بنفسه ، وإنما تتوزع صورته بين الحمل الاسمية والفعلية ، والأحكام المتعلقة بالعوامل ، والمبادئ العامة للقياس كما يراها كل فريق من النحويين.

ومن ذلك مثلاً اختلافهم في نحو: أزيداً لست مثله ، فقد أجازوه قوم ومنعه آخرون. ومبني ذلك اختلافهم في تقدم خبر ليس عليها^(٢).

وأخرج سيبويه من باب الاشتغال قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾^(٣). وقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾^(٤).

(١) انظر تفصيل هذا الملخص في كتب النحو ومنها شرح ابن عقيل ٢: ١٢٨ - ١٤٤ وشرح الأشموني ٢: ٧١ -

٨٦.

(٢) انظر معجم الهوامع للسيوطي ٢: ١١٢ والمثال في كتاب سيبويه ١: ١٠٢.

(٣) التور: ٢

(٤) المائدة: ٣٨.

لأنه ربط المعنى في الآيتين بما تقدّم على كلّ منهما من حديث. فالمرفوع في الآيتين مبتدأ خبره محذوف. وعلى هذا فالكلام من جملتين ، وليست الفاء داخلة على الخبر ، لأنه لا يجوز عنده: زيدٌ فمنطلق^(١).

وتعليلٌ سيويه توجيهٌ لقراءة الرفع على غير الاشتغال لئلا يلزم أن يُقال إن المختار في الطلب النصب. على أن عيسى بن عمر قرأ في الآيتين بالنصب^(٢). ولهذه القراءة وجه قوياً من القياس لأنَّ حدَّ الكلام في الأمر والنهي تقديم الفعل ، وإذا جاز هذا في همزة الاستفهام فهو في الأمر والنهي أوجب ، لأنَّهما لا يكونان إلا بفعل^(٣). وذهبت الدكتورة منى إلياس إلى أن المرّد ومن قبله الفراء كانا (أنفذ من سيويه في توجيه الرفع في الآيتين وما كان على شاكلتهما ، وذلك أن كليهما تأولهما على أن الاسم المرفوع مبتدأ ولما كان معرفاً بأل الجنسية دخله معنى الجزاء ومن ثمّ دخلت الفاء على فعل الأمر بعده)^(٤). والحق أن هذا الوجه لم يغيب عن سيويه حتى يكون الفراء أو المرّد أنفذ منه. فقد أجاز دخول الفاء في الخبر في نحو: الذي يأتيني فله درهم ، لأنه بمعنى الجزاء^(٥).

أما في الآيتين فإن الأمر يختلف لأنّ الكلام محمول على حديث تقدّم عليهما.

وفيما يلي نماذج اخترتها لبعض أساليب هذا الباب ووجوه إعرابها:

ل اختيار نصب الاسم المشتغل عنه إذا وقع بعد عاطف تقدّمته جملة فعلية.

ومن أمثلة ذلك:

رأيتُ زيداُ وعمراً كلمته.

(١) انظر كتاب سيويه ١: ١٤٢ - ١٤٣.

(٢) انظر البحر المحيط لأبي حيان ٣: ٤٧٦ ، ٦: ٤٢٧.

(٣) انظر كتاب سيويه ١: ١٤٤.

(٤) القياس في النحو د. منى إلياس ط/١ دار الفكر ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م دمشق ص ٥٦.

(٥) انظر كتاب سيويه ١: ١٣٩ - ١٤٠.

رأيتُ عبداً لله زويداً مررتُ به.

لقيتُ قيساً وبكراً أخذتُ أباه^(١).

اختار سيويه النصب هنا لأنه يحسن عطف جملة فعلية على مثلها. والرفع عربي جيد إذا قلت: لقيتُ زيداً وعمرو كلمته ، على الابتداء^(٢).

ب - جواز الرفع والنصب إذا وقع الاسم المتقدم بعد جملة ذات وجهين.

ومن أمثلة ذلك:

عمرو لقيته زويداً كلمته.

عمرو لقيته زويداً كلمته^(٣).

ومسوغ جواز الوجهين أنك إذا حملت على الصدر رفعت ، وإذا حملت على

العجز نصبت.

وتقول هذا ضاربٌ عبداً لله زويداً يمرُّ به بنصب زيد عطفاً على عبد الله ،

ويجوز الرفع بتقدير: وهذا زيدٌ يمرُّ به. ومثل ذلك: هذا ضاربٌ زيدٌ غداً وعمراً

سيضربه إذا حذف التووين وأردت معناه. ويُلاحظ وضوح المثال بتأكيد عمل

الوصف بقرينة (غداً)^(٤).

ج - ما الوجه فيه رفع الاسم المشتغل عنه.

ومن أمثلة ذلك:

إنَّ زيداً فيها وعمرو أدخلته.

لقيتُ زيداً وإذا عبداً لله يضره عمرو.

لقيتُ زيداً وأما عمرو فقد مررتُ به.

(١) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيويه: ١ : ٨٨.

(٢) انظر كتاب سيويه ١ : ٩٠.

(٣) انظر المثالين ونحوهما في كتاب سيويه ١ : ٩٤.

(٤) انظر كتاب سيويه ١ : ٩٣.

ما أحسنَ عبدَ اللهَ وزيدٌ قد رأيناه^(١) .

إنَّ عاملَ ضعيفٍ ليس له قُوَّةُ الفعلِ وتصرّفه ، وكذلك فعلُ التعجبِ في المثالِ الأخيرِ ، لأنَّهُ يلزمُ صورةَ واحدةٍ ، ولهذا قوّيَ الرفعُ في المثالينِ . وإذا وأمّا مبتدأَ بعدهما الكلامَ فلا يليهما الفعلُ في الأصلِ . ولهذا قوّيَ أيضاً رفعُ الاسمِ بعدهما^(٢) .

د - اختيارُ نصبِ الاسمِ المشغولِ عنه بعدَ همزةِ الاستفهامِ

ومن ذلك في كتابِ سيويه:

أعبدَ اللهَ ضربتَه .

أزیداً مررتَ به .

أعمراً قتلتَ أخاه^(٣) .

وإنّما اختيرَ النصبُ لأنَّ الهمزةَ يليها الفعلُ غالباً ، والرفعُ عربيٌّ جيّدٌ .

ويعرضُ سيويه أساليبَ أخرى يتوقفُ الرفعُ أو النصبُ فيها على إعرابِ السبيِّ

ومن ذلك:

أعبدُ اللهَ ضَرَبَ أخوهَ زيداً .

أعبدَ اللهَ ضَرَبَ أخاهَ زيداً^(٤) .

السبيِّ (أخوه) فاعلُ فارتفعَ عبدُ اللهَ كما ارتفعَ سبيتهُ ، والسبيِّ (أخاه) مفعولٌ

به فانتصبَ عبدُ اللهَ كما انتصبَ سبيتهُ . ولا تنكسرُ هذه القاعدةُ إذا قدّمتَ السبيِّ

أو أخرتهُ نحو: أعبدُ اللهَ ضَرَبَ زيداً أخوهَ ، وأعبدَ اللهَ ضَرَبَ زيداً أخاهَ^(٥) .

(١) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيويه ٩٥-٩٦ .

(٢) انظر كتاب سيويه ٩٥-٩٦ .

(٣) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيويه ١٠١ .

(٤) انظر المثالين في كتاب سيويه ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٥) انظر السابق نفسه ١٠٢-١٠٣ .

ويُنْبَهُ سيبويه إلى أَنَّ الفصل بالأجنبيّ يحول دون النصب نحو: أنت عبدُ الله ضربته. فالمبتدأ (أنت) فَصَلَّ بين همزة الاستفهام وبين الاسم. ولا يمتنع النصب إذا فصلت بالظرف نحو: أكلتُ يومَ زيداً تضربه ، كأنَّك قلت: أزيداً تضربه كلَّ يوم^(١).

هـ - جريان الوصف العامل مجرى الفعل فيما تقدّم.

من أمثلة ذلك في كتاب سيبويه:

أزيداً أنت ضاربٌ له.

أعمراً أنت مُكْرِمٌ أخاه.

أزيداً أنت محبوسٌ عليه.

الدارَ أنت نازلٌ فيها^(٢).

ويدخل في ذلك أمثلة المبالغة. قال سيبويه: (وسمعنا مَنْ يقول: أمّا العسلَ فأنا

شْرَابٌ)^(٣).

وإذا لم يجرِ الوصف مجرى الفعل فالوجه الرفع نحو:

أعبدُ الله أنت رسولٌ له.

أعبدُ الله أنت له عديلٌ.

أعبدُ الله أنت له جليسٌ.

أكلتُ يومَ أنت فيه أميرٌ^(٤).

الرسول والعديل والجليس والأمير في هذه الأمثلة أسماء بمنزلة عجوز ووصيف لا

تجري مجرى الفعل. والأسماء لا تصلح للتفسير.

و- ومّا الوجه فيه الرفع أن يكون الفعل أو الوصف في حيز الصلة نحو:

(١) انظر كتاب سيبويه ١: ١٠٤ - ١٠٥ وشرح الكافية للرضي ١: ١٦٨.

(٢) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيبويه ١: ١٠٨ - ١٠٩.

(٣) انظر كتاب سيبويه ١: ١١١.

(٤) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيبويه ١: ١١٧.

أخوأك اللذان رأيت.

أعبدُ الله أنت الضاربه.

أذَكَرُّ أن تَلَدَ نَاقَتُك أحبُّ إليك أم أنثى^(١).

لم ينتصب الاسم المتقدم لأن رأيت في المثال الأول صلة اللذين ، والضاربه في المثال الثاني بمنزلة الذي ضربه ، وتلد في المثال الثالث مؤول مع أن بمصدر كأنه قال: أذَكَرُّ نتاجُها .

ز- ويختار الرفع لوقوع الاسم في موضع المبتدأ أو الخبر نحو:

إني زيدٌ لقيته.

أنا عمروٌ ضربته.

ليتني عبدُ الله مررتُ به^(٢).

ويعلل سيبويه للنصب في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلْقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٣). بأنه

على قول مَنْ قال: زيدا ضربته ، وهو عربي كثير^(٤).

وعلة النصب عند السيرافي أنه يوجب عموم الخلق ، ولا يظهر هذا المعنى جلياً

إذا رفعت ، لجواز أن يكون (خلقناه) نعتاً لشيء (بقدر) خيراً لكل ، فيوهم هذا أن

ما خلقه منها خلقه بقدر ، فلا يكون فيه دلالة على خلق الأشياء كلها^(٥).

(١) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيبويه ١: ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١.

(٢) انظر السابق نفسه ١: ١٤٨.

(٣) القمر: ٤٩.

(٤) انظر كتاب سيبويه ١: ١٤٨.

(٥) انظر شرح السيرافي بهامش كتاب سيبويه ١: ١٤٨. وإملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات

في جميع القرآن للعكبري ، تحقيق: إبراهيم عطوة ج٢ / ط دار الحديث ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م القاهرة ص ٢٥٠.

ويوازن سيبويه بين الأساليب ليريك وجوه الرفع أو النصب. فمن ذلك: كنتُ عبدُ الله لقيته بالرفع لأنَّهُ في موضع الخبر. وتقول: كنتُ أخاك وزيداً مررتُ به ، بنصب زيد لأنَّ الفعل (كان) أنفذ إلى المفعول (الخبر) ثمَّ ضممتُ إليه اسماً وفعلًا^(١).

ح - ويختار نصب الاسم المتقدم في الأمر والنهي والدعاء.

فمثال الأمر والنهي:

زيداً اضربه.

عمراً امرره به.

خالداً اضرب أباه.

زيداً اشتر له ثوباً.

أمأ زيداً فاقتله.

أمأ خالداً فلا تشتم أباه^(٢).

ويجوز الرفع نحو: عبدُ الله فاضربه ولكن بتقدير: هذا عبدُ الله حتى لا تدخل

الفاء على الخبر.

ومثال الدعاء:

اللهمَّ زيداً فاغفر ذنبه.

زيداً فاصلح شأنه.

عمراً ليجزه الله خيراً.

زيداً قطع الله يده.

زيداً أمر الله عليه العيش^(٣).

ويجوز الرفع في الدعاء كما جاز في الأمر والنهي.

(١) انظر كتاب سيبويه ١: ١٤٨.

(٢) انظر السابق نفسه ١: ١٣٨.

(٣) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيبويه ١: ١٤٢.

ط - ويختار النصب إذا وقع الاسم بعد ما ولا النافيتين نحو:

ما زيدا ضربته.

لا زيدا قتلته.

ما عمراً لقيتُ أباه^(١).

وإذا عملت ما على لغة أهل الحجاز قلت: ما زيداً ضربته وما عمرو لقيت

أباه^(٢).

(١) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيويه ١: ١٤٥.

(٢) انظر السابق نفسه ١: ١٤٦.

المبحث الخامس: نماذج من أمثلة التوابع .

عُنِيَ سيبويه بالتوابع وإعرابها ، وأثرها المعنوي في الجملة. وقدّم نماذج لأنواعها وأساليبها. وربما لا نجد مثل هذا العرض الشامل في كثير من كتب النحو المتأخّرة ، لأنّ النحويين المتأخّرين اهتمّوا أكثر بالتبوع وإعرابه ، ومن ثمّ أوجزوا الكلام في التابع باعتبار أنّه يُعرب بإعراب المتبوع. وكأنّ الشكل الإعرابي هو الهدف المطلوب.

أمّا سيبويه فقد نظر إلى التوابع نظرة شاملة استوفى من خلالها أوجه الإعراب وأساليب التبعية وربط كلّ ذلك باستقامة المعنى وصحّته. وفيما يلي أمثلة مختارة من أبواب التوابع:

أولاً: النعت

١- نعت النكرة بالنكرة.

ومن أمثلة ذلك:

مررتُ برجلٍ ظريفٍ قبل.

مررتُ برجلٍ مثلكَ.

مررتُ برجلٍ خيرٍ منكَ.

مررتُ برجلٍ غيرك^(١).

في المثال الأول النعت نكرة ، وفي بقية الأمثلة النعت اسم لا يتعرف بالإضافة ويلزم التنكير.

٢- نعت المعرفة بالمعرفة

ومن أمثلة ذلك:

مررتُ بزيدٍ أخيكَ.

مررتُ بزيدٍ الطويلِ.

(١) انظر المثال الأول في كتاب سيبويه ١: ٤٢١ وبقية الأمثلة ص ٤٢٣.

مررت بزبيدٍ هذا^(١).

فَالْعَلْمُ يُوصَفُ بِالْمُضَافِ إِلَى مَعْرِفَةِ كَالْمِثَالِ الْأَوَّلِ ، أَوْ بِالْمَحَلِّيِّ بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ كَمَا فِي الْمِثَالِ الثَّانِي ، أَوْ بِالْإِشَارَةِ كَمَا فِي الْمِثَالِ الثَّلَاثِ.

٣- الجمع والتفريق في النعت والمنعوت

عرض سيويه بعض صور النعت مع المنعوت. فمن ذلك أن يتعدد النعت لمنعوت واحد ، نحو: مررتُ برجلٍ عاقلٍ كريمٍ مسلمٍ ، تجري كلها على الأوَّل^(٢).

ومن ذلك أن يُجْمَعُ المنعوت ويُفَرَّقُ النعت نحو:

مررتُ برجلينِ مسلمٍ وكافرٍ.

مررتُ بثلاثةِ نفرٍ رجلينِ مسلمينِ ورجلٍ كافرٍ.

ويجوز في هذا الضرب البدل ، كما يجوز القطع إلى الرفع بتقدير: هما مسلمٌ

وكافرٌ ، وهما رجلانِ مسلمانِ ورجلٌ كافرٌ^(٣).

ومن ذلك أيضاً أن يفرَّقَ النعت ويجمع المنعوت نحو: مررتُ برجلٍ وامرأةٍ وحمارٍ

قيامٍ. ولا يجوز الرفع في هذه الصورة ، لأنَّه إنَّما يحسن في التبويض كما

في قولك:

مررتُ برجلينِ مسلمٍ وكافرٍ^(٤).

وتقول مررتُ بأربعةٍ صريعٍ وجريحٍ ، بالرفع كأنك قلت: منهم صريعٌ ومنهم

جريحٌ. ولا يحسن الجرُّ على النعت لاختلاف العِدَّةِ ، لأنَّ الصريعَ والجريحَ غيرَ

الأربعة^(٥).

(١) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيويه ٢: ٦ ، وانظر كذلك التصريح على التوضيح ٢: ١١٠ - ١١١.

(٢) انظر كتاب سيويه ١: ٤٢٢.

(٣) انظر السابق نفسه ١: ٤٣١ - ٤٣٢.

(٤) انظر السابق نفسه ١: ٤٣٤.

(٥) انظر السابق نفسه ١: ٤٣٤.

ويلاحظ في هذه الصور والأساليب حسن انتقاء المثال ووضوحه ليسهل على طالب اللغة أن يميّز بين وجوه الإعراب.

٤- النعت بالاسم الجامد

لا يُنعت بالاسم الجامد ، ولهذا استقبح سيبويه: له خاتمٌ حديدٌ ، وهذا خاتمٌ طينٌ. وذكر أن من العرب من يقول: مررتُ بقاعٍ عرفجٍ كلُّه ، يجعلونه كأنّه وصف^(١).

ومن ذلك أيضاً مررتُ برجلٍ أسدٍ أبوه ، في معنى شديدٍ أبوه ، أو على التشبيه بحذف المضاف كأنك قلت: مثل الأسد^(٢).

وقد ذهب المرّّد إلى التأويلين فقال في مثال سيبويه: (لأنّه وضعه في موضع شديدٍ أبوه)^(٣). وقال في موضع آخر: (ألا ترى أنّ قولك: زيدٌ أسدٌ معناه مثل الأسد ، فقد حذف المثل وأنت تريده ولولا تقدير المثل لم يكن كلاماً)^(٤).

فالمرّّد متابع لسيبويه ولم يقتصر على التأويل بحذف المضاف كما يفهم من عبارة الرضي في شرح الكافية^(٥).

وذهب ابن الحاجب إلى أنّ الاشتقاق ليس شرطاً في النعت خلافاً لما توهمه كثير من النحويّين لغلبة النعت بالمشتق. ويكفي عنده أن يكون الوصف دالاً على معنى في متبوعه ، ولا فرق بين أن يكون مشتقاً أو غيره^(٦).

وكأن ابن الحاجب يذهب إلى أنّ دلالة الوصف على معنى في متبوعه وضعيّة. ويُشكل على ذلك أنّ دلالة الرجل مثلاً على معنى الكمال ليست من أصل الوضع.

(١) انظر كتاب سيبويه ٢: ٢٤.

(٢) انظر المسابغ نفسه ٢: ٢٩.

(٣) المقتضب للمرّد ١: ٢٥٩.

(٤) انظر المسابغ نفسه ١: ٣٤١.

(٥) انظر شرح الكافية للرضي ١: ٣٠٦.

(٦) انظر المسابغ نفسه ١: ٣٠٣.

ومثل ذلك دلالة الأسد على الشجاعة أو الشدة. ويشكل عليه أيضاً قولهم: مررتُ
برجلٍ طينٍ خائمه ، فليس لهذا معنى في متبوعه إلا على سبيل التأويل بالمشتق ، لأنَّ
التشبيه فيه ضعيف إذا قلت: مثل طينٍ خائمه.

٥- نعت ما اختلف إعرابه

اشترط سيبويه في المنعوت المتعدد أن يكون إعرابه متحداً من جهة واحدة. فإن
اختلف الإعراب أو اختلفت جهته لم يجوز النعت.

ومن أمثلة ذلك في كتاب سيبويه:

هذا رجلٌ معه رجلٌ قائمٍ.

مررتُ برجلٍ مع امرأةٍ ملتزمين.

فوق الدارِ رجلٌ وقد جئتُك برجلٍ آخرَ عاقلينِ مسلمينِ.

اصنع ما سرَّ أخاك وأحبَّ أبوك الرجلانِ الصالحانِ^(١).

لا يجوز إعراب قائمٍ في المثال الأول صفة ، لاختلاف جهة إعراب الموصوف.
فرجل الأول خبر ورجل الثاني مبتدأ. والوجه نصب قائمٍ على الحال من الضمير في
معه.

ولا يجوز إعراب ملتزمين في المثال الثاني صفة لاختلاف جهة الإعراب ، لأنَّ
رجلاً مجرور بالحرف ، وامرأة مجرور^١ بالإضافة. والوجه نصب ملتزمين على الحال
من الضمير المقدر في (مع).

وفي المثال الثالث اختلف إعراب المنعوت ، فرجل الأول مبتدأ والثاني مجرور
بالحرف ، والوجه نصب عاقلين مسلمين على المدح.

وفي المثال الرابع اختلف الإعراب أيضاً لأنَّ الأخ مفعول به ، والأب فاعل ولهذا
قُطِعَ إلى الرفع كأنَّه قال: هما الرجلانِ الصالحانِ. ويجوز نصب على المدح.

(١) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيبويه ٢: ٥٧.

ومذهب سيويه مبني على أن العامل في النعت والمنعوت شيء واحد ، لأنَّ النعت جزء من المنعوت. ولهذا وافق شيخه الخليل في منع الإتياع إذا اتحد الإعراب واختلف العامل نحو: هذا رجلٌ وفي الدار آخر كريمين. فالمنعوت مرفوع ولكن اختلف عامل الرفع لأنَّ رجلاً خيراً ، وآخر مبتدأ. ومثل ذلك: قد أتاني رجلٌ وهذا آخر كريمين ، لأنَّهما لم يرتفعا من وجه واحد. والوجه في المثالين النصب على المدح ولا يجوز الرفع على الإتياع^(١).

وجوز الكسائي الإتياع إذا تقارب معنى العاملين وإن اختلف الإعراب نحو: ضربت زيدا والمهان عمرو الظريفان ، لأنَّ الضرب إهانة فكأنَّهما مهانان معاً^(٢).

٦- ما يحتمل الحالية والوصفية

يوازن سيويه بين الأساليب وما تحتمله من وجوه الإعراب فيعرض بعض الأمثلة التي يجوز فيها إعراب الاسم حالاً أو صفة. ومن أمثلة ذلك:

مررت برجلٍ معه صقرٌ صائدٌ به ، ويجوز صائداً.

نحن قوم ننتقل عامدون إلى بلد كذا ، ويجوز عامدين إلى بلد كذا.

مررت برجلٍ معه باز قابضٌ على آخر ، ويجوز قابضاً على آخر^(٣).

والمعنى عند سيويه يُقوي وجهاً من الإعراب ويضعف الآخر. تقول: مررتُ

برجلٍ معه كيسٌ مختومٌ عليه. الوجه رفع مختوم صفة لقوله كيس. ويجوز النصب على

الحال عند من أجازها في نحو: هذا رجلٌ ذاهباً^(٤).

ويضعف الجرُّ على التبعية لأنَّه لا يحسن أن تصف الرجل بأنه مختومٌ عليه.

(١) انظر كتاب سيويه ٢ : ٥٩ .

(٢) انظر شرح الكافية للرضي ١ : ٣١٥ .

(٣) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيويه ٢ : ٤٩ .

(٤) انظر السابق نفسه ٢ : ٥٢ .

ومثل ذلك: هذا رجلٌ عاقلٌ لبيبٌ ، الوجه رفع لبيب صفة ثانية للرجل. وإذا قلت: لبيباً على الحال ، فهذا ضعيف في المعنى لأنك تدعي أنه عاقلٌ في حال كونه لبيباً^(١).

ثانياً البدل:

مثل سيويه لأساليب البدل وأنواعه. وهو حين يعرض هذه الأساليب لا يغفل وجوه الإعراب التي تجوز فيها تبعاً لاستقامة المعنى. وهذه نماذج من أساليب البدل وأنواعه:

١- بدل المعرفة من النكرة

ومن أمثلة ذلك:

مررتُ برجلٍ عبدِ الله.

مررتُ بقومِ عبدِ الله وزيدٍ وخالدٍ.

ويجوز في المثالين ونحوهما القطع إلى الرفع كأنه قيل للمتكلم: مَنْ هو؟ فقال:

عبدُ الله. والقطع في المفرق - كالمثال الثاني - أحسن^(٢).

٢- بدل المعرفة من المعرفة

ومن ذلك:

مررتُ بعبدِ الله زيدٍ.

وهذا يجري على بدل الغلط أو النسيان أو الإضراب. والمعنى الحقيقيّ المرور بزيد ولكن المتكلم غلط أو نسي أو أضرَب عن الأول.

ومن ذلك: مررتُ بعبدِ الله أخيك ، ويجوز في هذا المثال ونحوه القطع إلى الرفع

كأنه قيل للمتكلم: مَنْ عبد الله؟ فقال: أخوك^(٣).

(١) انظر هذيل المثلث في كتاب سيويه ٢: ٥١.

(٢) انظر السابق نفسه ٢: ١٤ - ١٥.

(٣) انظر السابق نفسه ٢: ١٦.

٣- بدل بعض لإزالة الإبهام بذكر الخاص بعد العام

ومن أمثلة ذلك في كتاب سيويه:

رأيتُ قومك أكثرهم.

رأيتُ بني زيدٍ ثلثيهم.

رأيتُ بني عمك ناساً منهم.

صرفتُ وجوهها أولها.

فهذا الأسلوب يجري عند سيويه على وجهين:

الأول: أنه أراد: رأيتُ أكثرَ قومك ، ورأيتُ ثلثي بني زيدٍ ، وهكذا في بقية

الأمثلة ، ولكنه نسي الاسم توكيداً.

والثاني: أن يقول: رأيتُ قومك فيبدو له أنه أبهم على السامع فيبين ما يعني

بقوله: ثلثيهم أو ناساً منهم^(١).

قال الرضي معلقاً على الوجه الأول: (وهذا الذي قاله قريب إلا أنه بالتفسير بعد

الإبهام أشبه)^(٢).

وأحسب أن هذا ما قصد إليه سيويه ، لأنه لم يُرد التوكيد الاصطلاحي وإن

استشهد في هذا المقام بقوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةَ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾^(٣). وإنما

قصد إلى تقوية الكلام وإيضاحه بذكر العام أولاً ثم تفصيله وبيانه بذكر الخاص. وفي

هذا الأسلوب جذب لانتباه المخاطب بذكر الأمر الكلي الذي يتبعه الإطناب

للتخصيص والبيان. وهذا - في تقديري - معنى التثنية الذي قصد إليه سيويه ، لأن

فيه ضرباً من التوكيد البياني.

(١) انظر كتاب سيويه ١: ١٥٠ - ١٥١.

(٢) شرح الكافية للرضي ١: ٣٣٩.

(٣) الحجر: ٣٠ وانظر كتاب سيويه ١: ١٥٠ - ١٥١.

وهناك مواضع من نحو هذا تدل على ريادة سيبويه لمبادئ علم المعاني الذي تطوّر فيما بعد على أيدي علماء البلاغة ، وبخاصة عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) (١).

٤- البذل الذي يجوز أن يجري بجري التوكيد

ومن أمثله في كتاب سيبويه:

ضُرِبَ عَبْدُ اللَّهِ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ.

ضُرِبَ زَيْدٌ الظَّهْرُ وَالبَطْنُ.

قُلِبَ عَمْرٌو ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ.

مُطِرْنَا سَهْلُنَا وَجَبَلُنَا.

مُطِرْنَا السَّهْلُ وَالجَبَلُ (٢).

فالأمثلة الثلاثة الأولى يمكن أن تجرى على بدل البعض ، والمثالان الأخيران على بدل الاشتمال. ومع ذلك فإن هذا الأسلوب يفيد معنى الشمول فيجري بجري التأكيد كأنك قلت: ضُرِبَ عَبْدُ اللَّهِ كُلَّهُ ، وَمُطِرَتْ أَمَاكِنَا كُلُّهَا.

وقد سمع نصب الظهر والبطن ، والسهل والجبل نحو:

ضُرِبَ زَيْدٌ الظَّهْرَ وَالبَطْنَ.

مطرنا السهل والجبل.

قُلِبَ زَيْدٌ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ.

فهذا كقولهم: دخلت البيت ، وذهبت الشام مما سمع فيه نصب المكان المختص على الظرفية. وزعم الخليل أنهم يقولون: مُطِرْنَا الزَّرْعَ وَالضَّرْعَ. ولم يعلق سيبويه على هذه الرواية مع أنه قصر السماع على السهل والجبل ، والظهر والبطن. وربما سمع سيبويه عن طريق يونس أو غيره ثم أضاف إلى ذلك سماع الخليل (٣).

(١) ستأتي أمثلة لذلك في المبحث التالي إن شاء الله.

(٢) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيبويه ١: ١٥٨.

(٣) انظر هذه الأمثلة وما حولها في كتاب سيبويه ١: ١٥٩.

وظاهر مذهب سيويه أَنَّ النصب في نحو: قلب زيدَ ظهره وبطنه على نزع الخافض ، لأنَّ المعنى قَلْبَ على ظهره وبطنه ، كما يقال: نُبْتُ زيداُ قال ذاك ، أي عن زيد^(١)

وقد توقّف بعض المحقّقين في نحو: ذهبتُ الشام وتوجّهت مكة ، لأنّه بمعنى إلى ، والوجه فيه النصب بنزع الخافض توسعاً^(٢).

٥- البديل المباين

المقصود بالبديل المباين بدل الغلط والنسيان وبدل الإضراب. وقد ذكر سيويه أمثلة البديل المباين في (باب المبدل من المبدل^{منه} أو المبدل يشرك المبدل منه في الجر)^(٣). واختيار الجرّ هنا على سبيل التمثيل لا التخصص ، بدليل قوله في آخر الباب: (واعلم أنّ المنصوب والمرفوع في الشركة والبديل كالمجروور)^(٤).

ومن أمثلة سيويه:

مررتُ برجلٍ حمارٍ.

مررت برجلٍ بل حمارٍ.

فهذا ونحوه عند سيويه على وجهين: وجه محال ، ووجه حسن. فأما المحال فأن تعني أنّ الرجل حمار. والوجه الحسن أن يكون المتكلم مرّ بحمار ولكنه غلط أو نسي فتدارك كلامه. أو بدا له أن يضرب عن ذكر الرجل ويجعل مكانه الحمار لسبب من الأسباب^(٥).

(١) انظر كتاب سيويه ١: ١٥٩.

(٢) انظر حاشية الخضري ١: ١٩٦ - ١٩٧.

(٣) كتاب سيويه ١: ٤٣٩.

(٤) انظر السابق نفسه ١: ٤٤١.

(٥) انظر كتاب سيويه ١: ٤٣٩.

ويظهر من تمثيل سيبويه استبعاد المجاز ، لأنَّه يخرج المثال من البديل إلى النعت إذا أُوِّل الحمار بمعنى البليد.

ثالثاً: التوكيد

يسمِّي سيبويه التوكيد صفة^(١)، ولكنه مع ذلك فرَّق بينه وبين الصفة التي تكون للتحلية ، نحو: الطويل ، أو للقراءة نحو: أخيك ، وصاحبك ، أو للتخصيص بالمبهم نحو: مررتُ بصاحبك هذا^(٢).

وقد عرض سيبويه أمثلة كثيرة لأنواع التوكيد وأساليبه ، ما يجوز منها وما لايجوز ، وما يحسن أو يقبح منها. وهذه طائفة مختارة من أمثله:

١- التوكيد المعنويّ

ومن أمثله: مررتُ به نفسه ، ومعناه مررت به بعينه^(٣).

ومن أمثله مما يفيد الشمول:

مررتُ بهم كلهم.

مررتُ بهم أجمعين أكتعين.

مررتُ بهم جميعهم^(٤).

٢- التوكيد اللفظيّ

لم يجمع سيبويه أمثلة هذا الضرب من التوكيد في مبحث واحد ، وإنما ذكر

بعض أمثله في مواضع من كتابه ، ومن ذلك:

لقيتُ عمراً عمراً^(٥).

(١) انظر كتاب سيبويه ٢: ٣٥١ ، ٣٥٩ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ وغيرها.

(٢) انظر السابق نفسه ٢: ١١.

(٣) انظر السابق نفسه ٢: ١٢ ، ٣٨٥.

(٤) انظر السابق نفسه ٢: ١١.

(٥) انظر كتاب سيبويه ٢: ١٢٥.

أَيْهُمَا عِنْدَكَ عِنْدَكَ^(١).

وَحَقُّكَ وَحَقُّكَ^(٢).

٣- أمثلة أحكام التوكيد

ومن ذلك:

أ. قبح توكيد النكرة نحو: مررتُ برجلٍ نفسه^(٣).

ب. جواز توكيد الضمير المجرور بالنفس نحو: مررتُ بِكَ نفسك^(٤).

ج. قبح توكيد الضمير المرفوع المتصل بالنفس نحو: فعلتَ نفسك ، فهذا لا يجوز إلا إذا أُكِّد بالضمير المنفصل نحو: فعلتَ أنتَ نفسك^(٥).

د. جواز توكيد الضمير المرفوع المتصل بأجمعين نحو: فعلتُم أجمعون ، وإنما جاز ذلك بأجمعين ولم يجرز بالنفس ، لأنَّ النفس تخرج عن التوكيد إلى معانٍ أخرى كالابتداء نحو: نفسُ الجبلِ مقابلي ، والجرُّ بالحرف نحو: نزلت بنفسِ الجبلِ ، وأجمعون لا تستعمل في غير الشمول^(٦).

وهذا ممَّا يؤكِّد عناية سيبويه بالمعنى والحرص على عدم التباسه بغيره ،

وبخاصة إذا كان الضمير مستتراً نحو: هند ذَهَبَتْ نفسها ، فقد يحتمل المعنى فاعليَّة النفس فَيَتَوَهَّمُ أَنَّهَا ماتت. ومثل ذلك: هند ذَهَبَتْ عَيْنُهَا ، فقد يُفْهَمُ مِنْهَا أَنَّهَا عَمِيَّتْ^(٧).

(١) انظر كتاب سيبويه ٣: ١٧٢.

(٢) انظر السابق نفسه ٣: ٥٠٢.

(٣) انظر السابق نفسه ٢: ٣٨٦.

(٤) انظر السابق نفسه ٢: ٣٨١.

(٥) انظر السابق نفسه ٢: ٣٧٩.

(٦) انظر السابق نفسه ٢: ٣٧٩.

(٧) انظر همع الموامع ٢: ١٢٢.

٥. يجوز تأكيد ضمير النصب المنفصل بالنفس نحو: إياك نفسك أن تفعل. أما إذا عيّنت تأكيد الفاعل المضمّر فيجب الفصل نحو: إياك أنت نفسك أن تفعل^(١).
 و. يجوز قطع التوكيد بالنفس إلى الرفع أو النصب. ومثال ذلك في كتاب سيويه:
 مررت بزيدٍ وأتاني أخوه أنفسهما. فقد أجاز الخليل القطع إلى الرفع على معنى: هما صاحباي أنفسهما ، والقطع إلى النصب بتقدير: أعنيهما^(٢).
 وهذا يردُّ ما ذهب إليه السيوطي وغيره من أن التوكيد لا يُقطع إلى الرفع أو النصب^(٣).

رابعاً: عطف النسق

مثل سيويه لحروف النسق ويُن معانيها وأثرها في الأسلوب. ومن ذلك:

١- مررت بزيدٍ وعمرو

الواو لمطلق الجمع ولا تفيد ترتيباً معيناً. فقد يكون المبدوء به في المرور عمراً أو زيداً. وقد يكون المرور واحداً. وقد يكون مرورين. ونفي المرور الواحد: ما مررت بزيدٍ وعمرو. ونفي المرورين: ما مررت بزيدٍ وما مررت بعمرو^(٤).

٢- مررت بزيدٍ فعمرو

الفاء للتعقيب وقد أشركت بين الاسمين في المرور ولكن والمبدوء به الأول.

والنفي: ما مررت بزيدٍ فعمرو^(٥).

٣- مررتُ برجلٍ ثمَّ امرأةٍ

ثمَّ أشركت بين الاسمين في المرور مع التراخي. والمبدوء به الأول والنفي:

(١) انظر كتاب سيويه ١: ٢٧٧.

(٢) انظر السابق نفسه ٢: ٦٠.

(٣) انظر همع الموامع ٢: ١٢٥.

(٤) انظر كتاب سيويه ١: ٤٣٨ ، ٤: ٢١٦.

(٥) انظر السابق نفسه ١: ٤٣٨ ، ٤: ٢١٧.

ما مررتُ برجلٍ ثمَّ امرأةً^(١).

٤- مررتُ برجلٍ أو امرأةً

أو أشركتُ بين الاسمين في الإعراب ، ولكن المرور لأحدهما دون الآخر.
والنفي ما مررتُ بواحدٍ منهما ، أو مامررتُ بفلانٍ منهما إذا أثبتَّ المرور لأحدهما
ونفيته عن الآخر^(٢).

٥- مررتُ برجلٍ لا امرأةً

أشركتُ لا بين الاسمين في الإعراب وأثبتتُ المرور للأول دون الآخر^(٣).

٦- ما مررتُ برجلٍ كريمٍ بل لقيمٍ

تأتي بل للعطف إن تلاها مفرد بعد نفي أو نهي ، فتشرك بين الاسمين في
الإعراب وتقرّر حكم ما قبلها ولكنها تثبت نقيضه لما بعدها كمثال سيويه: ما
مررتُ برجلٍ كريمٍ بل لقيمٍ.

وإذا عطف بها بعد الإثبات أفادت الإضراب عن الأول وأثبتت الحكم الثاني.

ومثال ذلك في كتاب سيويه: مررتُ برجلٍ صالحٍ بل طالحٍ^(٤).

٧- رأيتُ القومَ حتّى عبدَ الله

حتّى العاطفة بمنزلة الواو ، وإذا قلتُ رأيتُ القومَ حتّى عبدَ الله فكأنك قلت:

رأيتُ عبدَ الله مع القوم كما كان رأيتُ القومَ وعبدَ الله على ذلك^(٥).

وحتّى العاطفة تشرك بين الاسمين في الإعراب والحكم. والعطف بها قليل ، وله

شروط منها: أن يكون المعطوف بعضاً من جمع نحو: قدم الحجاجُ حتّى المشاة ، أو

(١) انظر كتاب سيويه ١ : ٤٣٨.

(٢) انظر كتاب سيويه ١ : ٤٣٨ وانظر معاني (أ) ٣ : ١٧٥ - ١٧٨.

(٣) انظر كتاب سيويه ١ : ٤٣٩.

(٤) انظر السابق نفسه ١ : ٤٣٤ ، ٤ : ٢٢٣ ومعني اللبيب ١٥٢.

(٥) انظر كتاب سيويه ١ : ٩٦.

جزءاً من كُلِّ نحو: آكلتُ السمكةَ حتَّى رأسها ، أو بمنزلة الجزء نحو: راقني فلانٌ حتَّى حديثه. ومن شروطها أيضاً أنّها لا تعطف الجمل^(١).

٨- ما مررتُ برجلٍ صالحٍ لكنّ طالحٍ

لكن المحففة من الحروف التي تشرك بين النعتين فيجريان على المنعوت كما أشركت بينهما الواو والفاء وثمّ وما أشبه ذلك^(٢).

وذهب بعض النحويين إلى أنّ الخفض في مثال سيويه بجمارٍ مُقدّرٌ دلّ عليه المذكور^(٣)؛ وهذا غير لازم لما تقدم من جواز العطف بهذا الحرف.

ويُعطف بـ(لكن) بعد النفي كمثال سيويه ، وبعد النهي نحو: لا يقيم زيد لكنّ

عمرو^(٤).

٩- أم

تأتي أم متصلة نحو: أزيدٌ عندك أم عمرو ، وسواء على أبشراً كلّمتُ أم زيدا ، ومنقطعة نحو: إنّها لإبلٌ أم شاء وتكون حينئذٍ للإضراب بمعنى بل^(٤).

(١) انظر مغني اللبيب لابن هشام ص ١٧١ - ١٧٢.

(٢) انظر كتاب سيويه ١: ٤٣٥.

(٣) انظر مغني اللبيب ص ٢٨٣ - ٢٨٤.

(٤) انظر كتاب سيويه ٣: ١٦٩ - ١٧٢.

المبحث السادس: عناية سيويه بالمعنى وأثر ذلك في تطور علوم البلاغة
قدّمتُ فيما سبق نماذج من أمثلة كتاب سيويه غير المرويّة. ولا أزعّم أنّ هذه
النماذج تغطّي كلّ أبواب الكتاب التي عقدها سيويه للمباحث النحويّة. وإنّما
حاولتُ أن أنتخب نماذج من أمثلة الجملة وتوابعها لأبيّن من خلال ذلك مقدرة
سيويه في معالجة التراكيب والأساليب من حيث الصحة والخطأ ، والقوّة والضعف ،
والحسن والقبح.

وسرّدتُ في أثناء هذا المبحث نماذج أخرى متى كان ذلك ضرورياً أو مناسباً.
وأحسب أنّ ما قدّمته وما سيتبعه من نماذج كاف لاستخلاص بعض الملاحظات
العامّة ، وأهمّها في تقديري:

١- اعتماد سيويه في توضيح القاعدة وفروعها على المثال ، وهذه الأمثلة التي
أنشأها سيويه أو من نقل أو روى عنهم تعبّر عن المستوى الرفيع الذي وصل إليه
الدرس اللغويّ عموماً ، والنحويّ على وجه الخصوص في القرن الثاني الهجريّ.
كما تكشف هذه الأمثلة أيضاً عن فكر اللغويّين والنحويّين المتقدّمين وتصوّرهـم
للدرس النحويّ في ضوء لغات العرب.

٢- يمثّل كتاب سيويه مرحلة متقدّمة بالقياس إلى المراحل التي سبقته. ومع ذلك
فإنّ النحويّين المتأخّرين وقفوا عند بعض الحدود التي رسمها سيويه ، ولم يستكملوا
المنهج الشامل الذي خطّه لمعالجة الأساليب ودراستها في ضوء المعاني التي قد تتداخل
كما رأينا في أمثلة البدل والتوكيد والحال والنعته وغيرها.

وفي هذه المزاوَجَة إثراء للدرس النحويّ ، وخروج به إلى حيّز أرحب من
القوالب النحويّة الجافّة التي ربّما يملُّ طالب اللغة متابعتها.

٣- اهتم سيويه بأثر المتكلّم في الأسلوب. ولكن ليس معنى ذلك أن تُطلّق اللغة
لهوى المتكلّم يتصرّف فيها أنّى شاء.

وأحسب أن موقف سيبويه من المتكلم يدلُّ على ذكاء وسعة أفق ، لأنَّ المتكلم الذي يتحدَّث اللغة السليمة بالفطرة ليس عنصراً ثابتاً في كلِّ العصور. وكانَّ سيبويه أدرك بخبرته أنَّ طالب اللغة سيحتاج إلى مورد غنيِّ بالأساليب الفصيحة ، يستوي في ذلك ما رُوِيَ عن العرب الموثوق بهم أو ما قيس على كلامهم وأساليبهم.

ولا شك في أنَّ سيبويه عنيَّ بالعوامل وترتيبها قوَّة وضعفاً ، وأنَّه بنى على ذلك كثيراً من الأحكام. غير أنَّ نظرية العوامل جزء من الفكرة الشاملة التي تظهر جليَّة في كتاب سيبويه. وأعني بذلك تقديم نماذج متكاملة من الأساليب والتراكيب ، يتبع الإعراب فيها المعنى. وعلى هذا الأساس يُحكم على الأساليب والتراكيب تبعاً لصحة المعنى واستقامته.

٤- إنَّ الملاحظة الهامة التي سيعني بها هذا البحث هي عناية سيبويه بالمعنى واعتباره أساس الإعراب. فمتى ما كان المعنى سليماً صحَّ الإعراب. وفساد المعنى يعني فساد الإعراب أيضاً.

لقد فتح اهتمام سيبويه بالمعنى وربط الإعراب به مجالاً واسعاً هيئاً لعلماء البلاغة - فيما بعد - دراسة الأسلوب من حيث مطابقته لمقتضى الحال.

وأذهب إلى أنَّ محاولة سيبويه للكشف عن المعاني كانت النواة الأولى التي انطلق منها علماء البلاغة إلى تأسيس علم المعاني إلى أن تطوَّر على أيديهم وأصبح فناً مستقلاً له قواعده وأحكامه.

وقد أحسن الدكتور محمد علي الرِّيح وأصاب حين انتهى في إحدى مقالاته إلى (أنَّ سيبويه بنظره في أوجه الخلاف بين التراكيب وبنقده لهذه الأوجه يمكن أن يُعتبر من الرواد الأوائل الذين مهَّدوا لظهور علم المعاني)^(١) إلا أنَّ الدكتور الرِّيح اقتصر

(١) الأساليب العربية في الكتاب ، مقال للدكتور محمد علي الرِّيح نشر بمجلة كانوا التي تصدرها كلية عبد الله بايرو - جامعة أحمد بيلو ، نيجيريا ، العدد الثاني يونيو ١٩٦٦ م ص ٢٥ من الجزء العربي.

على نماذج قرّر فيها سيويه مسايرة الإعراب للمعنى ، ولم يوضح كيف أنّ علماء المعاني بنوا أصول هذا الفنّ على المبادئ التي أرساها سيويه .

وقد ذكر سيويه في التمهيد لكتابه علاقة اللفظ بالمعنى ومن ذلك: (اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتّفاق اللفظين واختلاف المعنيين)^(١) .

ومثال الأوّل في كتاب سيويه: جلس وذهب ، ومثال الثاني: ذهب وانطلق ، ومثال الثالث: وجدت من الموجدة ، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة^(٢) . وهذه الأمثلة غير مضمّنة في نسخة السيرافي ومع ذلك فإنّها تحتمل عنده وجهين: الوجه الأوّل: أن يكون سيويه أراد باللفظين الكلمتين . وعلى هذا المعنى فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين نحو: دار ، وثوب ، وإنسان ونحو ذلك ممّا اختلف لفظاً ومعنى .

واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: القعود والجلوس . واتّفاقهما والمعنى مختلف نحو: العين لآلة البصر ، ولعين الماء ، ولعين القوم الذي يبحث لهم عن الأخبار ، إلى غير ذلك من معاني العين .

والوجه الثاني: أن يكون أراد باللفظين الحركتين ، وعلى هذا المعنى فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين قولك: في التعجب: ما أحسن زيداً ، وفي النفي: ما أحسن زيداً وفي الاستفهام ما أحسن زيداً .

واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: إنّ زيداً قائمٌ ، وزيدٌ قائمٌ . معناهما واحد ولفظهما مختلف .

واتّفاق اللفظين واختلاف المعنيين نحو: ضُربَ عمروٌ زيداً ، فإذا قلت: ضُربَ

(١) كتاب سيويه ١ : ٢٤ .

(٢) انظر السابق نفسه ١ : ٢٤ .

زيدٌ صار المفعول مرفوعاً كلفظ الفاعل والمعنى مختلف^(١).

وبعض الأمثلة التي ذكرها السيرافي ليست دقيقة تماماً في بيان هذه الفروق. فالعين قد تطلق مجازاً على المعاني التي ذكرها. واختلاف اللفظ والمعنى واحد في نحو: إنَّ زيدا قائمٌ ، وزيدٌ قائمٌ لا يُسَلَّم به ، لأنَّه إذا لم يعتدَّ بحرف التوكيد في زيادة المعنى كان اللفظ في المثالين متفقاً.

ومثال اختلاف اللفظ واتفاق المعنى في الكتاب : ذهبَ وانطلقَ ، وهذا غير دقيق أيضاً ، ولو كان المعنى فيهما واحداً لقل: ذهب الفرس. وأرجح أن سيويه اكتفى بذكر الأنواع ولم يمثل لها في الباب ، وإنما أحال القارئ إلى متن الكتاب بقوله: (وسرى ذلك إن شاء الله تعالى)^(٢). وربما حاول شراح الكتاب والمعلقين عليه التمثيل لهذه الأنواع فأصابوا في بعض الأمثلة ، وأخفقوا في أخرى.

وقد حاولتُ أن أستخرج أمثلة لهذه الأنواع من كتاب سيويه تكون مناسبة لتفسير معنى الاتفاق والاختلاف على النحو التالي:

١- اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين

وأمثلة ذلك كثيرة جداً ، لأنَّ الأصل أن يختلف المعنى إذا اختلف اللفظ. ومن ذلك ليتَ للتمنيِّ ، وليس للنفي ، وعسى للرجاء.

٢- اختلاف اللفظين والمعنى واحد

من أمثلة ذلك في كتاب سيويه قول العرب: ما جاءت حاجتك ، كأنَّه قال: ما صارت حاجتك. فقد اختلف اللفظان في المثالين والمعنى واحد^(٣).

(١) انظر شرح كتاب سيويه للسيرافي ج/٢ تحقيق د. رمضان عبد التواب الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م ص٦٩ - ٧١.

(٢) كتاب سيويه ١: ٢٤.

(٣) انظر السابق نفسه ١: ٥٠.

٣- اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين

من أمثلة ذلك رأى المتعدية إلى مفعول واحد إذا أردت رؤية العين ، فمعناها يختلف عن رأى المتعدية إلى مفعولين بمعنى عَلِمْتُ ، كقول الأعمى: رأيتُ زيداً الصالح. ومثل ذلك وجد المتعدية إلى مفعول واحد إذا أردت وجدان الضالة ، فمعناها يختلف عن وجد بمعنى عَلِمَ المتعدية إلى مفعولين نحو: وجد عبدُ الله زيداً ذا الحفاظ^(١).

ومن ذلك أيضاً: أَظُنُّ زيداً منطلقاً ، بمعنى ظَنُّ في هذا المثال يختلف عن قولك: ظننتُ زيداً ، بمعنى اتَّهَمْتُ زيداً^(٢).

وفي موضع آخر يُقسَّم سبويه الكلام من حيث الاستقامة والإحالة إلى الأنواع الآتية:

- أ. مستقيم حسن ، نحو: أتيتك أمس وسأتيك غداً.
 - ب. محال ، نحوك أتيتك غداً ، وسأتيك أمس.
 - ج. مستقيم كذب ، نحو: حملتُ الجبلَ ، وشربتُ ماءَ البحر.
 - د. مستقيم قبيح ، نحو: قد زيداً رأيتُ ، وكبي زيداً يأتيتك.
 - هـ. محال كذب ، نحو: سوف أشربُ ماءَ البحرِ أمس^(٣).
- وأهم ما يُلاحظ في هذا التقسيم أمران:
- الأول: مطابقة الكلام للواقع.
- والثاني: وضع اللفظ في الموضع المناسب.

(١) انظر كتاب سبويه ١: ٣٩ - ٤٠.

(٢) انظر كتاب سبويه ١: ١١٩ ، ١٢٦.

(٣) انظر هذه الأقسام في الكتاب ١: ٢٥ - ٢٦.

وعلم المعاني عند البلاغيين يُعرف به أحوال اللفظ من حيث مطابقتها لمقتضى الحال. واختلفوا بعد ذلك في معنى صدق الخبر وكذبه ، فقبل المراد بصدقه مطابقة حكمه للواقع ، وكذبه عدم مطابقتها للواقع. وذهب فريق منهم إلى أنَّ صدق الخبر مطابقتها لاعتقاد المخبر ولو كان ذلك الاعتقاد لا يطابق الواقع حقيقة. وكذب الخبر عدم هذه المطابقة في اعتقاد المخبر أيضاً^(١).

ويظهر أنَّ سيويه بنى هذا التقسيم على الحقيقة المجردة ، وإلا فإنَّ ما سمَّاه كذباً نحو: حملتُ الجبلَ ، وشربتُ ماءَ البحر سائغ إذا حُمِلَ على المجاز. وإنما أراد سيويه أنَّ يبيِّن ادِّعاء نحو هذا على الحقيقة كذب. وفي هذا دلالة على دقَّة التعبير ، لأنَّه لم يقل إنه محال وليس فيه لفظ في غير موضعه.

ومَّا يضعف الأسلوب أن يكون تأليف الكلام على خلاف القانون النحوي المشهور بين الجمهور^(٢). ومن هذا القبيل أمثلة سيويه: قد زيدا رأيتُ وكى زيدا يأتيك. فالألفاظ لم توضع في موضعها الصحيح ولهذا اختلَّ التركيب وصار قبيحاً ضعيفاً.

فهذه من المبادئ التي أشار إليها سيويه في كتابه ، ثم تناولها علماء البلاغة بعد ذلك بالتفصيل والإضافة.

وقد أكد سيويه في مواضع من كتابه على ربط الإعراب بالمعنى وبين أنَّ الإعراب الصحيح لا ينقض المعنى. ومن ذلك:

(١) انظر تقرير الشمس الأنبائي على شرح سعد الدين التفتازاني ، تلخيص المفتاح وحاشيته الشهيرة بالتحريد في علم المعاني والبيان والبدیع ج/١ ط/١٣٣٠هـ السعادة مصر ص ٣٦٦ ، ٣٩٥ - ٤٠٣ .

(٢) انظر تقرير الشمس الأنبائي على شرح السعد التفتازاني تلخيص المفتاح ، وحاشيته الشهيرة بالتحريد في علم المعاني والبيان والبدیع ١: ٢٣٦ .

لـ العامل الثاني في مبحث التنازع أولى بالعمل (لقرب جواره وأنه لا ينقض معنى) (١).

ب - في قولهم: امرأ ونفسه ، الواو بمعنى مع (كأنه قال: دع امرأ مع نفسه ... وإن شئت لم يكن فيه ذلك المعنى... كأنه قال: دع امرأ ودع نفسه ، فليس ينقض هذا ما أردت في معنى مع من الحديث) (٢).

وعلى هذا الأساس فرّق سيويه بين الأساليب من حيث المعنى وبين الصحيح منها والضعيف ، وقدم نماذج للأسلوب المكتمل شكلاً ومعنى. ومن أمثلة ذلك:

لـ مررتُ برجلٍ أو امرأةٍ.

قد مررتُ برجلٍ أو امرأةٍ.

فرّق سيويه بين هاتين العبارتين بحسب المعنى الذي يقصد إليه المتكلم. فالمثال الأول يثبت المرور لأحد المذكورين ، لأنَّ الشك وقع من المتكلم ابتداءً فعادل بين الرجل والمرأة في دعوى المرور.

أمَّا في المثال الثاني فإنَّ اليقين وقع ابتداءً ، ثمَّ جعل المتكلم مكان اليقين شكاً أبدله منه. ولا يخفى أثر (قد) في توجيه هذا المعنى (٣).

ب - مررتُ به فإذا له صوتٌ صوتَ حمار.

مررتُ به فإذا له صراخٌ صراخَ الثكلى.

صوت حمار وصراخ الثكلى انتصباً بفعل مضمر ، والتقدير: يصوتُ صوتَ حمار ، ويصرخُ صراخَ الثكلى. وإنما انتصب المصدر هاهنا ، لأنَّ قوله: (له) في المثالين يؤذن بأنَّ هناك عملاً أو فعلاً محسوساً. فكأنَّ قوله: له صوتٌ وله صراخٌ بمنزلة هو يصوتُ وهو يصرخُ ، فانتصب المصدر بعامل مضمر على هذا المعنى.

(١) كتاب سيويه ١: ٧٤.

(٢) انظر السابق نفسه ١: ٢٧٤ - ٢٧٥.

(٣) انظر كتاب سيويه ١: ٤٣٨.

ويختار سيبويه الرفع في نحو:

هذا صوتٌ صوتٌ حمارٍ.

عليه نوحٌ نوحٌ الحمامِ.

وإنما اختار الرفع هنا ، لأنَّ هذا صوت ، وعليه نوحٌ لا تدلان على الفاعل. وهذا

يفترق عن قولك: له صوتٌ ، لأنَّ في هذا دلالة على الفاعل.

والرفع في المثالين على البدل ، أو القطع بتقدير: هو صوتٌ حمار ، وهو نوحٌ

الحمام^(١).

ومما يختار فيه الرفع أيضاً:

له علمٌ علمٌ الفقهاء.

له رأيٌ رأيٌ الأصلاء.

هذا الأسلوب قد يكون قريباً من حيث الشكل بقولك: له صوتٌ وله صراخٌ ،

ولكن الفرق بين الأسلوبين أنَّ قولك: له صوتٌ وله صراخٌ يدلُّ على فعل

علاجي^(٢). وقولك: له علمٌ ، وله رأيٌ يدلُّ على أمر معنوي. ولهذا اختار سيبويه

الرفع في المثالين ، لأنَّ المصدر فيهما يدلُّ على معنى غير محسوس يلاحظ فيه الوصف

والحلية ، ولم يُرد المتكلم أن يخبر عن حدث صادر من المكنى عنه في المثالين.

والنصب ضعيف ، ووجهه أن يقصد المتكلم أنه مرَّ بالمكنى عنه في حال تعلُّم أو

تدبُّن ولم يستكمل. وهذا بعيد ، لأنَّ قولك: له علمٌ وله رأيٌ ونحوهما بمنزلة

الصفة^(٣).

(١) انظر كتاب سيبويه ١: ٣٦٥.

(٢) الفعل العلاجي ما دل على محسوس كالضرب والقتل ونحو ذلك.

(٣) انظر كتاب سيبويه ١: ٣٦١ - ٣٦٢.

ويجوز رفع المصدر التشبيهي في السعة. ومثال ذلك: له صوتٌ صوتٌ حمار. فقولك: له صوتٌ إشعار بالفعل المحسوس ، وإنما ارتفع صوت حمار على السعة فكأنه قال: له صوتٌ مثلُ صوت حمار.

ولا يجوز في هذا المثال ونحوه البدل ، لأنَّ الصوت الثاني ليس من جنس الصوت الأول^(١).

وأجاز الخليل: له صوتٌ صوتٌ الحمار ، على الصفة وإن كان الصوت الأول نكرة والثاني معرفة. وإنما أجازها لأنه على التشبيه ، كأنه قال: مثلُ صوت الحمار ، لأنَّ (مثل) لا تعرف بالإضافة إلى معرفة. وأنكر سيبويه مذهب شيخه وقال: (لو جاز هذا لقلت: هذا قصيرٌ الطويلُ ، تريد: مثلُ الطويل)^(٢).

ويختار سيبويه رفع المصدر أيضاً في نحو:

له صوتٌ صوتٌ حسنٌ.

وإنما اختار الرفع هنا ، لأنَّ الصوت الثاني هو الأول ، فكأنه قال: له صوتٌ حسنٌ. وذكر الصوت الثاني توكيداً.

والرفع في هذا المثال على البدل أو الصفة أو على القطع بتقدير هو صوتٌ حسنٌ^(٣).

ج - ذكر سيبويه أنَّ حتى تنصب المضارع على وجهين:

الأول: أن يكون ما بعدها غاية لما قبلها نحو: سرتُ حتى أدخلها.

والثاني: أن تكون بمعنى كي فيكون ما قبلها معلقاً بما بعدها نحو: كلمته حتى

يأمر لي بشئ.

ويرتفع الفعلُ بعدها على وجهين:

(١) انظر كتاب سيبويه ١: ٣٦١.

(٢) انظر السابق نفسه ١: ٣٦١.

(٣) انظر كتاب سيبويه ١: ٣٦٣.

الأول: أن يتصل ما بعدها بما قبلها نحو: سرتُ حتى أدخلها ، إذا كنت تعني أن سيرك أتصل بدخولك.

والثاني: أن يكون ما قبلها قد مضى وانقطع ، وما بعدها في الحال نحو: لقد مرضتُ حتى لا يرجونه الآن ، فحتى هنا حرف من حروف الابتداء^(١).

ويلاحظ أن الباب يقوم أساساً على المعنى الذي يقصد إليه المتكلم ، ولهذا أورد سيويه: سرتُ حتى أدخلها بالنصب والرفع بحسب المعنى الذي يقصد إليه المتكلم.

فهذه المواضع وغيرها تدل على عناية سيويه بالمعاني والتمييز بين الأساليب على هذا الأساس من حيث القوة والضعف ، والحسن والقيح.

وقد أخذ علماء المعاني هذه المبادئ التي بثها سيويه في كتابه ، ولكنهم توسعوا فيها ، ووضعوا لها أصولاً وقواعد تقوم على القرائن ومطابقة الكلام لمقتضى الحال ، فاستقل هذا الفن وتطور على أيديهم بعد ذلك.

يقول عبد القاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة (واعلم أن غرضي في هذا الكلام الذي ابتدأته ، والأساس الذي وضعته أن أتوصل إلى بيان أمر المعاني كيف تنفق وتختلف ، ومن أين تجتمع وتفرق ...) ^(٢).

فالجرجاني يحدد هدفه من تقصي المعاني والوقوف على مواضع اتفاقها واختلافها ، لأن بلاغة الكلام تقوم على استقامة التركيب وسلامة المعنى.

وتظهر هذه الفكرة بوضوح حين يُعرف الجرجاني النظم بقوله: (اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الرضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيع عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت

(١) انظر كتاب سيويه ٣: ١٦ - ١٨.

(٢) أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجة ط/٢ ١٣٩١/١٩٧٦م القاهرة ص ١١٨.

لك فلا تخلّ بشئٍ منها^(١). ثمّ يقول عقب ذلك: (فلست بواحد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً ، وخطوه إن كان خطأ إلى النظم ، ويدخل تحت هذا الاسم إلا هو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه ووضع في حقّه ، أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه واستعمل في غير ما ينبغي له)^(٢).

وفكرة النظم عند الجرجاني تقوم على ربط الكلام بعضه ببعض ، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة النحو ، وما ينشأ عن الكلمات حين تتغير مواضعها من المعاني المتحددة المختلفة. والمعاني التي تنشأ من الإسناد هي معاني النحو وأحكامه ، ومن ذلك تبرز المعاني التي يعبر بها المتكلم عن قصده^(٣).

ويتحدث الجرجاني عن التقديم وفوائده في التنبية، ويذكر أنّ سيويه أشار إلى ذلك في المفعول إذا قدّم فرُفِعَ بالابتداء نحو: عبدُ الله ضربته ، فقال: إنّما قلت: عبدُ الله فنبّهت له ثمّ بنيت عليه الفعل ورفعته بالابتداء^(٤).

وفي هذا دليل على أنّ سيويه كان يقترب من المعاني البلاغية للأساليب وإن لم يمسه ممساً مباشراً. ويكفي أنّ وضع المبادئ العامة التي بنى عليها العلماء من بعده ، فاستحقّ بهذا أن يكون من الرواد الأوائل الذين مهدوا لظهور علم المعاني.

ويمكن أن يُعدّ سيويه من الرواد الأوائل في علم البيان. فقد طرق في كتابه بعض مباحث هذا الفنّ ، وبخاصة المجاز. ومن أمثلة ذلك:

١- اجتمعت اليمامة ، أي أهل اليمامة^(٥).

(١) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، بتعليق محمود محمد شاكر ، ط/٢ مكتبة الخانجي ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م القاهرة ص ٨١.

(٢) انظر السابق نفسه ص ٨٢ - ٨٣.

(٣) انظر البيان العربي ، د. بدوي طبانة ط/٥ دار العودة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م بيروت ص ١٦٥ ، ١٦٨.

(٤) دلائل الإعجاز للجرجاني ص ١٣١. وانظر كتاب سيويه ١: ٨١. وفي نسخة هارون: فتمتبه له ، وفي بولاق ١: ٨١ فتمتته. وهذا قريب من نسخة الجرجاني.

(٥) انظر كتاب سيويه ١: ٥٣.

- ٢- بنو فلان يطوهم الطريق ، يعني أهل الطريق^(١) .
- ٣- أنت أكرم عليّ من أن أضربك . بمعنى أنت أكرم علي من صاحب الضرب .
وليس المراد أنت أكرم علي من الضرب^(٢) .
- ٤- أهنتُ زيداً وأعطيتُ زيداً (تعني أخاه) ، وإنما ساغ ذلك اتّساعاً ومجازاً ، لأنّ
المعنى: أنك أهنتُ زيداً بإهانتك أخاه ، وأعطيتُ الأخ لمكان زيد في نفسك^(٣) .
- ٥- اجتمعَ القيظُ . والمعنى: اجتمع الناس في القيظ^(٤) .
- ٦- سير عليه الدهرُ . والمعنى بعض الدهر ، وإنما ساغ هذا اتّساعاً في الكلام لأنّه
أراد أن يبالغ كما يقول الرجل : جاعني أهل الدنيا ، وعسى أن لا يكون جاءه إلا
خمسة فاستكثرهم^(٥) .
- ٧- أكلتُ أرض كذا وكذا ، وأكلتُ بلدة كذا وكذا ، يعني أنّه أصاب من
غيرهما^(٦) .
- ٨- بُسِطَ عليه مرّتان ، يريد بُسِطَ عليه العذابُ مرّتين^(٧) .

(١) انظر كتاب سيويه ١ : ٢١٣ .

(٢) انظر السابق نفسه ١ : ٢١٣ .

(٣) انظر السابق نفسه ١ : ٨٣ .

(٤) انظر السابق نفسه ١ : ٢١٥ .

(٥) انظر السابق نفسه ١ : ٢١٨ .

(٦) انظر السابق نفسه ١ : ٢١٤ .

(٧) انظر كتاب سيويه ١ : ٢٣٠ .

الفصل الثالث:

منهج سيبويه في عرض الأمثلة غير المروية.

المبحث الأول: تحديد الهدف العام للدرس بالمثل

المبحث الثاني: الإطار العام للأمثلة للدرس النحوي في كتاب سيبويه.

المبحث الثالث: وضوح أمثلة سيبويه وحسن اختيارها.

المبحث الرابع: تنوع الأمثلة وأثر ذلك في استيعاب جزئيات القاعدة

أتبع سيبويه منهجاً مميّزاً في التمثيل يدلّ على ذكاء وسعة أفق. وقد استهدف في هذا المنهج تذليل القاعدة الكلية وفروعها حتى تكون في متناول طالب اللغة. ولم يلتزم سيبويه بأسلوب واحد في عرض الأمثلة ، وإنما كان ينوع في أساليب العرض تبعاً لما تقتضيه طبيعة الدرس.

ويمكن تلخيص معالم هذا المنهج من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: تحديد الهدف العام للدرس بالمثال:

التزم سيبويه في معظم أبواب الكتاب التي عقدها بتفسير عنوان الباب بالأمثلة ، لأنّ العنوان قد يكون طويلاً مسهباً لا تُدرك أبعاده ، وقد يكون موجزاً يغمض على الطالب فهم محتواه. فإذا أتبع العنوان بالمثال أتضح الهدف ، وتحدّد الإطار العام للقاعدة التي عقد لها الباب.

يستهلّ سيبويه الباب في معظم موضوعات الكتاب بعبارة: (وذلك قولك) أو ما يقرب منها معنىً ، ثمّ يذكر بعد ذلك الأمثلة التي تحدّد الإطار العام للدرس. ومن أمثلة ذلك:

١- (هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول ، وذلك قولك: ضَرَبَ عَبْدُ اللَّهِ زيداً)^(١).

٢- (هذا باب تحخير فيه عن النكرة بنكرة ، وذلك قولك: ما كان أحدٌ مثلك)^(٢).

٣- (هذا باب صار الفاعل فيه بمنزلة الذي فعل في المعنى وما يعمل فيه. وذلك قولك: هذا الضاربُ زيداً)^(٣).

٤- (هذا باب الرفع فيه وجه الكلام ، وهو قول العامة. وذلك قولك: مررتُ

(١) كتاب سيبويه ١: ٣٤.

(٢) انظر السابق نفسه ١: ٥٤.

(٣) انظر السابق نفسه ١: ١٨١.

بسرّجٍ خَزٌّ صَفْتُهُ ، ومررتُ بصحيفةٍ طينٍ خاتَمُها^(١) .

٥- (هذا باب يكرّر فيه الاسم في حال الإضافة ويكون الأول بمنزلة

الآخر. وذلك قولك: يا زيدَ زيدَ عمرو ، ويا زيدَ زيدَ أحمنا ، ويا زيدَ زيدنا)^(٢) .

٦- (هذا باب آخر من أبواب إنَّ. وذلك قولك: قد قاله القوم حتّى إنَّ زيدا يقوله

، وانطلق القوم حتّى إنَّ زيدا لمنطلق)^(٣) .

٧- (هذا باب ما تُقلب فيه الواو ياءً وذلك إذا سكنت وقبلها كسرة. فمن ذلك

قولهم: الميزان والميعاد)^(٤) .

والأمثلة من نحو ذلك كثيرة جداً في الكتاب^(٥) .

ومّا يدلُّ على أثر هذه الأمثلة في تحديد مضمون العنوان أنّ سيويوه

أورد بعض العناوين الغامضة إلا أنّ الأمثلة التي تلتها أزالها هذا الغموض.

ومن ذلك:

(هذا باب ما لا يعمل فيه ما قبله من الفعل الذي يتعدى إلى المفعول ولا غيره

... وهو قولك: قد علمتُ أعبداً اللهُ ثمَّ أم زيداً ، وقد عرفتُ أبو منَّ زيداً)^(٦) .

وقد دلَّ المثال على أنّ سيويوه يعني تعليق الفعل عن العمل الظاهري في لفظ

المفعول ، وهو ما اختصره النحويون بعد ذلك باسم التعليق.

(١) انظر كتاب سيويوه ٢ : ٢٣ .

(٢) انظر السابق نفسه ٢ : ٢٠٥ .

(٣) انظر السابق نفسه ٣ : ١٤٣ .

(٤) انظر السابق نفسه ٤ : ٣٣٥ .

(٥) انظر مثلاً كتاب سيويوه ١ : ١٢٧ ، ١٥٠ ، ١٦٤ ، ١٧٥ ، ١٨١ ، ٢ : ٢٨ ، ٣٦ ، ٥٧ ، ٨٨ ، ١١٤ ،

١٧٤ ، ٢٢٥ ، ٣٧٦ ، ٣ : ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ، ٤ : ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٨١ ، ١١٣ ، ١٤٢ .

(٦) انظر السابق نفسه ١ : ٢٣٥ - ٢٣٦ .

ومن ذلك أيضاً: (هذا باب ما يكون من الأسماء صفة مفرداً وليس بفاعل ولا صفة تشبهه بالفاعل كالحسن وأشباهه. وذلك قولك: مررتُ بجيِّة ذراعٍ طولها...) (١).

والمثال يدلُّ على أنَّ المقصود النعت السيِّي الجامد.

وقد يبدأ سيبويه الباب بتمهيد يسير للقاعدة. مثال ذلك: (هذا باب الابتداء. فالمبتدأ كلُّ اسم ابتدئ ليُبني الكلام عليه) (٢).

ومن التمهيد أيضاً قوله: (هذا باب ما يُختار فيه النصب وليس قبله منصوب يُسِيّ على الفعل وهو باب الاستفهام و ذلك أنَّ من الحروف حروفاً لا يذكر بعدها إلاّ الفعل ولا يكون الذي يليها غيره ، مظهراً أو مضمراً) (٣).

وقد يستهلُّ سيبويه الباب بالتعليل له مسبقاً نحو: (هذا باب ما لا يعمل في المعروف إلاّ مضمراً. وذلك لأنَّهم بدؤوا بالإضمار لأنَّهم شرطوا التفسير وذلك نووا ، فجرى ذلك في كلامهم هكذا) (٤).

والمقصود هنا التعليل لإضمار فاعل زعم وبئس وما جرى مجراهما في المدح والذم ، وذلك إذا فسّر هذا الفاعل بنكرة نحو: زعم رجلاً زيدً ، وبئس رجلاً الكاذبُ. ورُبَّما يذكر سيبويه الحكم في صدر الباب ثمَّ يتبع ذلك بالأمثلة مفصلاً ما أجمله. ومن ذلك قوله في مستهلِّ باب النداء (واعلم أنَّ النداء كلُّ اسم مضاف فيه فهو نصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره. والمفرد رفعٌ وهو في موضع اسم منصوب) (٥).

(١) كتاب سيبويه ٢ : ٢٨ .

(٢) انظر السابق نفسه ٢ : ١٢٦ .

(٣) انظر السابق نفسه ١ : ٩٨ .

(٤) انظر السابق نفسه ٢ : ١٢٥ .

(٥) انظر السابق نفسه ٢ : ١٨٢ .

فالمنادى بمنزلة المفعول به ، والأصل فيه النصب بفعل لا يجوز إظهاره. ويبنى إذا كان مفرداً ، ويكون في هذه الحال في موضع اسم منصوب. وتأتي الأمثلة بعد ذلك موضحة تفصيل هذه القاعدة ، ولغات العرب في النداء ، ومذاهب شيوخ سيويه وغيرهم في مسائل الباب^(١).

(١) انظر كتاب سيويه ٢ : ١٨٢ - ١٨٨.

المبحث الثاني: الإطار العام لأمثلة الدرس النحوي في كتاب سيويه

أمثلة الدرس النحوي في كتاب سيويه تكاد لا تخرج عن ثلاثة أنماط هي: الأمثلة الرئيسية أو المحورية ، والأمثلة الفرعية ، والأمثلة المساعدة. فالأمثلة الرئيسية أو المحورية تُعنى بتوضيح القاعدة الكلية التي عُقد لها الباب ، وتمثل الهدف العام للدرس.

أما الأمثلة الفرعية فتدور حول تفاصيل القاعدة وجزئياتها وبيان ما يجوز من الأساليب وما لا يجوز وما يستثنى من القاعدة العامة وما يشذ عنها. والأمثلة المساعدة لا تكون لها - في غالب الأمر - علاقة مباشرة بموضوع الدرس المستهدف ، وإنما يأتي بها سيويه لتقوية حكم بنظيره ، أو لتعليل بعض وجوه الإعراب ونحو ذلك.

وهذا الإطار لا يسلم أحياناً من التداخل ، كأنَّ تتقدم الأمثلة الفرعية على غيرها ، أو يتحول بعضها إلى أمثلة رئيسة تنبثق عنها أمثلة أخرى تدور في فلكها. ومع ذلك فإنَّ الشكل العام لهذه الأنماط يبدو واضحاً في أغلب أبواب الكتاب. وفيما يلي نماذج من أمثلة كتاب سيويه حاولتُ أن أرصد من خلالها هذه الأنماط ، ومن ثمَّ تصنيفها في ثلاثة الأقسام التي حددتها في مستهل هذا المبحث.

النموذج الأول:

(هذا باب ما ينتصب من الأسماء التي ليست بصفة ولا مصادر لأنَّه حال يقع فيه الأمر فينتصب لأنَّه مفعول به)^(١).

موضوع الباب الحال الجامدة. ويمكن تقسيم أمثلته على النحو الآتي:

أه الأمثلة الرئيسية:

١. كلمته فاهُ إلى فيي.

٢. بايعته يداً يد.

(١) كتاب سيويه ١: ٣٩١.

٣. بعتُ الشاءَ شاةً ودرهماً.
 ٤. قامرُته درهماً في درهمٍ.
 ٥. بعتهُ داري ذراعاً بدرهمٍ.
 ٦. بعتُ البرَّ قفيزين بدرهمٍ.
 ٧. أخذتُ زكاةَ ماله درهماً لكلِّ أربعين درهماً.
 ٨. بينتُ له حسابه باباً باباً.
 ٩. تصدّقتُ بمالي درهماً درهماً^(١).
- ويلاحظ في هذه الأمثلة تنوع أساليب الحال الجامدة.

ب - الأمثلة الفرعية ، ومنها:

١. كلمته فوه إلى فيي.
٢. كلمته ويدٌ بيد.
٣. كلمته فاه.
٤. بايعته يداً.
٥. بعتُ داري ذراعاً.
٦. بينتُ له حسابه باباً.
٧. تصدّقتُ بمالي درهماً^(٢).

جملة فوه إلى فيي في موضع الحال. ولا يجوز كلمته ويدٌ بيد على الحال ، لأنه لا

يفيد معنى التعجيل والمناجزة.

أما كلمته فاه وما يليه من الأمثلة فلا يجوز على الحال ، لأن هذا الأسلوب لا ينفرد منه شيء دون ما بعده. وإذا قلت: تصدّقتُ بمالي درهماً ربّما توهم المخاطب

(١) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيويه ١: ٣٩١ - ٣٩٢.

(٢) انظر السابق نفسه ١: ٣٩١ - ٣٩٣.

أَنَّكَ تَصَدَّقْتَ بِدِرْهَمٍ وَاحِدٍ. وَكَذَلِكَ إِذَا قُلْتَ: بَيَّنْتُ لَهُ حَسَابَهُ بِأَبٍ، قَدْ يَرَى الْمُخَاطَبُ أَنَّكَ بَيَّنْتَ بِأَبٍ وَاحِدًا. وَهَكَذَا فِي بَقِيَةِ الْأَمْثَلَةِ.

ج - الأمثلة المساعدة. ومنها

١- كَانَ السَّمْنُ مَنْوِينٍ

يُرِيدُ مَنْوِينٍ بِدِرْهَمٍ، وَإِنَّمَا حَذَفُوا الدِّرْهَمَ اسْتِغْنَاءً لِلْعَلْمِ بِهِ. وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَقْيِسَ عَلَى هَذَا الْحَذْفِ فَتَقُولَ مِثْلًا: بَايَعْتُهُ يَدًا، تَرِيدُ: بَايَعْتُهُ يَدًا يَدًا^(١).

٢- مَرَرْتُ أَخَاكَ

لَا يَجُوزُ حَذْفُ الْبَاءِ، وَالْوَجْهُ: مَرَرْتُ بِأَخِيكَ. وَإِنَّمَا أَتَى سَبِيؤُهُ بِهَذَا الْمِثَالِ لِإِيرِكَ أَنَّ قَوْلَهُمْ: رَجَحْتُ الدِّرْهَمَ دِرْهَمًا مَحَالٌ حَتَّى تَقُولَ: فِي الدِّرْهَمِ وَلِلدِّرْهَمِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَذْفِ حَرْفِ الْجُرِّ وَرَبِّيَّتِهِ، لِأَنَّكَ لَا تَقُولُ: مَرَرْتُ أَخَاكَ^(٢).

النموذج الثاني:

(هذا باب ما يُقَدَّمُ فِيهِ الْمُسْتَشْنَى)^(٣).

أ- الأمثلة الرئيسة

١- مَا فِيهَا إِلَّا أَبَاكَ أَحَدًا.

٢- مَا لِي إِلَّا أَبَاكَ صَدِيقِي.

الوجه في المستثنى أن يكون بدلاً لا مُبدلاً منه، فَلَمَّا تَقَدَّمَ عَلَى الْمُسْتَشْنَى مِنْهُ حَمَلُوهُ عَلَى وَجْهِ قَدْ يَجُوزُ إِذَا أَخَّرْتَ الْمُسْتَشْنَى^(٤).

ب - الأمثلة الفرعية. منها:

١- مَا أَتَانِي أَحَدٌ إِلَّا أَبُوكَ خَيْرٌ مِنْ زَيْدٍ.

(١) انظر كتاب سبويه ١: ٣٩٣.

(٢) انظر السابق نفسه ١: ٣٩٥.

(٣) انظر السابق نفسه ٢: ٣٣٥.

(٤) انظر السابق نفسه ٢: ٣٣٥.

٢- ما مررتُ بأحدٍ إلا عمروٌ خيراً من زيدٍ.

٣- مَنْ لي إلا أبوك صديقاً^(١).

أجاز سيويه البدل في المثالين الأولين لأنَّ العامل (أتى - الباء) شُغِلَ بمعموله (أحد) ثمَّ أبدلت من المرفوع والمجرور ووصفت بعد ذلك. وكذلك في المثال الأخير ، لأنَّ: مَنْ لي، جملة من مبتدأ وخبر ، ولهذا ساغ أن يرتفع (أبوك) على البدل من المبتدأ^(٢).

ج- الأمثلة المساعدة. ومنها:

فيها قائماً رجلاً.

الصفة تلي الموصوف. فإذا تقدّمت عليه حملوها على موضع يحسن فيه النصب وهو الحالية. والغرض من هذا المثال التعليل لنصب المستثنى المتقدّم في نحو: ما فيها إلا أباك أحد^(٣).

النموذج الثالث:

باب إذن

أه الأمثلة الرئيسة

١- إذن أجيبك.

٢- إذن آتيك.

(اعلم أن إذن إذا كانت جواباً وكانت مبتدأة عملت في الفعل عمل أرى في

الاسم إذا كانت مبتدأة. وذلك قولك: إذن أجيبك ، وإذن آتيك^(٤).

(١) انظر كتاب سيويه ٢: ٣٣٦.

(٢) انظر السابق نفسه ٢: ٣٣٦.

(٣) انظر السابق نفسه ٢: ٣٣٨.

(٤) انظر السابق نفسه ٣: ١٢.

المثالان يحددان القاعدة العامة لإذن التي ينتصب المضارع بعدها إذا كانت جواباً
وتصدرت الجملة.

ب - الأمثلة الفرعية. ومنها:

١. إذن والله أجيبك ، الفصل بالقسم لا يؤثر في عملها.
٢. فإذاً آتيتك وإذن أكرمك ، جواز الإعمال بعد العاطف.
٣. فإذاً لا أجيبك ، جواز الإلغاء بعد العاطف.
٤. أنا إذن آتيتك ، إلغاء عمل إذن لعدم تصدرها^(١).
٥. إذن أفعلُ ذلك، إلغاء عمل إذن سماعاً في حكاية عيسى بن عمر عن بعض العرب^(٢).

٦. إذن أظنه فاعلاً ، وإذن إخالك كاذباً ، إلغاء عمل إذن لأنَّ المتكلم أراد أن
يخبر أنه في حال ظنٍّ وخيلة^(٣).

ج - الأمثلة المساعدة. ومنها:

- ١- زيدا حسبتُ أخاك.
- ٢- زيداً حسبتُ أخوك.

الهدف من المثالين إيجاد نظير لعمل إذن أو إلغائها إذا توسّطت بين العاطف
والفعل نحو: وإذن أكرمك بالنصب أو الرفع. ونظير هذا جواز إلغاء أو إعمال ظنٍّ
وأخواتها إذا توسّطن بين المعمولين^(٤).

٣- كان أرى زيدا ذاهباً.

٤- إنني أرى ذاهباً.

(١) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيبويه ٣: ١٢ - ١٤.

(٢) انظر كتاب سيبويه ٣: ١٦.

(٣) انظر السابق نفسه ٣: ١٦.

(٤) انظر السابق نفسه ٣: ١٣.

الهدف من المثالين بيان أن إذن إذا توسطت بين الفعل ومعموله ألغى عملها كما ألغى عمل أرى لإقحامها بين العامل ومعموله ، ولهذا تلغى إذن في قولك: أنا إذن آتيك^(١).

فهذه النماذج ونحوها تدلّ على أنّ سيبويه أتبع في عرض الأمثلة منهجاً محكماً استوعب من خلاله القاعدة وتفاصيلها ، ولغات العرب ، ومذاهب شيوخه وغيرهم من علماء عصره.

كما أنّ هذا المنهج أتاح لطالب اللغة ثروة واسعة من الأساليب. يضاف إلى ذلك عناية سيبويه بتصحيح التراكيب ونقدها تبعاً لصحة المعنى ، مع اعتداده بأثر المتكلم في توجيه الأسلوب.

وتكتمل هذه الصورة بالشواهد من القرآن الكريم وكلام العرب شعراً ونثراً.

(١) انظر كتاب سيبويه ٣ : ١٤ .

المبحث الثالث: وضوح أمثلة سيويه وحسن اختيارها:

اختيار المثال الملائم لمحتوى الدرس مسألة تحتاج إلى أناة وفهم لعناصر المادة المستهدفة. والمثال الجيد يختصر الجهد والوقت في توضيح الحقائق والأحكام. وقد اختار سيويه أمثلة واضحة لا لبس فيها ولا غموض. وهي - على وجه العموم - أمثلة قصيرة لا تتجاوز حدود الهدف المرسوم وهو الوصول إلى الحكم بأيسر الطرق.

ولم يعمد سيويه إلى اختبار طالب اللغة بأمثلة طويلة معقدة ، كما صنع المبرّد في الباب الذي عقده لاختبار المتعلمين في النحو ، فأتى بجمل طوال تتداخل أجزاؤها بالتقديم والتأخير ، وتختلط فيها العوامل بالمعمولات كأنها حلقة مفرغة لا يُدرى أين طرفاها^(١).

و لا أحسب أن أمثلة المبرّد في هذا الباب تحقق الأهداف التي رمى إليها ، لأنّ تعقيد المثال - مهما كان الهدف منه - لا يؤدي إلى إكساب المتعلم الخبرة المرجوة. واللغة لا تُكتسب بفك الرموز والعقد وإنما تكتسب بالدربة والمران على النماذج الرفيعة الواضحة.

وقد استهوى هذا الضرب من الأمثلة بعض المتأخرين من النحويين. من ذلك ما نقله السيوطي في تعدد المبتدأ في الجملة الواحدة من نحو: زيدٌ هندٌ الأخوانُ الزيدون ضاربوهما عندها بإذنه. وهذا - كما قال أبوحيان - لا يوجد مثله في كلام العرب البتة ، وإنما وضعه النحويون للاختبار والتمرين^(٢).

(١) من ذلك: الضاربُ الشاتمُ المكرّمُ المعطيّهُ درهماً القائمُ في داره أخوك سوطاً أكرمَ الأكلُ طعامه غلامه زيدٌ عمراً خالدٌ بكراً عبدُ الله أخوك. انظر المقتضب ١: ٢٢.

(٢) انظر همع الفواعل للسيوطي ١: ١٠٨-١٠٩.

ولم يلجأ سيبويه إلى هذا التعقيد ، ولكنه في بعض المباحث الصرفية كالممنوع من الصرف ، والنسب والتصغير وغيرها افترض أمثلة من نحو: «ولو سميت امرأة بضربت ثم حقرت لقلت: ضريبة» ، تحذف التاء وتجيء بالهاء مكانها^(١).

يقرر سيبويه في هذا المثال المفترض أن الفعل الذي تتصل بآخره تاء التانيث الساكنة إذا سُمِّيَ به المونث ثم صغر حذفت منه التاء وحلت مكانها الهاء ، لأنه دخل في حيز الاسمية. وإنما كانت الهاء أولى من علامات التانيث الأخرى ، لشبهها بالتاء الساكنة.

ومما يقرب هذا الشبه أن ما ثبت فيه التاء من الأسماء نحو أخت و بنت أصل التاء فيه هاء بدليل الأخوة والبنوة^(٢). وقد يُوقف على الهاء بالتاء ، سُمِع: طلحت^(٣). ويقول سيبويه: (ولو سميت رجلاً لم يُرد ، أو لم يخف لوجب عليك أن تحكيه)^(٤).

وإنما أوجب سيبويه الحكاية في هذا المثال المفترض ، لأن الحرف عمل في الفعل وهذا يؤذن بأن التركيب صار جملة ، والجمل المسمى بها تحكى. ولو سميت بهذا المثال مجرداً من الجازم لقلت: هذا يريد ، ورأيتُ يريدَ ومررت ببيد ، بغير حكاية وتمنعه من الصرف للعلمية ووزن الفعل.

وظاهر اتجاه سيبويه في الأمثلة التي افترضها هو أن يُريك قوة القياس الصرفي وشموله من حيث مراعاة الأصول والفروع ، وما يقدم من أوجه القياس على غيره من

(١) كتاب سيبويه ٣: ٤٥٥.

(٢) انظر السابق نفسه ٣: ٤٥٥ - ٤٥٦.

(٣) انظر السابق نفسه ٤: ١٦٧.

(٤) انظر السابق نفسه ٣: ٣١٩.

الوجه وما يعتدُّ به من ذلك وما لا يعتدُّ به. وهذا يُثبت أنَّ المسائل التي افترضها سيبويه ليست مقصودة لذاتها ، وإنما الهدف منها الإحاطة والاستقصاء^(١).

وقد اهتمَّ كثير من النحويين بعد سيبويه بهذه المسائل فابنُ جنيِّ عقد باباً في كتابه الخصائص سماه: الغرض في مسائل التصريف ، وهي عنده ضربان ، أحدهما: استحداث أبنية تلحق بكلام العرب نحو إلحاق ضَرَبَ بجعفر. والثاني: التماسك الرياضية والتدريب^(٢).

وذهب الرضي إلى أنَّ مسائل التمرين في التصريف نظير باب الإخبار في النحو، كأنَّ يقال لك: أخبر عن زيد في قولك ضربتُ زيداً فتقول: الذي ضربته زيد^(٣).

وكان للمنافسة العلمية بين العلماء أثر في استحداث أنماط مختلفة من هذه المسائل. فقد رُوِيَ أنَّ أصحاب الكسائيِّ تعمَّدوا أن يُرهقوا سيبويه بمسائل من هذا النحو قبل المناظرة^(٤).

ونقل ابنُ الحاجب مسائل من هذا النوع جرت بين العلماء كأبي عليِّ الفارسيِّ ، وابنِ جنيِّ ، وابنِ خالويه^(٥).

ولعلَّ الإغراق في هذه المسائل والمبالغة في تعقيدها هو الذي دفع ابنُ مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ) إلى الثورة على مسائل التمرين والدعوة إلى إلغائها^(٦).

(١) انظر النحو العربي - العلة النحوية نشأتها وتطورها ، د. مازن المبارك ط/١/ ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م المكتبة الحديثة ص ٦٤.

(٢) انظر الخصائص لابن جني ٢: ٤٨٧ - ٤٨٨.

(٣) انظر شرح شافية ابن الحاجب للرضي ٣: ٢٩٤ - ٢٩٥.

(٤) انظر معني اللبيب لابن هشام ص ١٢٢.

(٥) انظر شرح الشافية ٣: ٣٠١ - ٣٠٢.

(٦) انظر الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي ، دراسة وتحقيق د. محمد عمر البنا ط/١/ دار الاعتصام ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م القاهرة ص ١٣٥.

وإذا استثنينا الأمثلة المفترضة في كتاب سيبويه فإن سائر التمثيل يجري في كتابه سهلاً لا تعقيد فيه. وهذه نماذج من أمثلة سيبويه تدل على ملائمة المثال للقاعدة وحسن اختياره:

١- لقد ضُربَ أمس حتى لا يستطيع أن يتحرك اليوم^(١).
يُقيد سيبويه المثال بكلمتي أمس واليوم لِيريك أنَّ ما قبل حتى في الماضي، وما بعدها في الحال. وهذا أحد وجهي رفع الفعل بعد حتى. وليس هذا كقولك: سرتُ حتى أدخلها، مما يحتمل معه رفع الفعل أو نصبه بحسب القرائن أو الوجه الذي يقصد إليه المتكلم.

٢- سرتُ حتى تطلع الشمس.

سرتُ حتى أسمع الأذان.

سرتُ حتى أصبح^(٢).

يختار سيبويه هنا أمثلة واضحة تفي بالغرض المطلوب وهو أن ما قبل حتى ليس سبباً فيما بعدها. فلا علاقة لسيرك بطلوع الشمس، وسماع الأذان، وظهور الإصباح.

ويلاحظ أيضاً تعزيز القاعدة بأكثر من مثال، وكلها تجري على سَنَنِ واحد الوجه فيه نصب الفعل بعد حتى.

٣- لاتدُن من الأسد يأكلك.

هذا المثال مما يدل أيضاً على حسن الاختيار. فالجزم هنا قبيح لأن المعنى لا يحتمله (لأنك لا تريد أن تجعل تباعده من الأسد سبباً لأكله فإن رفعت فالكلام حسن)^(٣).

(١) انظر المثال في كتاب سيبويه ٣: ٢٠.

(٢) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيبويه ٣: ٢٥ - ٢٧.

(٣) انظر كتاب سيبويه ٣: ٩٧.

وَرُبَّمَا يَكُونُ هَذَا الْمَثَالُ أَوْضَحَ فِي تَقْرِيْبِ الْقَاعِدَةِ مِنَ الْعِبَارَةِ الْمَرْوِيَّةِ عَنِ الْعَرَبِ:
(لَا تَذْهَبُ بِهِ تَغْلِبُ عَلَيْهِ)^(١). لِأَنَّ الرَّوَايَةَ لَمْ يَذْكَرِ الْمَوْقِفَ الَّذِي قِيلَتْ فِيهِ هَذِهِ
الْعِبَارَةُ.

٤- لَا تَأْكُلِ السَّمَكَ وَتَشْرَبِ اللَّبْنَ

أَحْسَنُ سَبِيُوِيِهِ اخْتِيَارُ هَذَا الْمَثَالِ لِقَبُولِهِ كُلِّ الْأَوْجُهَةِ الْإِعْرَابِيَّةِ الَّتِي يَحْتَمِلُهَا الْمَعْنَى
كَالنَهْيِ عَنِ الْجَمْعِ بَيْنِ السَّمَكِ وَاللَّبَنِ ، أَوْ النَّهْيِ عَنْ أَحَدِهِمَا وَإِيَاْحَةَ الْآخَرِ أَوْ النَّهْيِ
عَنْهَا مَطْلَقًا^(٢).

٥- لَوْ كَانَ مَعْنَى رَجُلٍ إِلَّا زَيْدٌ لَغَلِبْنَا

مَا بَعْدَ إِلَّا فِي هَذَا الْمَثَالِ بِمَنْزِلَةِ غَيْرِ ، وَلَيْسَ اسْتِثْنَاءٌ عَلَى الْبَدْلِ بِدَلِيلِ أَنَّكَ إِذَا
قُلْتَ: لَوْ كَانَ مَعْنَى إِلَّا زَيْدٌ لَرُفِّلْنَا فُسِدَ الْمَعْنَى^(٣).

وَحَسَنَ اخْتِيَارُ هَذَا الْمَثَالِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ سَبِيُوِيَهُ نَظَرَ إِلَى الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿لَوْ

كَانَ فِيهِمَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٤).

فَهَذَا لَا يَكُونُ عَلَى الْبَدْلِ ، وَإِنَّمَا الْمَعْنَى: لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهَةٌ غَيْرُ اللَّهِ لَفَسَدَتَا ، لِأَنَّ
الْبَدْلَ بَعْدَ إِلَّا فِي الْاسْتِثْنَاءِ مُوجِبٌ ، وَتَقْدِيرُ الْآيَةِ عَلَيْهِ يَفْسِدُ الْمَعْنَى ، وَكَذَلِكَ فِي مِثَالِ
سَبِيُوِيِهِ.

٦- مَالِي عِتَابٌ إِلَّا السِّيفُ

هَذَا عِنْدَ سَبِيُوِيِهِ مِنَ الْاسْتِثْنَاءِ الْمَنْقُطِ ، وَالْوَجْهُ النَّصْبُ ، وَإِنَّمَا سَاغَ الْبَدْلُ هُنَا
أَتْسَاعًا وَمَجَازًا حِينَ جَعَلَ السِّيفَ عِتَابَهُ^(٥).

(١) كِتَابُ سَبِيُوِيِهِ ٣ : ٩٨ .

(٢) انْظُرْ كِتَابَ سَبِيُوِيِهِ ٣ : ٤٢ - ٤٣ .

(٣) انْظُرِ السَّابِقَ نَفْسَهُ ٢ : ٣٢١ - ٣٢٢ . وَمَعْنَى اللَّيْبِ لِابْنِ هِشَامٍ ص ٩٩ .

(٤) الْأَنْبِيَاءُ : ٢٢ .

(٥) انْظُرْ كِتَابَ سَبِيُوِيِهِ ٢ : ٣٢٠ .

وقد استخلص سيبويه هذا المثال من قول عمرو بن الأيهم التغلبي:
 لَيْسَ يَبِينِي وَبَيْنَ قَيْسٍ عَتَابٌ غَيْرُ طَعْنِ الْكُلِيِّ وَضَرْبِ الرَّقَابِ^(١)
 ٧- جالس عمرأ أو خالداً أو بشرأ
 كُلُّ خَبِزاً أَوْ تَمْرأ^(٢).

يُستنبط من المثالين أَنَّ (أو) وضعت أصلاً لأحد الشيئين أو الأشياء. وقد يكون هذا على سبيل الإباحة كما تقول: جالس عمرأ أو خالداً أو بشرأ ، أي مَنْ تختاره من هؤلاء ، فكلهم أهلٌ أَنْ يجالس ، كأنك قلت: جالس هذا الضرب من الناس.
 وقد يكون المعنى على سبيل التخيير كما في قولك: كُلُّ خَبِزاً أَوْ تَمْرأ. أي اختر واحداً منهما ولا تجمع بينهما.

وهذه المعاني متقاربة ، ولا يفصل بينها أحياناً إلا قصد المتكلم في اختيار معنى دون آخر. ومن ذلك مثال سيبويه: (ادخلْ على زيدٍ أو عمروٍ أو خالدٍ أي لا تدخل على أكثر من واحدٍ من هؤلاء. وإن شئت جمعت به على معنى: ادخلْ على هذا الضرب)^(٣).

وقد أنشأ بعض المتأخرين أمثلة لاستيفاء معاني أو من نحو: تزوّج هندأ أو أختها ، في معنى التخيير بين أمرين^(٤). وقولهم: جالس الحسن أو ابن سيرين ، في معنى الإباحة^(٥).

وهذه الأمثلة مع - وضوح الفروق بين المعاني فيها - لا تفي بالغرض المطلوب ، لأن المعاني فيها مستفادة من القرائن لا من أو وحدها.

(١) من شواهد كتاب سيبويه ٢: ٢٢٣.

(٢) انظر المثالين في كتاب سيبويه ٣: ١٨٤.

(٣) كتاب سيبويه ٣: ١٨٤.

(٤) انظر معني اللبيب لابن هشام ص ٨٨ وهمع الفواعل للسيوطي ٢: ١٣٤.

(٥) انظر شرح ابن عقيل ٣: ٢٢٢.

٨- مررت بقومك الكرام الصالحين المطعمين في المحل.
يذهب سيويه إلى أنَّ التعظيم والمدح لا يكونان في كلِّ موضع. وإذا قلت:
مررت بعبد الله الصالح فالوجه الجرُّ على الإتياع ، ولا يجوز النصب على معنى المدح
، لأنَّ ذكرك رجلاً ليس بنبيه عند الناس ولا معروف بالتعظيم.
ومعنى ذلك أنَّ شرط النصب على المدح أن يكون في الممدوح صفة يستحقُّ أن
يُمدح بها ، وأن يكون مشهوراً بهذه الصفة.
والوصف بمنزلة الاستحقاق والشهرة. فإذا قلت: مررتُ بقومك الكرام الصالحين
ثمَّ قلت: المطعمين في المحل ، جاز النصب على المدح ، لأنَّهم صاروا بمنزلة مَنْ عُرِفَ
منهم ذلك^(١).

(١) انظر كتاب سيويه ٢: ٦٩.

المبحث الرابع: تنوع الأمثلة وأثر ذلك في استيعاب جزئيات القاعدة
يُلاحظ أنَّ سيبويه اهتمَّ بتنوع الأمثلة ليستوعب من خلالها جزئيات القاعدة
وفروعها. والمثال كما يغني عن ذكر الفروع والتفاصيل قد يغني أيضاً عن ذكر الحدِّ.
وقد ذكر سيبويه في مستهلِّ كتابه حدَّ الحرف والفعل ولكنَّه لم يذكر حدَّ الاسم
، وإنما قال: (فلاسم رجل و فرسٌ وحائط)^(١).
وربَّما حاول سيبويه أن يحدِّد الاسم ولكن تعذَّر عليه ذلك لكثرة الأسماء وتباين
أنواعها. ولعلَّه اكتفى في إزالة إبهام الاسم بتعريف قسيميه: الفعل والحرف.
وأمثلة الاسم التي ذكرها سيبويه قد تدلُّ على إشارة إلى أنواعه ، فمنه أحياء
عاقلة نحو: رجل ، وأحياء غير عاقلة نحو: فرس. ومنه جماد نحو: حائط.
وقد حدَّ المبرد الاسم بقوله: (أما الاسم فما كان واقعاً على معنى نحو: رجل
وفرس وزيد وعمرو وما أشبه ذلك)^(٢).
وأخذ ابنُ السَّراج هذا التعريف وزاد عليه تقسيم هذا المعنى إلى شخص وغير
شخص. ولم يرتضِ الزجاجي تعريف المبرد لأنَّه لا يُخرج حروف المعاني^(٣).
وأجاب أبو عليِّ الفارسي عن هذا الإشكال بقوله: (فإن قلت: معنا في الأسماء
نحو مَنْ وما في الاستفهام ... قيل لك: إنَّ هذه الأسماء تدلُّ على هذه المعاني التي
تحتها ، وكان حدِّها أن تذكر معها حروف الاستفهام ، وإنما حذفت معها للدلالة.
وما يحذف من اللفظ للدلالة فيمتزلة المثلث فيه)^(٤).

(١) كتاب سيبويه ١: ١٢.

(٢) المقتضب للمبرد ١: ٣.

(٣) انظر الإيضاح في علل النحو للزجاجي ، تحقيق د. مازن المبارك ، دار العروبة ١٣٧٨ / ١٩٥٩م القاهرة
ص ٥١.

(٤) انظر المسائل العسكرية لأبي علي الفارسي ص ٢٧ - ٢٨.

وتعليل أبي عليٍّ مأخوذ من قول سيبويه: (وإنما تركوا الألف في مَنْ ومتى وهل ونحوهنَّ حيث أمِنوا الالتباس) (١).

ومثل سيبويه للفعل بنحو ذَهَبَ وَسَمِعَ وَمَكَّتْ وَحُمِدَ وَاذْهَبَ وَاقْتُلَ ، وَيَذْهَبُ وَيَضْرِبُ وَيُقْتَلُ (٢).

ويلاحظ أن هذا التمثيل شمل الأفعال اللازمة والمتعدية ، والأفعال المبنيّة للمعلوم والمبنيّة للمجهول. وفيه إشارة أيضاً لاختلاف أبواب الفعل من حيث ضبط حركة العين.

ومثل للحرف بقوله: (وأما ما جاء لعنى. وليس باسم ولا فعل فنحو: ثُمَّ وسوف وواو القسم ولام الإضافة ونحوها) (٣).

وهذا التمثيل فيه إشارة لأنواع الحروف ، ما يختصّ منها بالأفعال ، وما يختصّ منها بالأسماء ، وما هو مشترك بينهما.

وقد استفاد ابن مالك من نحو هذا التمثيل الذي يختصر الأنواع استغناءً بذكر المثال فقال في الخلاصة:

سواهما الحرف كهل وفي ولم (٤).

وفيما يلي نماذج من كتاب سيبويه لبيان أثر تنويع الأمثلة في استيعاب فروع القاعدة وجزئياتها.

١- عَمَلُ اسْمِ الْفَاعِلِ الْمُنَوَّنِ

هذا ضاربٌ زيداً غداً.

هذا ضاربٌ عبدُ الله الساعة.

(١) كتاب سيبويه ١ : ٩٩ .

(٢) انظر السابق نفسه ١ : ١٢ .

(٣) السابق نفسه ١ : ١٢ .

(٤) من الألفية باب الكلام وما يتألف منه .

كان زيدٌ ضارباً أباك.

المثال الأول في معنى: يضرب زيداً غداً ، أي في المستقبل - والثاني بمعنى يضربُ عبدُ الله الساعة ، أي في الحال. والمثال الثالث بمعنى: كان يضربُ أباك^(١).

٢- إعراب المعطوف على معمول اسم الفاعل

هذا ضاربُ زيدٍ وعمرو ، بالجرِّ على اللفظ.

هذا ضاربُ زيدٍ وعمراً ، بتقدير ويضربُ عمراً أو ضاربُ عمراً^(٢).

هذا ضاربُ عبد الله وأخيه ، الجرُّ الوجه إذا أُخبرت أنَّ الفعل قد وقع.

هذا قاتلُ عمروِ أمسٍ وعبدِ الله ، الجرُّ الوجه لأنَّ اسم الفاعل غير عامل عمل الفعل.

هذا ضاربُ عبدِ الله وزيداً ، بتقدير وضربَ زيداً لأنَّ معنى هذا ضاربُ عبدِ

الله: هذا ضربَ عبدَ الله^(٣).

٣- عمل المصدر المضاف

عجبتُ من ضربه زيداً.

عجبتُ من كسوةِ زيدِ أبوه.

عجبتُ من كسوةِ زيدِ أباه.

عجبتُ من ضربِ زيدٍ وعمرو.

عجبتُ له من ضربِ زيدٍ وعمراً^(٤).

(١) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيويه ١: ١٦٤.

(٢) انظر المثالين في كتاب سيويه ١: ١٦٤.

(٣) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيويه ١: ١٧١.

(٤) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيويه ١: ١٩٠ - ١٩١.

يُلاحظ تنويع هذه الأمثلة بإضافة المصدر إلى فاعله أو مفعوله. كما يُلاحظ في
المثالين الأخيرين جواز اتباع المعطوف على لفظ معمول المصدر أو نصبه بتقدير:
ويضربُ عمراً.

٤- استعمالات رويد

تأتي رويد اسم فعل نحو:

رويد زيداً ، تريد: أروِدُ زيداً^(١).

وتأتي صفة أو حالاً نحو:

رويداً ، تقوله لمن يعالج شيئاً ، تريد علاجاً رويداً. وتقول ساروا رويداً ، أي

سيراً رويداً ورويد هنا حال ، أو نعت للمصدر المحذوف. وتقول: ساروا سيراً رويداً
، فتكون نعتاً للسير^(٢).

وتأتي رويد مصدراً. سُمِعَ: رويد نفسه^(٣).

٥- العطف على الضمير المرفوع المستتر في رويد وتأكيده

رويدكم أنتم وعبداً الله ، العطف بعد الفصل كما في: افعلوا أنتم وعبداً الله.

رويدكم وعبداً الله ، قبيح ، كما قبح: اذهب وعبداً الله.

رويدكم أجمعون ، حسن ولا يلزم الفصل إلا مع النفس أو العين.

رويدكم أنتم أجمعون ، حسن وإن كان الفصل غير لازم.

رويدكم أنفسكم ، فيه قبح والوجه الفصل^(٤).

٦- إفراد الوصف إذا رفع الظاهر المثني أو المجموع على قياس الفعل

أحسن أبواك.

(١) انظر كتاب سيويه ١: ٢٤٣.

(٢) انظر السابق نفسه ١: ٢٤٣ - ٢٤٤.

(٣) انظر السابق نفسه ١: ٢٤٥.

(٤) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيويه ١: ٢٤٦ - ٢٤٧ وانظر كذلك التعليقة لأبي علي الفارسي ١: ١٦١ -

١٦٢ وحاشية الصبان ٣: ٧٩.

أَخَارِجُ قَوْمُكَ.
أَذَاهِبُ أَبَوَاكَ.
أَذَاهِبَةُ جَارِيَتَاكَ.
أَقْرَشِيُّ أَبَوَاكَ.
أَقْرَشِيُّ قَوْمُكَ.
أَكْرِيْمَةٌ نَسَاؤُكُمْ.
أَمْنَطَلِقُ قَوْمُكَ^(١).

ويلاحظ التنويع في الوصف والفاعل.

٧- ما عمل في الحال لتضمنه معنى الفعل دون حروفه

ما شأن زيد قائماً.

ما لأخيك قائماً.

لمن الدار مفتوحاً بأبها.

ما شأنك قائماً.

من ذا قائماً.

هذا عبد الله قائماً^(٢).

الحال في هذه الأمثلة ونحوها منصوبة بعامل متصيد من المعنى.

٨- ما لا يجوز في أسلوبكم

أتاني كم رجلٍ

رأيت كم رجلاً؟

كم غلماناً لك؟

(١) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيبويه ٢: ٣٦.

(٢) انظر السابق نفسه ٢: ٦٠ - ٦١.

كم لك الدرهم^(١).

كم لها الصدارة ولهذا لم يجر تقديم غيرها عليها في المثالين الأولين. ويقبح أن يأتي تمييز كم الاستفهامية جمعاً كما في المثال الثاني. ويقبح مجئ التمييز معرفة كما في المثال الأخير.

٩- رفع الفعل المضارع لوقوعه موقع الاسم

يقولُ زيدٌ ذاك ، الفعل في موضع الابتداء.

زيدٌ يقولُ ذاك ، الفعل في موضع الخبر.

مررتُ برجلٍ يقولُ ذاك ، الفعل في موضع الصفة.

هذا يوم آتيك ، الفعل في موضع المضاف إليه.

هذا زيدٌ يقولُ ذاك ، الفعل في موضع الحال.

حسبته ينطلقُ ، الفعل في موضع المفعول الثاني.

هَلَّا يقولُ زيدٌ ذاك ، الفعل في موضع الابتداء ، لأن هَلَّا لاتعمل في اسم ولا فعل

اتتني بعد ما تفرغُ ، الفعل في موضع المصدر ، أي بعد فراغك.

كدت أفعلُ ذاك ، الفعل في موضع الخبر.

عسى يفعلُ ذاك ، الفعل في موضع الخبر^(٢).

ذهب أكثر النحويين إلى أَنَّ الفَعْلَ المضارع المرفوع عاملة معنوي ، وهو عند

سيبويه ووقوعه موقع الاسم ، وعند الفراء التَّجَرُّدُ من الناصب والجازم. ونُسِبَ إلى

الكسائي أَنَّ عامل الرفع لفظي وهو حروف المضارعة. وفي رفعه أقوال أخرى^(٣).

(١) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيبويه ٢: ١٥٧ - ١٥٩.

(٢) انظر السابق نفسه ٣: ١٠ - ١١.

(٣) انظر همع الموامع للسيوطي ١: ١٦٤.

والعلة التي ذكرها سيبويه لا تبعد كثيراً عن معنى التجرد ، لأن المضارع إذا وقع موقع الاسم كان أول أحواله الرفع حتى يدخل الناصب أو الجازم ، كما أن الابتداء أول أحوال الاسم حتى يدخل الناسخ^(١). وفي هذا تلميح إلى التجرد.

١٠- عطف المضارع على جواب الشرط

إن تأتي أتك فأحدثك ، ويجوز الرفع على الاستئناف ، والنصب بأن مضمرة.
إن تأتي فأنا آتيك وأحسن إليك ، الوجه الرفع ويجوز الجزم حملاً على
الموضع.

إن تأتي فلن أوديك وأستقبلك بالحميل ، الوجه الرفع والنصب يفسد المعنى.
إن أتيتني لم أتك وأحسن إليك ، الوجه الرفع ، إذا لم تحمل الكلام على لم^(٢).

١١- جواز كسر همزة إن وفتحها.

أما إنه ذاهب ، بمنزلة: ألا إنه ذاهب.

أما أنه منطلق ، بمنزلة: حقاً أنه منطلق.

أما والله أنه ذاهب كقولك: قد علمت والله أنه ذاهب.

أما والله إنه ذاهب ، كقولك: ألا والله إنه ذاهب.

قد عرفت أنه ذاهب ثم أنه مُعَجَّلٌ ، للعطف على أن المفتوحة،

قد عرفت أنه ذاهب ثم إني أخبرك أنه مُنَعَجَّلٌ ، لاستئناف الجملة.

رأيت شاباً وإنه يفخر يومئذ ، لوقوع إن في صدر جملة حالية ، ويجوز الفتح حملاً

على الفعل^(٣).

فهذه الأمثلة وغيرها مما لم يسعني ذكره تدل على إحاطة سيبويه بالمادة جملة

وتفصيلاً ، وأنه استوعب التفاصيل والجزئيات من خلال الأمثلة التي عرضها. ولو

(١) انظر كتاب سيبويه ١: ٢٣ - ٢٤.

(٢) انظر هذه الأمثلة في كتاب سيبويه ٣: ٨٩ - ٩١.

(٣) انظر السابق نفسه ٣: ١٠ - ١١.

استغنى سيويه عن المثال لبلغ كتابه أضعاف ما عليه الآن ، لأنه كان سيضطر إلى الإفاضة في شرح تفاصيل القاعدة وفروعها. وفي هذا إرهاب للقارئ قد يبعث على السأم أو الفتور عن متابعة العرض. ولكنه أثر أن يستوعب كل هذه الفروع والجزئيات عن طريق الأمثلة الواضحة التي تقود في النهاية إلى تجميع الحقائق والمذاهب بين يدي القارئ. ثم إذا استوعب القارئ هذه التفاصيل وجد الشواهد من كتاب الله تعالى وكلام العرب الموثوق بهم تؤيد الوجوه والأعاريب والمذاهب.

خاتمة البحث

فيما يلي ملخص عام لأهمّ النتائج التي يمكن أن تُستفاد من البحث:

١- رجّحتُ أن يكون سيويه وُلِدَ عام ١٣٤هـ وتوفي عام ١٨٠هـ أو قبل ذلك بقليل.

٢- ذُكر أغلب الرواة أنّ سيويه وُلِدَ باليضاء أو الأهواز أو بأرض فارس عموماً. وهذه الروايات مقبولة بالنظر إلى أنّ سيويه فارسيّ الأصل ، وإنّ كان الرواة لم يوردوا سنداً قوياً يُؤيّد ما ذهبوا إليه. ولم أستبعد أن يكون سيويه من مواليد البصرة كغيره من أبناء المهاجرين وإنّ كنت لا أملك من الأدلّة ما يجعلني أقطع بذلك.

٣- رجّحتُ أن يكون سيويه أثر العزلة وتفرّغ لكتابه ولهذا كان عدد تلاميذه محدوداً ، ومع ذلك لم أستبعد أن يكون له تلاميذ مغمورون كخشنام الأعور ، وعتبة النحويّ ، وغيرهما.

٤- رجّحتُ أن يكون سيويه رحل إلى بغداد بين عامي ١٧٤-١٧٧هـ وهي الفترة التي استتبّ الأمر فيها للرشد وفوّضَ أمره كلّها إلى وزرائه من الفرس.

٥- رجّحتُ أن تكون المناظرة بين سيويه والكسائيّ أحيطت بشيء من المبالغات والزيادات ، وهذا يرجع إلى التنافس الشديد بين البصريّين والكوفيّين في الانتصار لعلمائهم ورؤسائهم.

وهذه المناظرة - في تقديري - لقاء جمع بين عالمين لكلّ منهما مذهب في اللغة والنحو ، ومنهجه في القياس. وقد أخذ سيويه بالشائع في لسان العرب.

وقد نفيتُ ما ذهب إليه بعض الباحثين من أنّ هذه المناظرة كشفت عن قصور سيويه في معرفته التامة بلغات العرب وعرضت نماذج من كتاب سيويه تشهد له بالإحاطة بلغات العرب ولهجاتها.

٦- ذهبتُ إلى أنّ سيويه الفارسيّ الأصل كان عربيّ المنهج والتفكير ، ولم يكن للثقافة الفارسيّة أثر واضح في كتابه. ونفيتُ أن تكون معرفة سيويه باللغة الفارسيّة

عاملاً من عوامل خدمة اللغة العربية والإضافة إليها بجهود ذاتية خاصة به دون غيره من شيوخه.

وقد ذهب إلى هذا الرأي بعض المعاصرين اعتماداً على الأبواب التي عقدها سيويه للأسماء الأعجمية وما أُعربَ منها ، وأطراد الإبدال في الفارسية. ويُنْتُ أنَّ المعالجة في هذه الأبواب لا تخرج عن حدود القياس المألوف للكلمات التي دخلت في حيز اللغة العربية من حيث الاستعمال.

٧- ذكرتُ أنَّ سيويه استفاد من جهود شيوخه وغيرهم من علماء العصر ، ولم أوافق على أن سيويه أخذ كتاب الجامع لعيسى بن عمر وبنى عليه من كلامه وكلام الخليل. فهذه الرواية - في تقديري - لا تعتمد على حجة ظاهرة أو دليل قوي. وهذا لا ينفي أنَّ سيويه تأثر بجهود سابقة ، ولكنه استقلَّ بتأليفٍ مميّز.

٨- ذهبتُ إلى أنَّ كتاب سيويه مرَّ بثلاثة أطوار قبل أن يصل إلى أيدي القراء: طور المتن الذي أخذ سيويه معظمه عن شيخه الخليل بن أحمد ، وطور المعارضة والاستفسار والتوثيق ، وطور التحرير.

٩- حرّر سيويه كتابه بأسلوب موجز محكم كان مألوفاً في عصره. وهذا الأسلوب يجري أحياناً سهلاً رقيقاً لا يحتاج إلى شرح أو تعليق ، ولكنه في بعض المواضع يغمض غموضاً شديداً حين يقتصد سيويه في العبارة اقتصاداً قد يصل إلى الإبهام. ولم أستبعد أن يكون هناك سهو في بعض المواضع أو تحريف من الناسخ ، وقد أشرتُ إلى ذلك في متن البحث.

١٠- استعرضتُ أمثلة لجهود العلماء في تحقيق نصوص الكتاب وتوثيقها ويُنْتُ أنَّ هذه الجهود المتصلة تدلُّ على عناية الأجيال المتعاقبة بكتاب سيويه لما فيه من مادة محكمة أثرت في مسار الدرس اللغوي والنحوي.

١١- رجّحتُ أن يكون سيويه وضع كتابه وفق منهج محكم تأثر فيه بطريقة الخليل بن أحمد ومنهجه في التأليف.

فقد مهد سيبويه لكتابه بمبادئ عامة تمثل الأطار العام لأبواب الكتاب وأقسامه ،
ثم خلص من ذلك إلى تفصيل ما أجمله متبعاً منهجاً عاماً أشبه بمثلث قاعدته إلى أعلى
ورأسه إلى أسفل . بمعنى أن سيبويه بدأ بمعالجة القضايا الكلية المتعلقة بالأساليب
والتركيب ثم تدرج من ذلك إلى القضايا الجزئية .

وعلى هذا الأساس فإن القسم الأول من الكتاب يشمل الأساليب والتركيب
العامة ، والقسم الثاني يختص ببنية الكلمة وما يعرض لها من تغيير ، والقسم الثالث
يتعلق بالأصوات والحروف .

وهذا التقسيم لا يسلم من التداخل أو بعض الخلل وذلك حين يستطرد سيبويه
في بعض المواضع فيخرج من موضوع إلى آخر . ومع ذلك فإن استطراد سيبويه لا
يخرج عموماً عن لبّ موضوع الباب وجوهره .

١٢- لم أوافق بعض الباحثين في قولهم بأن سيبويه كان نقلياً في منهجه ، ينسب
بعض الأقوال والآراء لأصحابها ، ويغفل بعضها الآخر ليوحي للقارئ أنه صاحب
هذه الأقوال والآراء .

وقد بينت أن هذا الاتهام لا يقوم على بينة ، لأن سيبويه كان ذا شخصية مستقلة
في كثير من القضايا النحوية واللغوية التي أثارها . كما أنه خالف شيوخه في بعض
المواضع ، وتفرّد بمذاهب خاصة به ، ووازن بين المذاهب والآراء مبيناً القوي منها
والضعيف معتمداً على الحجة النقلية والعقلية .

١٣- أثبت أن سيبويه سمع من العرب ولم يعتمد في كل الأحوال على سماع
شيوخه كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين المعاصرين .

١٤- أحصيت روايات سيبويه عن العلماء ، وبينت طرقها وأساليبها وما كان
منها مشافهة أو من غير مشافهة .

١٥- رجحت أن يكون سيبويه روى في صباه عن عيسى بن عمر ، ولكنه في
هذه المرحلة لم يتجاوز نقل المروي ، ثم لما استقام عوده بعد وفاة عيسى بن عمر

عرض هذه الروايات على الأحياء من شيوخه كالخليل ويونس ، وأضاف إلى ذلك روايات أخرى عن عيسى من طريق شيوخه.

١٦- قَدِّمْتُ نماذج من أمثلة كتاب سيبويه المروية عن العرب. وذكرت أنها شواهد كان ينبغي أن تجرد من العناية والاهتمام ما وجدته الشعر والرجز المستشهد بهما.

١٧- قَسَّمتُ الأمثلة المروية إلى ثلاثة أقسام: الأحاديث والأمثال والحكم ، والأقوال العامة.

١٨- وضحْتُ منهج سيبويه في الاستشهاد عموماً وبخاصة الاستشهاد بالحديث. واستعرضتُ الأحاديث الشريفة التي احتجَّ بها سيبويه في النحو وخرَّجتها في كتب الصحاح والسُّنن والمسانيد ، ثمَّ أضفت إلى جهود مَنْ سبقني مِنَ الباحثين مواضع أخرى رَجَّحتُ أن يكون سيبويه احتجَّ فيها بالحديث الشريف لأثبات القاعدة الكلية.

١٩- قَدِّمْتُ نماذج لبعض الأمثال الواردة في كتاب سيبويه ، وبيَّنتُ منهجه في الاحتجاج بها في النحو ، ووضَّحتُ أثر الأمثال في الاحتجاج للقاعدة النحوية ، باعتبار الأمثال أقوال ثابتة تحكى كما سُمِّعت.

٢٠- عرضتُ نماذج من الأقوال العامة المروية عن العرب ، وبيَّنتُ أنَّ منهج سيبويه في الاحتجاج بها لا يخرج عن منهجه العام في الاستشهاد وهو العناية بالنصِّ المرويِّ ووجوه الإعراب فيه دون التركيز على القائل إلا في المواقف التي يستلزم سير الدرس الإشارة إلى القائل.

وقد استثنيتُ من ذلك الآيات القرآنية لأنها كلام الله تعالى ولهذا كان سيبويه حريصاً على تقديمها بعبارة: قال الله عزَّ وجلَّ ونحو ذلك تمييزاً وتوقيراً لها.

٢١- ميَّز سيبويه بين مستويات الأداء اللغويِّ ولم يخلط بينها خلافاً لما ذهب إليه بعض الباحثين المعاصرين.

٢٢- اعتمد سيويه القياس على الكثير الشائع في لغات العرب ، كما اعتدَّ بالسماع الموثوق به.

٢٣- لم يهمل سيويه اللغات القليلة وإنما صنفها تبعاً لقربها أو بعدها من الاستعمال الشائع ، والتمس لها العلل والوجوه ، إلا ما كان منها يَبِينُ الشذوذ لا يليق بطالب اللغة أن يحتذي على مثاله.

٢٤- نجح سيويه في إنشاء أمثلة حية قاسها قياساً دقيقاً أميناً على كلام العرب الموثوق بهم. ولم يكن همّه الوحيد ملاحقة الحركة الإعرابية ، وإنما نظر إلى الأساليب والتراكيب نظرة شاملة من حيث القوة والضعف ، والحسن والجودة ، معتدلاً بأثر المتكلم في إعراب الجملة تبعاً لصحة المعنى واستقامته.

٢٥- اهتم سيويه بالمعنى واعتبر الإعراب تابعاً لاستقامة المعاني التي يحتملها الأسلوب. وقد مهد هذا المنهج الطريق لعلماء المعاني ، فدرسوا الأسلوب في ضوء المبادئ التي أرساها سيويه وانطلقوا من ذلك إلى تأسيس علم المعاني إلى أن تطور على أيديهم وأصبح فناً مستقلاً له قواعده وأحكامه. وبهذا يمكن أن يُعدَّ سيويه من الرواد الأوائل الذين أسهموا في هذا المجال.

٢٦- عرض سيويه نماذج للمجاز والامتياز في الكلام مما يعتبر أساساً اعتمد عليه علماء البلاغة في تأصيل علم البيان ، ومن ثمَّ فصلوا أنواعه وأساليبه وفتونه.

٢٧- اتبع سيويه منهجاً مميزاً في عرض الأمثلة غير المروية يدلُّ على ذكاء وسعة أفق. وقد استهدف هذا المنهج تذييل القاعدة الكلية واستيعاب فروعها وأجزائها.

٢٨- إن أهم العالم التي تميَّز منهج سيويه في عرض الأمثلة تتلخص في تحديد الهدف العام للدرس عن طريق المثال.

٢٩- يلاحظ أنَّ الإطار العام للأمثلة كتاب سيويه يكاد لا يخرج عن ثلاثة أنماط

هي:

• الأمثلة الرئيسة أو المحورية ، وتمثل الهدف العام للدرس.

• الأمثلة الفرعية ، وتدور حول تفاصيل القاعدة ، والهدف منها بيان ما يجوز من الأوجه الإعرابية وما لا يجوز ، وما يستثنى من القاعدة العامة ، أو ما يشذ عنها ، وبيان لغات العرب ومذاهبهم.

• الأمثلة المساعدة والغرض منها تقوية الحكم بنظيره مما سبق في أبواب أخرى أو تعليل بعض وجوه الإعراب ، ونحو ذلك.

٣٠- اهتم سيويه بتنوع الأمثلة لاستيعاب كل الوجوه والاحتمالات. وقد استفاد المتأخرون من التحويين بهذا المنهج فاختصروا متونهم معتمدين على المثال استغناء عن ذكر الفروع والتفاصيل.

هذه بعض الملامح العامة لما اشتمل عليه هذا البحث. وفي ضوء ما توصلت إليه فإنني أقترح الآتي:

- ١- أن تُعنى كليات اللغة العربية - وأخص منها كلية اللغة العربية بجامعة أم درمان الإسلامية - بكتاب سيويه وشروحه وتعليقات العلماء عليه ، وذلك بتوفير المصادر والمراجع والدراسات المعاصرة المتعلقة بهذا الكتاب.
- ٢- أن تشمل المقررات بهذه الكليات أبواباً كاملة من كتاب سيويه ، ولا يُكتفى بنماذج قليلة لطلاب السنة النهائية.
- ٣- أن يتدرّب الطلاب عملياً على قراءة المتون والشروح والحواشي وذلك حتى يحسنوا قراءة كتب التراث في مجال تخصصهم.
- ٤- أن يشجع قسم الدراسات العليا الطلاب على تحقيق كتب التراث أسوة بالجامعات الأخرى.

والحمد لله على جزيل نعمائه والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه سيدنا

محمد ﷺ.

الفهارس العامة

١. الآيات القرآنية
٢. الأحاديث
٣. الأمثال والحكم
٤. الشعر والرجز
٥. الأعلام
٦. المصادر والمراجع
٧. فهرس الموضوعات

١- الآيات القرآنية:

السورة	الآية	رقمها	لصفحة
الفاتحة	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	٢	٦٥
آل عمران	﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾	١٨٠	١٢٩
المائدة	﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾	٣٨	٢١١
المائدة	﴿ إِنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مِنْ أُمَّةٍ أَمِنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	٦٩	١٩٣
الأعراف	﴿ فَالْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾	١٠٧	٢٣
الأعراف	﴿ وَتَرَعَيْدُهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ ﴾	١٠٨	٢٣
يوسف	﴿ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾	٣١	١٥٤
الحجر	﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾	٣٠	٢٢٥
الأنبياء	﴿ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾	٣	١٦٨
الأنبياء	﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾	٢٢	٢٦٠

١١٢	٣٣	﴿كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾	الأنبياء
٢١١	٢	﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾	النور
٨٤	١٠	﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءِ اللَّسَاتَيْنِ﴾	فصلت
٦٠	١٨	﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عِيدٌ﴾	ق
٢١٦	٤٩	﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾	القدر

٢- الأحاديث:

الرقم	الحديث	الصفحة
١-	أَكُلْ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ ، وَأَجْلِسْ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ.....	١٠٠
٢-	إِذَا ذُكِرَ الصَّالِحُونَ فَحَيْهَلًا يُعْمَرُ.....	١٠٩
٣-	أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ - الْحَدِيثُ.....	١١١
٤-	أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَثَرٍ مِنْ كَنُوزِ الْجَنَّةِ ... لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.....	١٠٣
٥-	اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ وَنُؤْمِنُ بِكَ وَنُخْلِجُ لَكَ وَنُخْلِجُكَ وَنَتْرُكُ مَنْ يَكْفُرُ.....	٩٩
٦-	إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قَيْلَ وَقَالَ ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ.....	١٠٢
٧-	إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ أَنَا عِنْدَ حَسَنِ ظَنِّ عَبْدِ بِي إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.....	١٠٤
٨-	إِنَّ اللَّهَ يَنْهَأكُمْ عَنْ قَيْلٍ وَقَالَ.....	١٠١
٩-	إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ أَكِلًا كَمَا تَأْكُلُ الْعَبِيدُ.....	١٠٠
١٠-	بَيْتِكَ أَوْ يَمِينِهِ.....	١٠٧
١١-	حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ.....	١٠٤
١٢-	سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ.....	١٠٠
١٣-	سُبُّوحًا قُدُّوسًا رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ.....	١٠٠
١٤-	شَاهِدَاكَ أَوْ يَمِينِهِ.....	١٠٨
١٥-	شَاهِدَاكَ أَوْ يَمِينِهِ.....	١٠٨
١٦-	عَائِدًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ.....	١١١

١١١	عائداً بالله من شرِّ الفتن.....	-١٧
١٠٢	فَبِهَا وَنَعِمَتْ.....	-١٨
١٠١	كَانَ يَنْهَى عَن قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السَّوَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ.....	-١٩
٩٨	كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ - الْحَدِيث.....	٢٠
١٠٣	لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.....	-٢١
١٠٢	لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُّسَلِّمَةٌ.....	-٢٢
١٠٥	لِيكَ اللَّهُمَّ لِيكَ ، لِيكَ لِشَرِيكَ لَكَ لِيكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ وَالْمَلِكُ لَا شَرِيكَ لَكَ.....	-٢٣
١٠٤	لِيكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ.....	-٢٤
٩٩	مَا مِنْ أَيَّامٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ أَنْ يُتَعَبَّدَ لَهُ فِيهَا مِنْ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ	-٢٥
٩٨	مَا مِنْ أَيَّامٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا الصَّوْمُ مِنْهُ فِي عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ.....	-٢٦
٩٩	مَا مِنْ أَيَّامٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْعَمَلُ فِيهِ مِنْ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ.....	-٢٧
٩٩	مَا مِنْ أَيَّامٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ الْعَمَلُ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ.....	-٢٨
٩٨	مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ.....	-٢٩
١٠٤	الْمَرْءُ بِمَجْزِيٍّ بِعَمَلِهِ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.....	-٣٠
١٠٣	مَنْ تَوَضَّأَ لِلْجُمُعَةِ فَبِهَا وَنَعِمَتْ.....	-٣١
١٠٣	مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَبِهَا وَنَعِمَتْ وَمَنْ اغْتَسَلَ فَهُوَ أَفْضَلُ	-٣٢
١٠٤	النَّاسُ بِمَجْزِيٍّ بِأَعْمَالِهِمْ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.....	-٣٣
٩٩	وَنَخْلَعُ وَنَتْرُكُ مَنْ يَفْجُرُكَ.....	-٣٤

	<u>أقوال الصحابة</u>	
١٠٦أَعْطَيْكُمْ سَنَةَ الْعَمْرَيْنِ.....	-١
١٠٦إِيَّاي وَأَنْ يَحْذَفَ أَحَدَكُمْ الْأَرْنبَ.....	-٢
١٠٥قَضِيَّةَ وَلَا أَبَا حَسَنٍ.....	-٣

٣- الأمثال والحكم:

الرقم	المثل	الصفحة
١-	ادفع الشرّ ولو إصبعاً.	١١٤
٢-	استنوق الجمل.	١١٤
٣-	أسمنت وأكرمت فاربط.	١١٤
٤-	أصبح ليل.	١١٥
٥-	أطرق كرا	١١٥
٦-	أطري إنك ناعلة واجمعي.	١١٦
٧-	افتد مخنوق.	١١٦
٨-	أفلا قماص بالعر.	١١٧
٩-	أمر مبكياتك لا أمر مضحكاتك	١١٧
١٠-	إن لا حظية فلا ألية	١١٨
١١-	أو فرقا خيراً من حب.	١١٨
١٢-	أيادي سبا	١١٩
١٣-	بألم ما تخننه.	١١٩
١٤-	بعين ما أرينك.	١١٩
١٥-	بيع الملطي لا عهد ولا عقد.	١١٩
١٦-	تسمع بالمعيدي لا أن تراه.	١٢٠
١٧-	ذهب أمس بما فيه.	١٢١
١٨-	سواء والعدم.	١٢١
١٩-	شر أهر ذا ناب.	١٢١
٢٠-	طامر بن طامر.	١٢٢

١٢٢	الظباء على البقر.	٢١-
١٢٣	عسي الغوير أبوسا.	٢٢-
١٢٤	عليها مثلها زبداً.	٢٣-
١٢٥	غضب الخيل على اللحم.	٢٤-
١٢٥	كجالب التمر إلى هجر.	٢٥-
١٢٦	كليهما وتمراً.	٢٦-
١٢٦	ماز رأسك والسيف.	٢٧-
١٢٧	ما كل سوداء تمر ولا بيضاء شحمة.	٢٨-
١٢٧	متعرضاً لعنن لم يعنيه.	٢٩-
١٢٨	لم يحرم من فصد له.	٣٠-
١٢٨	مذ شب إلى دب.	٣١-
١٢٩	من كذب كان شراً له.	٣٢-

٤- الشعر والرجز:

الرقم	القافية	الصفحة
	(ب)	
١-	أقاربه	١٦٨
٢-	غالبه	٩٧
٣-	لغريب	١٩٤
٤-	كليب	٢٠٨
٥-	الرقاب	٢٦١
٦-	يترب	٤٢
٧-	اسلحبا	٩٧
	(ت)	
٨-	تبيت	٢٠٠
٩-	عقبتي	٩٦
	(د)	
١٠-	يسود	١٦١
١١-	الحديدا	٤٣
	(ر)	
١٢-	متساكر	١٨١
١٣-	تصير	١٠٨٠٤٥
١٤-	عمار	٧٩
١٥-	الفقيرا	١٦٥
١٦-	عمر	٣٠

٣٠	قَمَرٌ	-١٧
	(س)	
١٥٣	العَيْسُ	-١٨
	(ض)	
٩٦	الأَرْضِ	-١٩
	(ع)	
٤١	تَوَاضَعُ	٢٠
١٩٠	رَوَاجِعَا	-٢١
	(ف)	
٤١	ازْدِهَافٍ	-٢٢
	(ل)	
٣٢	أَحْتَمِلُ	-٢٣
١٩٧	جَمَلُ	-٢٤
١٨٤	تَنْوِيلُ	-٢٥
٩٧	الْفَلْفَلِ	-٢٦
٥٤	الْمَرْمَلِ	-٢٧
	(م)	
١١٤	مَكْدَم	-٢٨
١٥٥	المَصْمَمُ	-٢٩
١٦٨	حَمِيمٌ	-٣٠
١٦٧	بِسْلَمٍ	-٣١
١٥٦	عَلْقَمَا	-٣٢

١٥٦	المصمّمَا	-٣٣
٢٦٤	ولم	-٣٤
	(ن)	
٤٢	السعدينا	-٣٥
٩٧	اليمنى	-٣٦
	(هـ)	
٢٠٩	أصباهُ	-٣٧
١٨٧	سَهَامُهَا	-٣٨
٣٢	صَعَصَعَةٌ	-٣٩
	(ي)	
١١٥	القرى	-٤٠

٥. الأعلام: (في صلب البحث)

الصفحة	(أ)
٦	إبراهيم بن محمد بن علي
١٠٣	ابن الأثير الجزري (عز الدين)
٧٨٠٢٢٠٣	ابن الأنباري (عبد الرحمن بن محمد)
٧٣	ابن تغري بردي (يوسف)
٢٠٠١٩٠١٥	ابن الجراح (محمد بن داود)
٩	ابن جريح (عبد الملك بن عبد العزيز)
٢٥٨٠١٧٢٠١٤٥٠٦٤٠٦٣٠٤٠	ابن جني (عثمان)
٢٥٨٠٢٢١	ابن الحاجب (عثمان بن عمر)
٩٩	ابن حنبل (أحمد)
٢٥٨٠١٦١	ابن خالويه (الحسن بن أحمد)
٣٠٠٢٦٠١٢٠١١٠٥٠٤	ابن خلّكان (أحمد بن محمد بن أبي بكر)
١٠٢٠١٠٠	ابن سعد (محمد)
١٩١	ابن سلام الجمحي (محمد)
٩٦	ابن السيرافي (يوسف)
٢٦١	ابن سيرين (محمد)
٩٠	ابن الضائع (أبو الحسن)
١٨	ابن عائشة (عبد الله بن محمد بن حفص)
٩٨	ابن عباس (عبد الله)
١٤٨	ابن عصفور (أبو الحسن علي بن مؤمن)

١٩٢٠١٤٨	ابن عقيل (عبد الله)
٥	ابن العماد الحنبلي (عبد الحي)
١٠٥٠٩٩	ابن عمر (عبد الله)
٤	ابن قانع (عبد الباقي)
٧٠٤٢٠٢٠٠١٩٠١٦٠١٤٠١١٠٣ ١٠١٠٧٩٠٠	ابن قتيبة
٤	ابن كثير الدمشقي
٤٧	ابن كيسان (محمد بن أحمد)
٦٦٤٠١٨٦٠١٥٨٠١٠٤٠٩٠٠٥٥	ابن مالك (محمد بن عبد الله)
١٠٩٠١٠٨٠٨٦	ابن مسعود (عبد الله)
٢٥٨	ابن مضاء القرطبي
٥	ابن منظور (محمد بن مكرم)
١٨١	ابن النحاس (أحمد بن محمد)
١٧٣٠١٧٢٠١٥٨٠١٤٨٠١٣٨٠٢٢	ابن هشام الأنصاري
١٧٢	ابن يعيش (يعيش بن علي بن يعيش)
٩٣٠٢٩	أبو الأسود الدؤلي
٢٦٣٠١٧٣	أبو بكر بن السراج
١٠٧	أبو بكر الصديق <small>رضي الله عنه</small>
١٣٠٧٠٦	أبو جعفر المنصور
٨٥٠٨٢٠٦١٠٢٠	أبو حاتم السجستاني (سهل بن محمد)
٢٥٦٠١٩٩٠٩٠	أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف)

١٠٣	أبو داود (سليمان بن الأشعث)
٩٩	أبو داود الطيالسي
٨٤٠٨٣٠٨٢٠٦٥٠٦٣٠٢٠٠١٦	أبو زيد (سعيد بن أوس)
٧٩	أبو سفيان بن العلاء
٨٥٠٦١٠٢٩٠٢٠٠١٧٠١١٠٣	أبو الطيّب اللغويّ
٦	أبو العباس السّفاح
٥٩	أبو عبيد (القاسم بن سلام)
٨٥٠٨٤٠٧٢٠٦٥٠٦٣	أبو عبيدة (معمّر بن المثني)
٢٥٨٠١٨٦٠١٧٨٠١٧٣٠٤٠٠٠٠ ٢٦٤٠٢٦٣٠	أبو عليّ الفارسيّ
٠٠٧٢٠٧٠٠٦٩٠٦٣٠١٦٠١٠٠٩ ٠٠٠٨٣٠٨١٠٠٨٠٠٧٩٠٧٨٠٧٥٠٧٤ ٩٣٠٩٠٠٨٥٠٨٤	أبو عمرو بن العلاء
١٩١	أبو عون الحرمازي
٤	أبو الفرج الجوزي
١٠٣	أبو موسى الأشعري
٦٤	أبو نصر الفارابي
١٠٧٠١٠٢٠٩٨	أبو هريرة
١١٩٠١١٣	أبو هلال العسكري
٨٦	أبي بن كعب
٢٢	أحمد أمين
٩٣٠٩٢	أحمد مكي الأنصاري
٢٢	الأحمر (علي بن المبارك)

٦٣	الأخطل (غياث بن غوث)
٤٧	الأخفش الأصغر (علي بن سليمان)
٤٠٠٣٩٠٣٧٠٢١٠١٨٠١٧٠١٦ ١٨٤٠١١٥٠٨٤٠٦٦٠٥٥٠٤١	الأخفش الأوسط (سعيد بن مسعدة)
٧٤٠٧٣٠٧٢٠٦٩٠٣٦٠١٦	الأخفش الأكبر (عبد الحميد بن عبد المجيد)
١٠٠٤	الأزهري (محمد بن أحمد)
١٣٧	إسماعيل (عليه السلام)
١٤٨	الأشموني (أبو الحسن علي بن محمد)
٨٤٠٧٩٠٧٧٠٦٣٠٥٩٠٢٠٠٩ ٨٦٠٨٥	الأصمعي (عبد الملك بن قريب)
٨٦	الأعرج (عبد الرحمن بن هرمز)
١٦٧	الأعشى (ميمون بن قيس)
١١٥	امرؤ القيس
٥	الأمين بن هارون الرشيد
١٣٩٠١١١	أنس بن مالك
	(ب)
١٠٥٠١٠٣٠١٠٢٠١٠١٠٩٨ ١٣٩٠١١١٠١٠٨٠١٠٧	البخاري (محمد بن إسماعيل)
٢٥	بهباذ (والد السيرافي)
	(ت)
٩٨	الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَة)
١٧٥	تمام حسان
	(ج)

١٨	الجاحظ (عمرو بن بحر)
١٠٠	جرير (عليه السلام)
١٥٥، ١٥٣	جران العود
٢٤٣، ٢٤٢، ٢٢٦، ١٧٢	الجرجاني (عبد القاهر)
٨٤، ٤١، ٣٩	الجرمي (صالح بن إسحاق)
٦٣	جرير
٧	جعفر بن يحيى البرمكي
هـ	الجوهري (إسماعيل بن حماد)
	(ح)
١٠٩، ١٠٦	الحاكم النيسابوري (محمد بن عبد الله)
١١٨	الحجاج بن يوسف
٢٦١، ٨٦	الحسن البصري
١٥٦	الحسين بن الحمام
٩	حماد الراوية
٨٢، ٨١، ١٦، ٩	حماد بن سلمة
٦١	حمزة بن حبيب الزيات
	(خ)
١٠٩، ١٠٣، ٩٣	خديجة الخديثي
١٨	خشنام الأعور
٣	الخطيب البغدادي
٢٢	خلف الأحمر
٢٩، ٢٧، ٢٥، ٢١، ١٩، ١٦، ٩، ٥، ٤ ٤٠، ٣٧، ٣٦، ٣٥، ٣٤، ٣٢، ٣١، ٣٠	الخليل بن أحمد

١٩٣	ضايح بن الحرث
	(ط)
١٠٢	الطبري (محمد بن جرير)
١١٤	طرفة بن العبد
	(ع)
١١١٠١٠٠	عائشة (أم المؤمنين)
١٣٩	عامر بن الطفيل
٨١٠٧٨٠٧٧٠٧٤٠٦٩٠٢٩	عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي
٩٩	عبد الله بن عمرو
١٦٨	عبد الله بن قيس الرقيات
١٣٧	عبد المطلب بن هاشم
١٨	عتبة النحوي
١٠٧	عثمان بن عفان <small>رضي الله عنه</small>
٩٢	عثمان الفكي بابكر
١٩١٠٥٤	العجاج (عبد الله بن ربيعة)
١٠٤	العجلوني (إسماعيل بن محمد)
١٠٨٠٤٥	عدي بن زيد
٤٣	العسكري (الحسن بن عبد الله بن سعيد)
١٥٧٠١٥٥٠١٥٣٠١٥٢	عفيف دمشقية
١٠٦٠١٠٥٠٢٩	علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)
٨٢٠٧٩٠٧٧٠٢٠	علي النجدي
١٢٤٠١١٠٠١٠٩٠١٠٧٠١٠٦	عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small>

٢٦١	عمرو بن الأيهم
١٢٦	عمرو بن حمران الجعدي
٩٦	عمرو بن كلثوم
٤٧٦٤٧٥٤٧٤٤٧٢٤٤١٤٣٠٤١٦٤١٥ ٢٥٤٤٢١٢٤ ١٥٤٤٩٠٤٨٥٤٧٨	عيسى بن عمر
	(غ)
١١٨	الغضبان بن القبعثري
	(ف)
د	فخر الدين قباوة
٤١٩٣٤١٥٨٤١٤٨٤٩٣٤٩٢٤٩٠ ٢٦٨٤٢١٢	الفراء (يحيى بن زياد)
١٨١٤١٦٩٤١٦٨٤١٦٧٤٧٩٤٦٣	الفرزدق (همام بن غالب)
٩٧	فرعان بن الأعراف
٦٠	فرعون
٧	الفضل بن يحيى
	(ق)
١٠٢	قتادة بن دعامة السدوسي
٣٢	القطامي (عمير بن شبيب)
١٨٤١٧	قطرب (محمد بن المستنير)
٧٤٤٣٠٤٢١٤٤	القفطي (علي بن يوسف)
	(ك)
٤٦٦١٤٣٩٤٢٣٤٢٢٤٢١٤٢٠٤١٩٤٥ ٢٦٨٤٢٥٨٤٢٢٣٤٢٠١٤١٢١٤٩٠	الكسائي (علي بن حمزة)

٢١٢	منى إلياس
٢٣	موسى (عليه السلام)
١٠٣١٤١١٥١١٦١١٩١٣٩١٢٣	الميداني (أحمد بن محمد)
(ن)	
١٧	الناشي (تلميذ سيويه)
٧٨	نصر بن عاصم
١٠	النضر بن شميل
١٢٠	النعمان بن المنذر
	(هـ)
٢١٤٢٠٤١٩٤١٤٧٤٦٤٥	هارون الرشيد
١٣٦٠١٦٤١٧٤٢٥٤٣٤٤٤٤٦٧٤٨٣	هارون (عبد السلام)
٧٧٤٦٩٤١٦	هارون بن موسى
٦٠	هامان
	(ي)
٢١٤١٢٤١١٤٣	ياقوت الحموي
٤	اليافعي (عبد الله بن أسعد)
٢١٤٧	يحيى بن خالد بن برمك
٧٨	يحيى بن يعمر
٨٤٤١٩	اليزيدي (يحيى بن المبارك)
٨٤٤١٦	يعقوب بن إسحاق الحضرمي
٤١٤٣٧٤٣٦٤٣٤٤١٧٤١٦٤١٤	يونس بن حبيب.

٤٧٠٠٠٦٩٠٠٦٥٠٠٥٥٠٠٥٣٠٠٥٢٠٠٤٢	تابع يونس بن حبيب
٤٧٨٠٠٧٦٠٠٧٥٠٠٧٤٠٠٧٣٠٠٧٢٠٠٧١	
٤١٣٧٠٠١٣٣٠٠١١٩٠٠٨٥٠٠٨١٠٠٨٠	
٤١٦٣٠٠١٦١٠٠١٥٧٠٠١٤٨٠٠١٣٨	
٢٢٦٠٢٠٠٠٠٠١٩٥٠٠١٦٦٠٠١٦٤	

٦. مصادر البحث ومراجعته بعد كتاب الله عزَّ وجلَّ

- ١- آراء وأحاديث في اللغة والأدب ، ساطع الحصري - دار العلم للملايين ، بيروت (بدون تاريخ).
- ٢- أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ، د. أحمد مكي الأنصاري ، المطابع الأميرية القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
- ٣- أبو عمرو بن العلاء اللغوي النحوي ومكائنه العلمية ، عبد الله محمد الأسطى ، ط/١ ليبيا ١٩٨٦م
- ٤- أخبار النحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض ، صنعة أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي (ت٣٦٨هـ) تحقيق د. محمد عمر البنا ، ط/١ دار الاعتصام القاهرة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- ٥- أدب الكاتب لابن قتيبة (محمد بن عبد الله بن مسلم) بيروت ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
- ٦- ارتشاف الضَّرَبَ من لسان العرب ، لأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) تحقيق وتعليق د. مصطفى أحمد النحاس
ج/١ ط/١ النسرة الذهبي مصر ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م
ج/٢ ط/١ مطبعة المدني مصر ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م
ج/٣ ط/١ مطبعة المدني مصر ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م
- ٧- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء) لأبي عبد الله يعقوب بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ) ط/دار المأمون ، سلسلة الموسوعات العربية ، وزارة المعارف العمومية مصر (بدون تاريخ).
- ٨- أساس البلاغة ، لجان الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨هـ) ط/١ دار صادر ، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م
- ٩- الاستشهاد في النحو العربي ، د. عثمان الفكي بابكر ، رسالة ماجستير ،

- مخطوطة بالآلة الكاتبة - دار العلوم ، مصر ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م
- ١٠- أسرار البلاغة ، للإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجة ط/٢ مكتبة القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧٦م
- ١١- الأصمعيات ، اختيار الأصمعي أبي سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك (١٢٢-٢١٦هـ) تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام محمد هارون ط/٥ بيروت لبنان (بدون تاريخ).
- ١٢- الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) ج/٣ شرح سمير جابر وج/١٨ شرح عيد أعلى مهنا ط/٢ بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- ١٣- الاقتراح في علم أصول النحو للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق وتعليق د. أحمد محمد قاسم ط/السعادة القاهرة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م
- ١٤- الأمالي ، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي ط/٢ دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م
- ١٥- أمالي السُّهيلي ، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي (٥٠٨هـ - ٥٨١هـ) تحقيق محمد إبراهيم البنا - مصر (بدون تاريخ)
- ١٦- الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى د. عبد المجيد عابدين ط/دار مصر للطباعة ١٩٥٦م
- ١٧- إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن ، لأبي البقاء الحسين بن عبد الله العكبري. تحقيق إبراهيم عطوة ، دار الحديث القاهرة ١٣٨١هـ/١٩٦١م
- ١٨- إنباه الرواة على أنباه النحاة ، لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي ج/١ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط/١ القاهرة ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م ج/٢ القاهرة ١٣٧١هـ/١٩٥٢م
- ١٩- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، لابن الأنباري

- ٤/ (عبد الرحمن بن محمد ت ٥٧٧هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط/٤
مصر ١٣٨٠هـ/١٩٦١م
- ٢٠- الإيضاح في علل النحو للزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق) تحقيق د.
مازن المبارك ، دار العروبة مصر ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م
- ٢١- الأيام والليالي والشهور ، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ، تحقيق إبراهيم
الإياري ط/الأميرية القاهرة ١٩٥٦م
- ٢٢- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير (٧٠١ - ٧٤٤هـ)
تأليف أحمد محمد شاكر ، ط/١ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م
- ٢٣- البداية والنهاية ، لأبي الفداء ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ج ١٠ ط/١
بيروت ١٩٦٦م
- ٢٤- البحر المحيظ لمحمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي الغرناطي الجياني
الشهير بأبي حيان (٦٥٤ - ٧٥٤هـ) ط/١ السعادة مصر ١٣٢٨هـ
- ٢٥- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطي - تحقيق: محمد أبو الفضل
إبراهيم ، ط/١ مصر ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م
- ٢٦- البيان العربي - دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها
الكبرى ، د. بدوي طبانة ط/٥ دار العودة بيروت ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م
- ٢٧- تاج العروس من جواهر القاموس ، لمحمد مرتضى الزبيدي - دار صادر بيروت
(بدون تاريخ)
- ٢٨- تاريخ الإسلام الديني والثقافي والاجتماعي ، د. حسن إبراهيم حسن ج-٢
(العصر العباسي الأول) بيروت ١٤١١هـ/١٩٩١م
- ٢٩- تاريخ بغداد ، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)
مجلد ١٢ ط/١ السعادة مصر ١٣٤٩هـ/١٩٣١م
- ٣٠- تاريخ الخلفاء للسيوطي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط/١ السعادة مصر

١٣٧١هـ/١٩٥٢م

- ٣١- تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ) ج٨ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر (بدون تاريخ)
- ٣٢- تحليل النص النحوي، د. فخر الدين قباوة، ط/١ دار الفكر المعاصر بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م
- ٣٣- تذكرة الحفاظ، للإمام أبي عبد الله شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ط/دار إحياء التراث العربي - بيروت (بدون تاريخ)
- ٣٤- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك (ت ٦٧٢هـ) تحقيق محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي مصر ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م
- ٣٥- تطور الدرس النحوي، د. حسن عون، نشر قسم البحوث والدراسات الأدبية واللغوية - جامعة الدول العربية مصر ١٩٧٠م
- ٣٦- التعليقة على كتاب سيويه، تأليف أبي علي الحسن بن أحمد/عبد الغفار الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، حققه في أجزاء د. عوض بن حمد القوزي، طبع الأول منها بالقاهرة مطبعة الأمانة، وبقية الأجزاء بمطابع الحسين - الرياض خلال الأعوام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م - ١٤١٥هـ/١٩٩٤م وقد أشار المحقق إلى جزء خامس ولكنني لم أحصل عليه.
- ٣٧- تقرير الشمس الأنبايي على شرح سعد الدين التفتازاني تلخيص المفتاح وحاشيته الشهيرة بالتحريد في علم المعاني والبيان والبديع ط/السعادة مصر ١٣٣٠هـ
- ٣٨- التكملة (وهي الجزء الثاني من الإيضاح العضدي) تأليف أبي علي الفارسي، تحقيق د. حسن شاذلي فرهود ط/١ جامعة الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م
- ٣٩- التمثيل والمحاضرة، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) تحقيق عبد الفتاح محمد الحلوطي/القاهرة ١٣٨١هـ/١٩٦١م
- ٤٠- تنوير الحوالك، شرح موطأ الإمام مالك، تأليف الإمام جلال الدين عبد

- الرحمن السيوطي ط/دار إحياء الكتب العربية ، مصر (بدون تاريخ).
- ٤١- تهذيب سيرة ابن هشام ، عبد السلام محمد هارون ، مؤسسة الرسالة ، دار
البحوث العلمية الكويت (بدون تاريخ).
- ٤٢- تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ) ج١/ تحقيق
عبد السلام محمد هارون مصر ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م
- ٤٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (١٥)
مجلدًا ط/دار الفكر بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م
- ٤٤- الجامع الصحيح (سنن الترمذي) لأبي عيسى محمد عيسى بن سَور (٢٠٩هـ-
٢٩٧هـ). الجزء الأول والثاني بتحقيق أحمد محمد شاكر ، والثالث بتحقيق
محمد فؤاد عبد الباقي ، والرابع والخامس بتحقيق إبراهيم عطوة ، ط/الخليبي
القاهرة (بدون تاريخ).
- ٤٥- الجمل ، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، تحقيق عليّ
حيدر ، دمشق ١٩٧٢م
- ٤٦- الجمل في النحو ، تصنيف الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق د. فخر الدين
قباوة ط/١ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م
- ٤٧- الجمل في النحو ، للزجاجي (عبد الرحمن بن إسحاق ت ٣٤٠هـ) تحقيق د. علي
توفيق الحمد ط/١ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م
- ٤٨- جمهرة الأمثال ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد
المجيد قطامش ط/١ القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م
- ٤٩- حاشية الخنضري ، للشيخ محمد الدمياطي الشهير بالخنضري (ت ١٢٨٧هـ) على
شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك ، جزءان ط/الخليبي الأخيرة مصر ١٣٥٦-
هـ/١٩٤٠م
- ٥٠- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح شواهد

- للعيبي ، دار إحياء الكتب العربية ، ط/ الحلبي القاهرة (٤ أجزاء) (بدون تاريخ).
- ٥١- الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية ، د. محمد ضاري حمادي ط/١ العراق ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م
- ٥٢- الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي د. عبد العال سالم مكرم ط/٢ بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م
- ٥٣- الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثالث الهجري. د. أحمد كمال زكي ط/١ دمشق ١٣٨١هـ/١٩٦١م
- ٥٤- الحيوان (كتاب الحيوان) لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ج/٣ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ط/٣ دار الكتاب العربي بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م
- ٥٥- خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ط/ القاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م
- ٥٦- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني (٣ أجزاء) تحقيق محمد علي النجار ، دار الهدى - بيروت (بدون تاريخ).
- ٥٧- خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال لأحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري ط/١ المطبعة الخيرية مصر ١٣٢٣هـ
- ٥٨- دراسات كانو ، دورية تصدرها كلية عبد الله بايرو - جامعة أحمد ييلو - نيجريا ، العدد الثاني لسنة ١٩٦٦م
- ٥٩- دلائل الإعجاز ، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر ط/٢ نشر مكتبة الخانجي القاهرة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م
- ٦٠- الردّ على النحاة ، لابن مضاء (أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن اللخميّ القرطبي ٥١٣ - ٥٩٢هـ) تحقيق د. محمد إبراهيم البنا ط/١ القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م
- ٦١- الرّواية والاستشهاد باللغة - دراسة لقضايا الرواية والاستشهاد في ضوء علم اللغة الحديث ، د. محمد عيد ، نشر عالم الكتب القاهرة ١٩٧٦م

- ٦٢- سنن ابن ماجة (أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت ٢٧٥هـ) جزاءن ، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية الخلي وشركاه - مصر ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م
- ٦٣- سيبويه إمام النحاة ، علي النجدي ناصف ، مصر (بدون تاريخ).
- ٦٤- سيبويه جامع النحو العربي. د. فوزي مسعود ، مصر ١٩٨٦م
- ٦٥- الشاهد النحوي وأصول النحو في كتاب سيبويه. د. خديجة الخديشي مطبوعات جامعة الكويت ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م
- ٦٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لعبد الخي بن العماد الخنبلي ج١/ نشر مكتبة القلس القاهرة ١٣٥٠هـ
- ٦٧- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (٤ أجزاء في مجلدين) دار الفكر - بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م
- ٦٨- شرح أبيات سيبويه ، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت ٣٣٨هـ) تحقيق زهير غازي ط/ مطبعة الغري الحديثة النجف ١٩٧٤م
- ٦٩- شرح أبيات سيبويه لأبي محمد يوسف بن أبي سعيد السيرافي (جزءان) حققه وقدم له د. محمد علي سلطاني ط/ دار المأمون للتراث دمشق ١٩٧٩م
- ٧٠- شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري (جزءان) وبهامشه حاشية الشيخ يس بن زين العابدين العليمي الحمصي. ط/ دار الفكر بيروت (بدون تاريخ).
- ٧١- شرح جمل سيبويه ، د. محمود سليمان ياقوت - دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٩٢م
- ٧٢- شرح شافية ابن الحاجب للرضي الاسترأبادي (٤ أجزاء) الأخير منها خاص بشرح شواهد الشافية للبغدادي. تحقيق محمد نور الحسن ، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محي الدين عبد الحميد. ط/ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

- ٧٣- شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط/١١ دار الثقافة مصر ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م
- ٧٤- شرح كتاب سيويه لأبي سعيد السيرافي:
- ج/١ تحقيق د. رمضان عبد التواب ، د. محمود فهمي حجازي ، د. محمد هاشم عبد الكريم الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م
- ج/٢ بتحقيق د. رمضان عبد التواب الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م (لم أحصل على بقية الأجزاء)
- ٧٥- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ، لأبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري (ت ٣٨٢هـ) تحقيق عبد العزيز أحمد ط/١/الخلي مصر ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م
- ٧٦- شرح المفصل لابن يعيش ط/ القاهرة ١٩٣٠-١٩٣١م
- ٧٧- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ، لابن مالك تحقيق وتعليق ، محمد فؤاد عبد الباق ، القاهرة (بدون تاريخ).
- ٧٨- صحيح مسلم ، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١هـ) ٥ أجزاء الأخير منها خاص بالفهارس ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط/ دار الحديث - القاهرة ١٤١٢هـ/١٩٩١م
- ٧٩- ضحى الإسلام ، أحمد أمين ج/٢ ط/١٠ بيروت (بدون تاريخ).
- ٨٠- طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ) بشرح محمود محمد شاكر - القاهرة (بدون تاريخ).
- ٨١- الطبقات الكبير ، تصنيف محمد بن سعد كاتب الواقدي (٩ أجزاء الأخير منها خاص بالفهارس) عُني بتصحيحه وطبعه إدوارد سخو ، طبع ليدن في السنوات ١٣٢٢هـ إلى ١٣٤٧هـ.
- ٨٢- طبقات النحويين واللغويين لمحمد بن الحسن الزبيدي ، تحقيق محمد أبو الفضل

- إبراهيم ط/القاهرة ١٩٥٤م.
- ٨٣- العبر في خبر من غير ، للذهبي - تحقيق محمد السعيد زغلول ج-١/ ط١/ بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- ٨٤- العقد الفريد ، لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي. ج-٥ شرح وضبط أحمد أمين ، وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري ط/٣ القاهرة ١٣٩٣هـ/١٩٧٤م
- ٨٥- العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث. د. محمد حماسة عبد اللطيف. (لم يذكر تاريخ الطبع ومكانه)
- ٨٦- العين (أول معجم في اللغة العربية) للخليل بن أحمد الفراهيدي ج-١/ تحقيق د. عبد الله درويش ، مطبعة العاني بغداد ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م
- ٨٧- العيون الغامزة على خبايا الرامزة ، لبدر الدين محمد بن أبي بكر الدماميني. ط/ المكتبة الأزهرية - مصر ١٤١٢هـ/١٩٩٢م
- ٨٨- الفاضل ، لأبي العباس محمد بن يزيد المرّّد تحقيق عبد العزيز اليميني ط/١ دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م
- ٨٩- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، لأبي عبيد البكري الأونسي (ت ٤٨٧هـ) تحقيق الدكتورين: عبد المجيد عابدين وإحسان عباس. (لم يذكر تاريخ الطبع ومكانه)
- ٩٠- فقه اللغة ، د. عليّ عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر ط/٧ (بدون تاريخ).
- ٩١- فهارس كتاب مسيويه ودراسة له ، محمد عبد الخالق عزيمة ط/١ دار الحديث القاهرة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م
- ٩٢- الفهرست لابن النديم ط/دار المعارف للطباعة والنشر سوسة تونس (بدون تاريخ).
- ٩٣- القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ، د. عبد العال سالم مكرم ط/ معارف مصر ١٩٦٨م

- ٩٤- القياس في النحو ، د. منى إلياس ط/١ دار الفكر دمشق ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م
- ٩٥- الكافية في النحو لأبي عمرو عثمان بن عمر (ابن الحاجب) ، جزءان بشرح الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي ط/دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٩٦- الكامل في التاريخ لابن الأثير (عز الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم) المجلد السادس ط/بيروت ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م
- ٩٧- كتاب سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (٥ أجزاء الأخير خاص بالفهارس) تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي القاهرة: الأجزاء : ١-٢-٣ ط/١٤٠٨هـ/١٩٨٨م
ج/٤ ط/٢٠٢٢هـ/١٩٨٢م
ج/٥ ط/٢٠٣٢هـ/١٩٨٣م
- ونقل المحقق بهامشه تعليقات من شرح السيرافي وغيره.
- ٩٨- كتاب سيبويه (جزءان) ط/١ المطبعة الأميرية ببولاق - مصر ج/١ ١٣١٦هـ ، ج/٢ ١٣١٧هـ ، وبهامش هذه الطبعة تقارير وزيّد من شرح أبي سعيد السيرافي ، وبأسفل الصحيفة شرح الشواهد المسمّى (تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب) ، ليوسف بن سليمان بن عيسى الشتمري.
- ٩٩- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، لإسماعيل بن محمد العجلوني (ت ١١٦٢هـ) - (جزءان) صحّحه وعلّق عليه ، أحمد القلاش ، نشر مكتبة التراث حلب (بدون تاريخ).
- ١٠٠- لسان العرب لابن منظور (محمد بن مكرم) دار صادر ط/٣ بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م
- ١٠١- لسان الميزان ، لابن حجر العسقلاني ج/٣ ط/٢ بيروت ١٣٩٠هـ/١٩٧١م
- ١٠٢- اللغة العربية مبناها ومعناها ، د. تمام حسان - الهيئة المصرية العامة للكتاب -

القاهرة ١٩٧٣م

- ١٠٣- ليس في كلام العرب ، تأليف الحسن بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠هـ) تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ط/٢ مكة المكرمة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م
- ١٠٤- متن البخاري بحاشية السندي (٤ مجلدات) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت (بدون تاريخ).
- ١٠٥- مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني. (٤ أجزاء) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بدون تاريخ).
- ١٠٦- المدارس النحوية ، د. شوقي ضيف - دار المعارف مصر ١٩٦٨م
- ١٠٧- مدرسة البصرة النحوية د. عبد الرحمن السيد ط/ دار المعارف القاهرة ١٩٦٨م
- ١٠٨- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو. د. مهدي المخزومي ط/٢ الحلبي ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م
- ١٠٩- المدونة الكبرى للإمام مالك ط/١ السعادة - مصر (بدون تاريخ).
- ١١٠- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، لأبي محمد عبد الله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨هـ) ج/١ ط/٢ بيروت ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م
- ١١١- مراتب النحويين ، تصنيف أبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (ت ٣٥١هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - مصر (بدون تاريخ).
- ١١٢- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، لأبي الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ) ٤ أجزاء في مجلدين تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط/٤ السعادة - مصر ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م
- ١١٣- المزهر في علوم اللغة وأنواعها لعبد الرحمن السيوطي ، شرح وتعليق محمد أحمد جاد المولى وآخرين (جزءان) ط/الحلبي القاهرة (بدون تاريخ).
- ١١٤- المسائل العسكرية لأبي علي الفارسي ، تحقيق إسماعيل أحمد عمارة ومراجعة د. بهاء موسى ، منشورات الجامعة الأردنية المطبعة الوطنية ١٩٨١م

- ١١٥- المستدرك على الصحيحين في الحديث ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) ط/١ حيدرآباد ١٣٤١هـ.
- ١١٦- مسند أبي داود الطيالسي (سليمان بن داود ت ٢٠٤هـ) ط/١ حيدرآباد ١٣٢١هـ.
- ١١٧- المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١هـ) (٢٠ جزءاً) شرحه ووضع فهارسه أحمد محمد شاكر (الأجزاء الثمانية الأولى) ثم حمزة أحمد الزين (بقية الأجزاء) ط/١ دار الحديث القاهرة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- ١١٨- المعاجم العربية - مع اعتناء خاص بمعجم العين للخليل بن أحمد ، د. عبد الله درويش مكتبة الشباب بمصر (بدون تاريخ).
- ١١٩- المعارف لابن قتيبة (محمد بن عبد الله بن مسلم (٢١٣ - ٢٧٦هـ) تحقيق د. ثروت عكاشة ط/٤ مصر (بدون تاريخ).
- ١٢٠- معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء: ج/١ تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ط/١ دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.
- ج/٢ تحقيق محمد علي النجار الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة. (بدون تاريخ)
- ج/٣ تحقيق د. عبد الفتاح شلبي ومراجعة علي النجدي ناصف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م.
- ١٢١- المعجم الذهبي (فارسي عربي) د. محمد الترنجي ط/١ بيروت ١٩٦٩م.
- ١٢٢- مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام الأنصاري ، تحقيق وتعليق د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ط/٥ بيروت ١٩٧٩م.
- ١٢٣- المفضليات ، للمفضل الضبي ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون معارف مصر ١٩٧٦م.
- ١٢٤- المقتضب ، صنعة أبي العباس محمد بن يزيد المرّد (ت ٢٨٥هـ) تحقيق محمد عبد

- المخالف عزيمة - مصر (بدون تاريخ).
- ١٢٥- المقصور والممدود لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ، تحقيق عبد الإله نبهان
ومحمد خير البقاعي ، دار قتيبة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م
- ١٢٦- المنطلقات التأسيسية والفنية إلى النحو العربي. د. عفيف دمشقية ، معهد الإنماء
العربي ليبيا - فرع لبنان ط/١ بيروت ١٩٧٨م
- ١٢٧- موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث ، د. خديجة الحديثي ، دار الرشيد للنشر
العراق ١٩٨١م
- ١٢٨- ميزان الاعتدال في نقد الرجال لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي
(٤ أقسام) بتحقيق محمد علي البجاوي ، ط/ الحلبي مصر (بدون تاريخ).
- ١٢٩- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج-٢ تأليف جمال الدين يوسف بن
تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤هـ) نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب -
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر - مصر. (بدون تاريخ)
- ١٣٠- نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، لابن الأنباري (عبد الرحمن بن محمد
ت ٥٧٧هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة (بدون تاريخ).
- ١٣١- نظرات في اللغة والنحو ، طه الراوي ط/١ منشورات المكتبة الأهلية بيروت
١٩٦٢م
- ١٣٢- النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد
الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) ٥ أجزاء بتحقيق محمود محمد الطناحي وطاهر
أحمد الزاوي ط/دار إحياء التراث العربي ، بيروت (بدون تاريخ).
- ١٣٣- مجمع الهوامع شرح جمع الجوامع لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي عني
بتصحيحه السيد محمد بدر الدين الغساني - دار المعرفة بيروت (بدون تاريخ).
- ١٣٤- الورقة ، لابن الجراح أبي عبد الله محمد بن داود (ت ٢٩٦هـ) تحقيق د. عبد
الوهاب عزام وعبد الستار أحمد فراج ط/٢ معارف مصر (بدون تاريخ).

١٣٥- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ) تحقيق د. إحسان عباس - دار الثقافة بيروت (بدون تاريخ).

٧- فهرس الموضوعات:

الصفحة	الموضوع
١	الشكر:.....
ب - ي	مقدمة البحث:.....
٥٦ - ١	الباب الأول: سيويه حياته وكتابه:.....
٢٧ - ٢	الفصل الأول: حياة سيويه:.....
٣	تمهيد:.....
٦	المبحث الأول: عصر سيويه:.....
٦	أ. الحياة السياسية:.....
٨	ب. الحياة الاجتماعية:.....
٨	ج. الحياة العلمية:.....
١١	المبحث الثاني: سيويه ، النشأة والوفاة:.....
١٦	المبحث الثالث: شيوخ سيويه وتلاميذه:.....
١٩	المبحث الرابع: مناظرة سيويه والكسائي:.....
٢٥	المبحث الخامس: أثر الثقافة الفارسية في سيويه النحوي:.....
٥٦-٢٨	الفصل الثاني: كتاب سيويه:.....
٢٩	المبحث الأول: المؤلفات النحوية قبل كتاب سيويه:.....
٣٤	المبحث الثاني: تاريخ تأليف الكتاب:.....
٣٦	المبحث الثالث: أطوار تأليف الكتاب:.....
٣٩	المبحث الرابع: ظهور الكتاب:.....
٤١	المبحث الخامس: تحقيق الكتاب:.....
٤٥	المبحث السادس: أسلوب الكتاب:.....

٤٨	المبحث السابع: منهج سيويه في الكتاب:.....
٥٢	المبحث الثامن: شخصية سيويه في الكتاب:.....
	الباب الثاني: الأمثلة الثرية المروية في كتاب سيويه والاحتجاج بها في
١٤٥-٥٧	النحو:.....
٨٦-٥٨	الفصل الأول: الرواية والرواة في كتاب سيويه:.....
٥٩	المبحث الأول: رواية اللغة:.....
٦٣	المبحث الثاني: حدود الرواية زماناً ومكاناً:.....
٦٥	المبحث الثالث: سماع سيويه:.....
٦٧	المبحث الرابع: روايات سيويه عن العلماء:.....
	الفئة الأولى: علماء روى عنهم مشافهة:
٦٧	١- الخليل بن أحمد الفراهيدي:.....
٧٠	٢- يونس بن حبيب:.....
٧٢	٣- أبو الخطاب الأحمش:.....
٧٤	٤- عيسى بن عمر الثقفي:.....
٧٧	٥- هارون بن موسى:.....
	الفئة الثانية: علماء لم يأخذ سيويه عنهم مباشرة
٧٧	١- عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي:.....
٧٨	٢- أبو عمرو بن العلاء:.....
	الفئة الثالثة: علماء تتلمذ عليهم سيويه ولم يذكرهم صراحة:
٨١	١- حماد بن سلمة:.....
٨٢	٢- أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري:.....
	الفئة الرابعة: علماء اشتهروا في عصر سيويه ولم يرد لهم ذكر في كتابه:
٨٤	١- يحيى بن المبارك اليزيدي:.....

٨٤ ٢- يعقوب ابن إسحاق الحضرمي:

٨٥ ٣- أبو عبيدة معمر بن المثنى:

٨٥ ٤- الأصمعي (عبد الملك بن قريب):

الفصل الثاني: الأمثلة النثرية المروية في كتاب سيويه: أنواعها

١٤٥-٨٧ والاحتجاج بها في النحو:

٨٨ تمهيد:

المبحث الأول: الحديث الشريف في كتاب سيويه والاحتجاج به في

٩٠ النحو:

المبحث الثاني: الأمثال والحكم في كتاب سيويه والاحتجاج بها في

١١٣ النحو:

المبحث الثالث: الأقوال العامة المروية عن العرب في كتاب سيويه: أنماطها

١٣١ والاحتجاج بها:

الباب الثالث: أمثلة سيويه غير المروية: قياسها ، وأثرها في تصحيح

٢٧٠-١٤٦ أساليب الجملة ومنهج سيويه في عرضها:

١٤٧ تمهيد:

١٦٩-١٥٠ **الفصل الأول:** أسس القياس من خلال أمثلة سيويه:

١٥١ المبحث الأول: التمييز بين مستويات الأداء اللغوي في كتاب سيويه:

١٦٠ المبحث الثاني: القياس في كتاب سيويه في ضوء لغات العرب:

٢٤٤-١٧٠ **الفصل الثاني:** أساليب الجملة وتصحيح المعنى من خلال أمثلة سيويه

..... غير المروية:

المبحث الأول: الجملة في اصطلاح النحويين وموقف الباحثين المعاصرين

١٧١ من ذلك:
١٧٩ المبحث الثاني: أمثلة الجملة الاسمية ونماذج من نواسخها:
١٧٩ ١- الابتداء بالمعرفة:
١٧٩ ٢- مسوغات الابتداء بالنكرة:
١٨٠ ٣- أساليب التقديم والتأخير في باب كان:
١٨٣ ٤- أسلوب ظنٍّ وأخواتها:
١٨٨ ٥- أسلوب إنَّ وأخواتها:
١٩٤ ٦- أسلوب لا النافية للجنس:
٢٠١ المبحث الثالث: أمثلة الفعل اللازم والمتعدي:
٢٠٧ المبحث الرابع: نماذج من أمثلة التنازع والاشتغال:
٢٠٧ ١- أسلوب التنازع:
٢١٠ ٢- أسلوب الاشتغال:
٢١٩ المبحث الخامس: نماذج من أمثلة التوابع:
٢١٩ أولاً: النعت:
٢١٩ ١- نعت النكرة بالنكرة:
٢١٩ ٢- نعت المعرفة بالمعرفة:
٢٢٠ ٣- الجمع والتفريق في النعت والمنعوت:
٢٢١ ٤- النعت بالاسم الجامد:
٢٢٢ ٥- نعت ما اختلف إعرابه:
٢٢٣ ٦- ما يحتمل الحالية والوصفية:
٢٢٤ ثانياً: البدل:
٢٢٤ ١- بدل المعرفة من النكرة:

٢٢٤	٢- بدل المعرفة من المعرفة:.....
٢٢٥	٣- بدل بعض لإزالة الإبهام بذكر الخاص بعد العام:....
٢٢٦	٤- البديل الذي يجوز أن يجري مجرى التوكيد:.....
٢٢٧	٥- البديل المباين:.....
٢٢٨	ثالثاً التوكيد:.....
٢٢٨	١- التوكيد المعنوي:.....
٢٢٨	٢- التوكيد اللفظي:.....
٢٢٩	٣- أمثلة أحكام التوكيد:.....
٢٣٠	رابعاً: عطف النسق:.....
٢٣٣	المبحث السادس: عناية سيويه بالمعنى وأثر ذلك في تطور علوم البلاغة:....
٢٧٠-٢٤٥	الفصل الثالث: منهج سيويه في عرض الأمثلة غير المروية:.....
٢٤٦	المبحث الأول: تحديد الهدف العام للدرس بالمثال:.....
٢٥٠	المبحث الثاني: الإطار العام لأمثلة الدرس النحوي في كتاب سيويه:.....
٢٥٦	المبحث الثالث: وضوح أمثلة سيويه وحسن اختيارها:.....
٢٦٣	المبحث الرابع: تنويع الأمثلة وأثر ذلك في استيعاب جزئيات القاعدة:.....
٢٦٤	١- عمل اسم الفاعل المنون:.....
٢٦٥	٢- إعراب المعطوف على معمول اسم الفاعل:.....
٢٦٥	٣- عمل المصدر المضاف:.....
٢٦٦	٤- استعمالات رويد:.....
٢٦٦	٥- العطف على الضمير المرفوع المستتر في رويد وتأكيده:.....
٢٦٦	٦- أفراد الوصف إذا رفع الظاهر المثني أو المجموع على قياس الفعل:
٢٦٧	٧- ما عمل في الحال لتضمنه معنى الفعل دون حروفه:.....
٢٦٧	٨- ما لا يجوز في أسلوب كم:.....

٢٦٨	٩- رفع الفعل المضارع لوقوعه موقع الاسم:.....
٢٦٩	١٠- عطف المضارع على جواب الشرط:.....
٢٦٩	١١- جواز كسر همزة إن وفتحها:.....
٢٧٦-٢٧١	خاتمة البحث:
٣١٩-٢٧٧	الفهارس العامة:.....
٢٧٨	١- الآيات القرآنية:.....
٢٨٠	٢- الأحاديث:.....
٢٨٣	٣- الأمثال والحكم:.....
٢٨٥	٤- الشعر والرجز:.....
٢٨٨	٥- الأعلام:.....
٣٠٠	٦- المصادر والمراجع:.....